**T.C.**
**NECMETTİN ERBAKAN ÜNİVERSİTESİ**
**SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ**
**TEMEL İSLÂM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI**
**ARAP DİLİ VE BELÂGATI BİLİM DALI**

# AHMED ŞEVKİ VE HAFIZ İBRAHİM'İN ŞİİRLERİNDE TÜRK İZLERİ

**Rania Abdelhamid Mohammed Aly ZİDAN**

**YÜKSEK LİSANS TEZİ**

**DANIŞMAN**
**Doç. Dr. Mücahit KÜÇÜKSARI**

**KONYA-2019**

**جامعة نجم الدين أربكان**

**كلية الإلـهيات**

**قسم العلوم الإسلامية**

**قسم اللغة العربية وبلاغتها**

# الآثار التركية في شعر أحمد شوقي وحافظ إبراهيم

**بحث مقدم لنيل درجة الماجستير**

**الباحثة**

**رانيا عبد الحميد محمد علي زيدان**

**إشراف**

**الأستاذ المشارك / مجاهد كجوك صاري**

**1440هـ - 2019م**

| KONYA | T.C.<br>NECMETTİN ERBAKAN ÜNİVERSİTESİ<br>Sosyal Bilimler Enstitüsü Müdürlüğü | SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ |
|---|---|---|

## YÜKSEK LİSANS TEZİ KABUL FORMU

| | | |
|---|---|---|
| Öğrencinin | Adı Soyadı | Rania Abdelhamid Mohammed Aly Zidan |
| | Numarası | 148106011146 |
| | Ana Bilim / Bilim Dalı | Temel İslam Bilimleri / Arap Dili ve Belagatı |
| | Programı | Yüksek Lisans |
| | Tez Danışmanı | Doç. Dr. Mücahit Küçüksarı |
| | Tezin Adı | Ahmed Şevki ve Hafız İbrahim'in Şiirlerinde Türk İzleri |
| | | |

Yukarıda adı geçen öğrenci tarafından hazırlanan **Ahmed Şevki ve Hafız İbrahim'in Şiirlerinde Türk İzleri** başlıklı bu çalışma 20/06/2019 tarihinde yapılan savunma sınavı sonucunda oybirliği ile başarılı bulunarak jürimiz tarafından Yüksek Lisans Tezi olarak kabul edilmiştir.

| Sıra No | Danışman ve Üyeler | | |
|---|---|---|---|
| | Unvanı | Adı ve Soyadı | İmza |
| 1 | Doç. Dr. | Mücahit Küçüksarı | |
| 2 | Dr. Öğr. Üyesi | Yusuf Sami Samancı | |
| 3 | Dr. Öğr. Üyesi | Mostafa Abdelhady Abdelsatar Mohamed | |

**Bilimsel Etik Sayfası**

| Öğrencinin | | |
|---|---|---|
| | Adı Soyadı | Rania Abdelhamid Mohammed Aly ZIDAN |
| | Numarası | 148106011146 |
| | Ana Bilim / Bilim Dalı | Temel İslam Bilimleri / Arap Dili ve Belagatı |
| | Programı | Tezli Yüksek Lisans ■ |
| | | Doktora |
| | Tezin Adı | AHMED ŞEVKİ VE HAFIZ İBRAHİM'İN ŞİİRLERİNDE TÜRK İZLERİ |

Bu tezin hazırlanmasında bilimsel etiğe ve akademik kurallara özenle riayet edildiğini, tez içindeki bütün bilgilerin etik davranış ve akademik kurallar çerçevesinde elde edilerek sunulduğunu, ayrıca tez yazım kurallarına uygun olarak hazırlanan bu çalışmada başkalarının eserlerinden yararlanılması durumunda bilimsel kurallara uygun olarak atıf yapıldığını bildiririm.

**Rania Abdelhamid Mohammed Aly Zidan**

# ÖZET

| | | |
|---|---|---|
| **Öğrencinin** | Adı Soyadı | Rania Abdelhamid Mohammed Aly ZIDAN |
| | Numarası | 148106011146 |
| | Ana Bilim / Bilim Dalı | Temel İslam Bilimleri / Arap Dili ve Belagatı |
| | Programı | Tezli Yüksek Lisans [■] |
| | | Doktora [ ] |
| | Tezin Adı | AHMED ŞEVKİ VE HAFIZ İBRAHİM'İN ŞİİRLERİNDE TÜRK İZLERİ |

On dokuzuncu yüzyılın sonunda yirminci yüzyılın başında edebiyat ve şiir alanında Mısır'ın yetiştirdiği şairlerin en iyisi sayılan iki büyük şair yaşamıştır. Onlar modern çağda şiirin öncüleri olan; şairlerin piri Ahmet Şevki ve Nil şairi Hafız İbrahim'dir. Bu iki şairin aynı dönemde bulunması eşsiz bir tesadüftür. Çalışmada bu iki şairin şiirlerinde bulunan Türk izleri ele alınmıştır.

## ABSTRACT

| | | |
|---|---|---|
| **Author's** | Name and Surname | Rania Abdelhamid Mohammed Aly ZIDAN |
| | Student Number | 148106011146 |
| | Department | Basic İslamic Sciences/Arabic Language and Rhetoric |
| | Study Programme | Master's Degree (M.A.) [■] / Doctoral Degree (Ph.D.) [ ] |
| | Supervisor | Assoc. Prof. Mücahit KÜÇÜKSARI |
| | Title of the Thesis/Dissertation | THE TURKISH EFFECTS IN HAFIZ IBRAHIM AND AHMED SHAWKY'S POETRY |

At the end of the nineteenth century and the beginning of the twenteenth century, Lord has donated Egypt two great poets. They are considered of the most extraordinary in poetry and in literature in Egypt. They are pioneers of poetry in modern era. They are Ahmed Shawqi, nicknamed Amir al-Shuara (The Prince of Poets) and Hafez Ibraheem nicknamed the Poet of the Nile.The presence of these two great poets together in the same era is one of the lucky chances. They together formed unique poetry and liliterature rarely happens.

## الفهرست

المقدمة ..... vii
مهاد تاريخي..... 2
حالة الشعر في ظل الدولة العثمانية ..... 2
أولاً: في عصر المماليك والعثمانيين:..... 2
ثانيًا: في العصر الحديث..... 6

**الباب الأول**

**حياة الشاعرين وثقافتهما**

**الفصل الأول**: أحمد شوقي النشأة والحياة والثقافة.....14
المبحث الأول: النسب والنشأة.....15
ثالمبحث الثاني: حبه الجَليّ للترك .....22
المبحث الثالث: أحمد شوقي في الأندلس.....26
المبحث الرابع مكانته على الساحة الأدبية .....27
**الفصل الثاني**: حافظ إبراهيم النشأة والحياة والثقافة.....30
المبحث الأول: نسبه ونشأته .....31
المبحث الثاني: الظروف الاجتماعية والاقتصادية لحافظ إبراهيم.....36
المبحث الثالث: حافظ إبراهيم، شاعر الشعب وشاعر الوطنية.....41
المبحث الرابع: ثقافته.....44

**الباب الثاني**

**نماذج من الآثار التركية**

**في شعر شوقي وحافظ**

**الفصل الأول**: لآثار التركية في ديوان أحمد شوقي .....47
أولا : ذكر الخليفة والخلافة العثمانية .....48
ثانيًا: ذكر آل عثمان والعنصر التركي.....61

ثالثًا: وصف المعارك.....68
رابعًا: دور المرأة والشيوخ في الحروب.....74
خامسًا: وصف المدن والمعالم المشهورة.....80
1- اسطنبول.....81
2- البسفور.....86
3- قصر يلدز.....88
5- إزمير.....93
6- أيا صوفيا.....94
**الفصل الثاني**: الآثار التركية في شعر حافظ إبراهيم.....97
أولاً: الخليفة والخلافة العثمانية.....98
ثانيًا: تمجيد العنصر التركي.....111
ثالثًا: وصف الجيش العثماني.....114
1- اسطنبول.....119
2- قصر يلدز.....119
3- البسفور.....121
4- أيا صوفيا.....123
الفصل الثالث : مقارنة فنية بين حافظ وشوقي.....126
**نتائج البحث**.....**131**
**التوصيات**.....**133**
**TÜRKÇE ÖZET**.....**134**
**İNGİLİZCE ÖZET**.....**145**
**ثبت بالمصادر والمراجع**.....**158**

## المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الرحمن، علّم القرآن، خلق الإنسان، علمه البيان. والصلاة والسلام على ينبوع الفصاحة والبيان، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فلقد حبا الله مصر في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين شاعرين كبيرين، يُعدان من خير من أنجبت مصر في ميدان الشعر والأدب. وهما رائدا الشعر في العصر الحديث؛ أمير الشعراء أحمد شوقي وشاعر النيل حافظ إبراهيم.

ووجود هذين الشاعرين في العصر نفسه معًا من بديع الصُّدف، وذلك لأسبابٍ عدة اجتمعت معًا فشكّلت ملحمة شعرية أدبية قلما تتكرر. ومن تلك الأسباب:

- كلا الشاعرين يُعدّ فارسًا من فرسان الشعر، وإمامًا من أئمة الفصاحة والبلاغة. ووصلا كلاهما إلى قمم في فن الشعر لم يبلغها الكثير من الشعراء في مختلف العصور الأدبية السابقة أو اللاحقة.
- كان الشاعران كفرسَيْ رهان، أو متسابقين في حلبة واحدة، لا يكاد أحدهما يسبق في مجال، حتى يلحق به الآخر. فلا يُذكر أحدهما إلا ويُذكر معه الآخر. فأصبحا قرينين لا ينفك الارتباط بينهما.

- السبب الأهم أن الشاعرين كلاهما له أصول تركية إما من جهة الأب أو من جهة الأم. وتجري الدماء التركية في عروقهما معًا. فكانت الدولة العثمانية والخلافة في اسطنبول والعِرق التركي كلها أمور تشغل الشاعرين وتثير شاعريتهما وتستحوذ على جزء لا بأس به من ديوانيهما.
- وقد كانت الظروف الاجتماعية كانت مختلفة أشد الاختلاف بين الشاعرين، فأمير الشعراء أحمد شوقي كان ربيب القصور، نشأ منذ نعومة أظفاره بين الأمراء والحكام. فعاش حياة يملؤها الترف والنعيم. أمّا شاعر النيل حافظ إبراهيم فقد ذاق حياة اليُتم منذ طفولته، وعاش في ظروف اقتصادية صعبة للغاية. ولم يستمر في عملٍ واحد فترة طويلة. كما عاني شاعر النيل في حياته الاجتماعية أشد المعاناة.

ذلك البَوْن الشاسع بين الشاعرين في ظروفهما الاقتصادية والاجتماعية كان له أثر ظاهر على شعرهما وإبداعهما. فشوقي كان شاعر البلاط، والمتحدث الرسمي باسم السلطة والحاكم، على عكس حافظ الذي كان يعيش بين الجماهير، يحس بآلامهم ويعيش تطلعاتهم وطموحاتهم. فجاء شعر شوقي شعرًا رسميًا سلطويًا، بينما كان شعر حافظ شعرًا شعبيًا وطنيًا.

.....

كانت مصر في ذلك العصر تتمتع بحكم ذاتي واستقلال جزئي في ظل الخلافة العثمانية. فقد كانت مصر تابعة للخلافة العثمانية اسمًا، فقد كان للخليفة العثماني السلطة الروحية بوصفه خليفة المسلمين في أرجاء العالم الإسلامي. وكانت الرابطة الدينية الروحية لها الكلمة العليا في ذلك العصر. فالخليفة في اسطنبول هو قلب الأمة النابض، وهو الحبل الذي يشد أجزاء الأمة بعضها ببعض. وله من القداسة والتعظيم في نفوس المسلمين الكثير. ولم يكن شوقي أو حافظ خارج تلك الدائرة، بل كان كل

منهما خير معبّر عن الولاء للخليفة العثماني والانتماء للخلافة في عاصمتها اسطنبول وقد كان ظهور شوقي خاصةً له أثر قوي في الدعاية القوية للتمسك بالدولة العثمانية وخليفتها بين جماهير الوطن العربي من المحيط إلى الخليج. فقد ذاع صيت شوقي وطبقت شهرته الآفاق، وقصائده تتصدر الصفحات الأولى في الصحف العربية كلها. فصار هو المتحدث الرسمي باسم الدولة العثمانية بين الجماهير العربية. بينما كان حافظ شاعر الوطنية الأول، فقد اتسم شعر حافظ بالصدق والإخلاص. فكانت الجماهير تنتظر من حافظ موقفه من مختلف القضايا الوطنية والاجتماعية والإسلامية، فكان حافظ لسان الشعب، ونبض الشعب، وشاعر الشعب. ومن هنا جاء الاختلاف بين الأسلوبين، والاتفاق في الأغراض والموضوعات. أسلوب رسمي رصين محافظ، وأسلوب شعبي صادق عميق. والموضوعات فيها مدح للخليفة أو لوم له، فيها إشادة بجيش الخلافة وبسالته وشجاعة جنوده. وفيها وصف المدن والمعالم المشهورة. والشاعران كلاهما بلغا القمة في الجزالة والفصاحة والقوة، فكانا عنوانًا لمدرسة شعرية جديدة تقوم بإحياء الشعر العربي القديم بأصالته وقوته وبث الروح فيه من جديد.

وفي تاريخ الأدب نماذج كثيرة من هذه الثنائيات الشعرية، في العصر الجاهلي كان النابغة وزهير، وفي العصر الأموي جرير والفرزدق، وفي العصر العباسي أبو تمام والبحتري. ثم جاء العصر الحديث فكان شوقي وحافظ. يشعر القارئ والناقد أنهما امتداد للشعراء العظام في العصور الذهبية للشعر العربي.

فأحمد شوقي هو أمير شعراء العصر الحديث، وقد بُويع بإمارة الشعر من حشد كبير من الشعراء من شتى أنحاء الوطن العربي، وفي مقدمتهم حافظ إبراهيم نفسه، الذي جاء إلى الحفل مبايعًا أحمد شوقي بإمارة الشعر، فقال: [1]

أميرَ القوافي قد أتيتُ مبايعًا وهذي وفود الشرق قد بايعت معي

لهذه الدرجة كانت مكانة شوقي الأدبية ومنزلته الفنية. وقد قيل: لولا المتنبي لكان شوقي أشعر العرب. فقد تعدَى شوقي أقرانه من الشعراء المعاصرين، وصار يناطح الفحول من الشعراء العرب القدامى. حتى وصل بعض النقاد إلى "أن شوقي شاعر العربية كلها؛ حاضرها ، وماضيها ، قديمها الغابر، وحديثها القائم. أما مستقبلها فغيب لا يعلمه إلا الله"[2]

أما حافظ إبراهيم فهو شاعر النيل وشاعر الوطنية وشاعر الشعب، ألقاب تشير كلها إلى مكانة حافظ في نفوس الشعب المصري بمختلف أطيافه وفئاته. ولئن تفوق شوقي في فنون المدح والوصف والمسرح الشعري على مَن عداه من الشعراء – ومنهم حافظ – فإن "حافظًا سبق شوقي في فنين اثنين هما الرثاء ووصف الكوارث، وسر ذلك أنه كان يحس بالفجيعة في أعماق نفسه بسبب ما عاناه في حياته الأولى من عنت الدهر وقسوة الأيام"[3]

لقد شكّل هذان الشاعران معًا ظاهرة فنية وأدبية نادرةً قلما جاد الزمان بمثلها في أي عصر من العصور الأدبية السابقة، فقد كانت لهما حالةٌ خاصة شديدة الخصوصية، قد تفرّدا بها. وتلك الخصوصية وذلك التفرّد ينبع من:.

---

[1] ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ط3، ص 128

[2] المتنبي وشوقي، عباس حسن، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وشركاه، ط1، 1951، ص 2

[3] حافظ إبراهيم شاعر النيل، عبد الحميد سند الجندي، دار المعارف، ط4، ص 13

أولاً: الشاعران كلاهما يتمتعان بالجنسية المصرية، بل ولديهما من الحس الوطني والغيرة على مصر ما لا يملكه الكثيرون. ولكن نسبهما يمتد إلى أصول تركية معروفة، وتجري في عروقهما الدماء التركية.

ثانيًا: الشاعران كلاهما يشعران بحماسة منقطعة النظير تجاه الخلافة العثمانية والخليفة السلطان عبد الحميد الثاني خاصة، لما تمثله الخلافة من قيمة دينية وسلطة روحية في نفوس جموع المسلمين في شتّى ربوع العالم الإسلامي.

ثالثًا: ارتبط الشاعران الكبيران بعلاقة صداقة قوية متينة لفترة زمنية طويلة، وعلى الرغم على التنافس الشديد بينهما في ميدان الشعر والفصاحة، إلا أن صداقتهما بقيتْ نقية صافية، لم تستطع الغيرة المعتادة التي تكون بين الأقران أن تُعكِّر صفوها أو تنتقص منها.

رابعًا: اتفق الصديقان وتشابها في روافد الثقافة التي ينهلان منها وهي الشعر العربي القديم، ذلك المنهل الذي طالما شكّل لهما معًا المرجعية الأساسية التي يعودان إليها ويقتبسان منها جميع المشاعر والأفكار والأخيلة والقناعات الشخصية.

ولكل تلك الأسباب وُجدتْ للشاعرين تلك الخصوصية التي فرضت نفسها على الحياة الأدبية، والتي شكّلتْ عنصر جذب للباحثة جعلها تُقدِم على البحث والاستقصاء في شعرهما.

فنحن إذن أمام شاعرين فذّيْن، يتفوق أحدهما في بعض فنون الأدب والشعر، ويتفوق الآخر في فنون أخرى. بيد أن الشاعرين يربطهما معًا رابط الأصل التركي العربي المشترك، إلى جانب رابط العبقرية الفنية والموهبة الشعرية. وتلك مصادفة نادرة تتطلب من الأدباء والنقاد والمحللين أن يقفوا أمامها طويلاً، وأن يتناولوها بالكثير والكثير من الأبحاث والدراسات النقدية.

ومن هنا جاءت أسباب اختيار دراسة الآثار التركية في شعر أحمد شوقي وحافظ إبراهيم بالبحث والتحليل، وهذه الأسباب هي:

1- الظروف الاجتماعية والاقتصادية المتباينة للشاعرين، والتي تنبئ بتفاعل مختلف مع مختلف القضايا السياسية والاجتماعية والدينية والقومية.

2- الأصول العرقية المتشابهة لكلا الشاعرين. تلك الظروف التي تثير التساؤل حول كيفية تناولهما للقضايا التي تهم كل مسلم وكل عربي.

3- الروافد الثقافية المشتركة بين الشاعرين كلاهما

4- اهتمام الشاعرين كلاهما بما يتعلق بالخلافة العثمانية والعِرق التركي والأحداث الدائرة على الساحة السياسية والاجتماعية.

5- تصدُّر الشاعرين لمدرسة أدبية جديدة هي مدرسة الإحياء والبعث، وترأسهما للاتجاه المحافظ في الشعر في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين

6- الرسائل الجامعية المقدّمة حول الشاعرين كانت في معظمها دراسات وصفية، تتناول الأغراض الشعرية في دواوين الشاعرين. أو تتناول جانبًا فنيًا واحدًا لدى كل شاعر على حدة.

7- عدم وجود أطروحات جامعية تناقش الآثار التركية في ديواني الشاعرين، على الرغم من كثرتها وحضورها الفني القوي.

...

ولكل تلك الأسباب جاءت أهمية هذا البحث الذي يثير عددًا من التساؤلات حول مسألة الإبداع الفني. فكثير من الشعراء قد يتناولون مسألة ما في أشعارهم، لكن ما الذي يمتاز به شاعرٌ عن

شاعر آخر. أيكون هو استخدام أدوات اللغة بشكل مختلف وتطويع المفردات والتراكيب لتتواءم مع غرض الشاعر؟ أم إنها الألوان البلاغية التي يتفنن الشاعر في استخدامها بصنعة أو تصنُّع؟ أم إن الروافد الثقافية الخارجية التي يستعين بها الشاعر لتكوين فضاء شعري أوسع وأرحب؟ أم إنها تلك الأسباب مُجتمعةً؟

وقد تناولت بعض الأطروحات والدراسات الجامعية شعر أحمد شوقي وحافظ إبراهيم بالبحث والتحليل من جهات مختلفة، فبعضها دراسات وصفية، وبعضها دراسات تحليلية، وبعضها دراسات مقارنة، وذلك باستعمال مناهج وطرق بحث مختلفة. وفيما يلي بعض الدراسات الجامعية التي ناقشت شعر الشاعرين الكبيرين:

1- الأخلاق في شعر حافظ إبراهيم، وهي أطروحة لنيل درجة التخصص "الماجستير" من قسم الدراسات العليا( فرع الأدب) بكلية اللغة العربية في جامعة أم القرى بالمملكة العربية السعودية. وقد أعدت تلك الأطروحةَ الباحثة/ فوزية بنت عبد الله بن عايض المنتشري الشمراني. وذلك في العام الجامعي 2009- 2010م.

2- إسلاميات أحمد شوقي دراسة نصية تناصية، وهي أطروحة لنيل درجة العالمية "الدكتوراه" في الأدب الحديث، وذلك بقسم اللغة والأدب العربي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية بجامعة أبي بكر بلقايد بمدينة تلمسان في الجمهورية الجزائرية، في العام الدراسي 2006- 2007م. وقد قام بإعداد تلك الأطروحة الباحث/ عبد الرحمن بغداد.

3- موسيقى الشعر السياسي في ديوان حافظ إبراهيم دراسة تحليلية في العروض والقوافي. وهي أطروحة لنيل درجة العالمية "الدكتوراه" بكلية الآداب والعلوم الثقافية بجامعة سونن جاليجاكا بإندونيسيا في العام 2013م. وهذه الأطروحة مقدمة من الباحثة/ تشرفة.

4- دراسة مقارنة بين الشاعرين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم. بحث مقدم لنيل درجة العالمية "الدكتوراه" في اللغة العربية وآدابها، من قسم اللغة العربية بكلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، سنة 2017م. وقد أعد هذا البحث الطالب/ عبد الرحمن حسن سدي مرسال.

5- Nil_şairi Hafız İbrahim ve siyasi şiirleri – Ahmet Yildiz

وهذه أطروحة لنيل درجة لنيل درجة العالمية "الدكتوراه" بقسم اللغة العربية بكلية الإلهيات "الشريعة" بجامعة نجم الدين أربكان، بدولة تركيا.

...

وقد استعانت الباحثة في أثناء عملها على هذا البحث بعدد وافر من المصادر والمراجع التي تنوعت ما بين مراجع عربية قديمة، ومصادر أدبية حديثة، ودوريات علمية محكمة، ومجلات علمية معتمدة، ومصادر أجنبية مترجمة وقد أثرى هذا التنوعُ في المراجع والمصادر البحثَ بكمّ كبير من المعلومات والمعارف.

أما عن منهج البحث فقد استعملت الباحثة المنهج التحليلي المقارن، أي باستخدام أدوات المنهج التحليلي الثلاث؛ التفسير، والنقد، والاستنباط.

فالباحثة ستحاول تناول الظواهر الفنية المتصلة بالآثار التركية لدى الشاعرين بالتفسير حسب أحداث التاريخ آنذاك وظروف المجتمع المصري والأمة الإسلامية. ثم بعد مرحلة التفسير تأتي مرحلة النقد الفني، حيث ستتناول الباحثة تلك الظواهر الفنية بالنقد من كافة المناحي؛ الموضوعية أو البلاغية

أو التاريخية أو النصية.....إلخ. ثم تأتي مرحلة الاستنباط وفيها تحاول الباحثة الخروج بنتائج فنية جديدة قائمة على المرحلتين السابقتين. وتلك النتائج – التي تتسم بالجدة والموضوعية – تصلح أن تكون حجر الزاوية لأبحاث علمية وأعمال نقدية قادمة تخص الشاعرين.

ويعضد المنهجَ التحليليَّ هنا المنهجُ المقارنُ، حيث يتناول البحثُ شاعرين معًا من زاوية فنية واحدة، فبحكم المنطق ستحدث مقارنة بين الشاعرين في طريقة تناولهما لتلك الزاوية.

وأما خطة البحث فقد جاءت على النحو الآتي:.

1- المهاد التاريخي: وفيه تقدم الباحثة عرضًا للظروف الفنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي سادت وقت ظهور الشاعرين، بما تمثّله تلك الظروف من إرهاصات تشير إلى الخصائص والسمات الفنية لدى كل شاعر منهما. فمن المسلّم به أن الشاعر ابن بيئته، ومُعبّر عنها، فهو يتأثر بكافة الظروف المحيطة به، اجتماعيًا واقتصاديًا وسياسيًا ودينيًا. ولذلك كان ذلك التمهيد من الأهمية بمكان.

2- الباب الأول:حياة الشاعرين وثقافتهما. ويتكون من فصلين:.

أ- الفصل الأول: أحمد شوقي النشأة والحياة والثقافة

ب- الفصل الثاني: حافظ إبراهيم النشأة والحياة والثقافة

3- الباب الثاني: نماذج من الآثار التركية في شعر شوقي وحافظ. ويتكوّن بدوره من فصلين:.

أ- الفصل الأول: الآثار التركية في ديوان أحمد شوقي، وقد اشتمل هذا الفصل على عدد من المباحث وهي:

- المبحث الأول: ذكر الخليفة والخلافة العثمانية

- المبحث الثاني: ذكر آل عثمان والعنصر التركي
- المبحث الثالث: وصف المعارك
- المبحث الرابع: دور المرأة والشيوخ في الحروب
- المبحث الخامس: وصف المدن والمعالم المشهورة

ب- الفصل الثاني: الآثار التركية في ديوان حافظ إبراهيم، ويشتمل كذلك على عدة مباحث، منها:

- المبحث الأول: الخليفة والخلافة العثمانية
- المبحث الثاني: تمجيد العنصر التركي
- المبحث الثالث: وصف الجيش العثماني
- المبحث الرابع: وصف المعالم التركية

ج- الفصل الثالث: مقارنة فنية بين حافظ وشوقي.

ثم نختتم البحث بمقارنة سريعة بين تناوُل الشاعرين للآثار التركية، وأهم عوامل الاتفاق والاختلاف بينهما. مع ذكر أهم النتائج والتوصيات التي خرج بها البحث.

ويجدر بي هنا أن أشير إلى أنني لم آلُ جهدًا في سبيل إخراج هذا البحث بالصورة التي تليق بشاعرين كبيرين عظيمين مثل أمير الشعراء أحمد شوقي، وشاعر النيل حافظ إبراهيم. فمثلهما جدير بدراسةٍ تكشف عن مكامن العبقرية والتفرُّد في شعره. ولكن هذا بحث علمي مُعرّض للقصور والضِّيق عن الإحاطة بكل مباحث الموضوع قيد الدراسة. ولهذا فاللهَ أسأل أن يوفقني إلى تقديم بحث يكون لبنة

في صرح الأدب العربي الشامخ، كما أسأله تعالى أن يُتمّم نقصي ويجبر كسري، وأن يتقبل هذا العمل لديه بقبول حسن.

والله وليّ التوفيق

الباحثة

رانيا عبد الحميد محمد علي زيدان

## مهاد تاريخي

## حالة الشعر في ظل الدولة العثمانية

### أولاً: في عصر المماليك والعثمانيين:

لقد عاش الشعر عصورًا زاهرة زاخرة بالفنون والأغراض الشعرية، معتمدًا على رصيد هائل من الموروث الشعري الذي تميز بكل أسباب الفصاحة والقوة منذ العصر الجاهلي مرورًا بالعصر الإسلامي ثم الأموي فالعباسي والأندلسي وتلاها العصر الأيوبي. وقد استمر الحال بالشعر على تلك القوة والفصاحة حتى بدأ في الضعف والاضمحلال بقدوم العصر المملوكي. ويرجع ذلك الضعف البائن إلى أن المماليك كانوا من قوميات مختلفة، وينطقون بألسنة مغايرة للسان العربي" وقد عاشت دولة المماليك الأعاجم الذين ينتمون إلى جنسيات مختلفة في الشرق العربي الذي أضحت مصر قلبه النابض ووريثة الزعامة الدينية والسياسية والثقافية ثلاثة قرون تميزت بالاضطراب السياسي العنيف، حتى إن بعض السلاطين لم يمكث في الحكم إلا بضعة أيام أو بضعة شهور"[4]

فقد كان لظروف العصر أثرها القوي في ضعف الشعر، حيث كان عصرًا مليئًا بالاضطرابات السياسية وكذلك كان عصرًا حربيًا بامتياز، فقد كانت الدولة المملوكية تهتم بالأمور العسكرية أكثر من اهتمامها بالشعر والأدب، فابتعد الشعراء عن أبواب الملوك والأمراء، إلا قلة قليلة ظلت واقفة على أبواب الأمراء وأولي الأمر. ولكنهم اعتمدوا- مع الأسف- على الموضوعات الركيكة والمحسنات البديعية المتكلفة. فأضحى الشعر بعيدًا كل البعد عن الروح الشعرية العربية الأصيلة. وأضحت البلاغة مجرد لعب

[4] دراسات في الأدب العربي الحديث، د. محمد مصطفى هدارة، دار العلوم العربية، ط1، 1990ص 12

بالألفاظ ومحسنات بديعية مقصودة لذاتها، لا لخدمة المعني أو إفادة السياق. " وشُغل الشعراء في العصر المملوكي بأغراض تافهة تدور حول ألوان من الدعابة والهزل والمجون"[5]

ولكن هذا لا يعني أن هذا العصر كان خاليًا من الشعراء الجيدين الذين كانت لهم أشعار جيدة، لكنهم كانوا فئة قليلة لا يقومون وحدهم بدفع عجلة الشعر إلى الأمام، ولا يستطيعون تطوير أدوات الشعر بمعزل عن البيئة الفنية والثقافية السائدة. هذا إلى جانب عدم قدرتهم على المحافظة على الموروث العامر الذي تركه لهم الأقدمون.

ومن هؤلاء المجيدين نجد صفي الدين الحلي ( 752هـ - 1351م ) وسراج الدين الوراقي( 695هـ - 1295م) وغيرهما ...

ومع أنهم كانوا أفضل من أقرانهم،"لكننا نحس في أشعارهم ضعف الفكرة وضحالتها، والاهتمام المطلق بالزخارف البديعية، وتهافت الصياغة وميلها إلى الأسلوب العامي. وقد اتجه معظمهم إلى المديح النبوي بسبب الإغراق في الاتجاه إلى الصوفية..... ولكنهم جعلوا من هذا المديح مجالاً لعرض فنونهم البديعية منذ كتب البوصيري " محمد بن سعيد 696هـ - 1296م" بردته وسار الشعراء على منواله، حتى سميت هذه المجموعة من المدائح النبوية " البديعيات"[6] لما تحويه هذه المدائح من كم هائل من المحسنات البديعية من سجع وجناس وغيرها من المحسنات البديعية.

مر الشعر بمراحل مختلفة بين ضعف وقوة، وقوة وضعف، في ظل الدولة العثمانية، وقد كان لذلك الضعف أسباب عدة. فقد اتسعت رقعة الدولة العلية حتى ضمت مصر والشام سنة 923هـ، وانتقلت معالم الخلافة إلى الأستانة في عهد السلطان سليم الأول، وزادت الفتوحات في عهد السلطان

---

[5] المصدر السابق، ص 14

[6] المصدر السابق نفسه ، ص 14

سليمان القانوني، فقد سار على نهج والده العظيم السلطان سليم الأول. فقد تطلع إلى مد رقعة الدولة العلية شرقًا وغربًا، شمالاً وجنوبًا. وكثرت الفتوحات والحروب آنذاك وأصبحت الشغل الشاغل للسلاطين، ولا ضير في ذلك. فقد أسفرت تلك الفتوحات عن دولة فتيّة تضم مسلمي العالم تحت رايتها "وهذا من محاسن هذه الدولة، إضافةً إلى توحيد المسلمين تحت لوائها، ووقوفها في وجه الزحف العدواني، كما قامت ببناء المساجد ولاسيما في أوربا. وقامت ببناء القصور والمعالم الإسلامية، كما أوجدت الأساطيل الإسلامية المدافعة عن المسلمين. وقامت بكثير من الفتوح، وكانت بمثابة الأم لرعاياها من المسلمين، والخليفة كالأب الرحيم. وقد اهتمت – بالإضافة إلى ما سبق- بطريق الحاج وتسهيل أموره لأداء فريضة الإسلام. وبنت سكة الحجاز من إسطنبول إلى المدينة المنورة"[7]

وعلى الرغم من تلك المآثر التي خلفتها الدولة العثمانية، إلا أنه لكل جواد كبوة. وقد كانت كبوتها في إهمال الأدب العربي عامة والشعر خاصة، حيث إن الولاة لم يعيروا الشعراء أي اهتمام، ويرجع ذلك إلى أسباب عديدة، منها:

- لم يتعلم كثير من الولاة اللغة العربية، فضلا عن الاستماع إلى الشعر العربي
- انصب اهتمام الولاة على النواحي العسكرية والاقتصادية، وأهملوا الأدب والأدباء

فأخذ المستوى الفني للشعر في الهبوط، وإن كان قد بدأ في الانحدار بشكل ما منذ العصر المملوكي بسبب إهمال اللغة العربية.

[7] الأدب العربي الحديث، د. مسعد بن عيد العطوي، مكتبة الألوكة، ط1، 2009، ص 7

إذًا، بداية إهمال اللغة والأدب لم تكن في ظل الدولة العثمانية بل إن" هذا الأمر سبقهم به الأتراك المماليك، لكن المماليك أهملوها في تعاملهم مع بعضهم وفي كلامهم، ولم يهملوها كلسان رسمي للدولة، أما العثمانيون فأهملوها كليّةً، وبالتالي اختفت العواصم الأدبية بعض الشيء"[8]

كما أن لسوء الأحوال الاجتماعية والاقتصادية كبير الأثر على الشعراء، فكيف لهم أن ينظموا الشعر وهم يعانون الفقرّ؟! وكيف لهم أن ينهضوا بالشعر ويرتقوا به وقد أغلقت أبواب الحكام والولاة في وجوههم إلا في القليل النادر من محبي الشعر والأدب من الولاة؟ وبالطبع لم يكن هذا القليل النادر كافيًا للنهوض بالشعر والارتقاء بموضوعاته. فنتج عن ذلك شعرًا ركيكًا خاليًا من الفكر، متكلفًا، مليئًا بالمحسنات المجتلبة اجتلابًا ولا تخدم السياق في شيء ولا تعلق لها بالمعني.

" فكان الشعر أيام الأتراك العثمانيين على ما عُرف من ركاكة الأسلوب، وضعف المعنى، والولوع بالمحسنات البديعية، والنظم في تافه الأغراض وسقيم المعاني. ووجدنا العامي والدخيل يملأ ألفاظه بالعي والعجز والحصر، وعاش الشعراء بعيدًا عن الأمراء وأمثالهم، إذ لم يجدوا فيهم آذانًا صاغية أو قلوبًا واعية ولم يجدوا فيهم نفوسًا تطمح إلى نهضة أدبية مزدهرة"[9] ضعف شديد وركاكة، وانصراف عن الموروث الشعري العربي الأصيل، وإهمال من الأمراء والحكام للشعراء والأدباء. بيئة مثالية لها نتيجة وحيدة ومنطقية، شعر عربي يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة "فلم يبق في الشعر إلا رمق ضعيف، كان يتيح له الحياة ولكن أي حياة؟ الحياة الخامدة التي لا تغذي روحًا ولا تمتع شعورًا. وكأنما أصبح الشعر ثمارين عروضية مثقلة بكلف البديع التي تخنق الشعر خنقًا ولا تكاد تُبقي فيه على حياة"[10]

---

[8] المصدر السابق ص 8

[9] حركات التجديد في الشعر الحديث، محمد عبد المنعم خفاجي، ص 11

[10] حافظ وشوقي وزعامة مصر الأدبية، شوقي ضيف، مجلة فصول، المجلد الثالث، العدد الثاني، 1983، ص156

فلكل هذه الأسباب ولغيرها، كان أكثر الشعر إبان تلك الفترة يعاني من تفاهة الموضوع، وركاكة الأسلوب، وسقم المعاني، وكثرة المحسنات البديعية حيث كان الشعراء العرب ينظمون الشعر متأثرين بنماذجه في العصر العثماني التي ضعفت فيه البلاغة العربية واضطربت فيه الأذواق الأدبية وفسدت فيه الملكات، وغلبت فيه على الشعر الركاكة والابتذال والمحسنات البديعية اللفظية التي لا يتطلبها المعنى، ولا يستدعيها المقام ولا يستفيد منها القارئ شيئًا. وشاع فيه نظم الشعر في الأغراض التافهة.

وعلى الرغم من أن تلك السمة كانت غالبة على العصر كله، إلا أن هذا لا ينفي وجود أمراء اهتموا بالشعر والشعراء، كما لا ينفي وجود شعراء عظام إبان تلك الفترة ولكنهم قلة لا نستطيع القول بتعميمها على العصر كله، ولا على جميع الولاة والأمراء. ولا يعد هذا تجنيًا أو جورًا في الحكم على عصر بأكمله، بل إنه من قبيل إجراء المقابلات والمقارنات بين عصر وعصر وحالة أدبية مشابهة. وكما أسلفنا فقد كان هذا العصر عصرًا حربيًا بامتياز، ومضى على تلك الحالة من الضعف والسقم إلى عصر محمد علي ومن بعده إسماعيل، وكانت حركة الإصلاح السريعة مادية عسكرية ولم تكن أدبية فكرية، فلم ينتفع بها من الشعراء إلا القليل.

**ثانيًا: في العصر الحديث:.**

على الرغم من النزعة العسكرية لهذا العصر إلا أن بعض الولاة والحكام قد قربوا الشعراء وقدموهم ومنحوهم مكانةً عالية واختصوهم بالعطايا الجزيلة والمكافآت الكثيرة. نجد من هؤلاء السيد علي درويش الذي كان شاعر القصر زمن الخديوي عباس الأول، ومنهم علي الليثي شاعر الخديوي

إسماعيل. واتصل أمثالهما من الشعراء بالأمراء فسجلوا محامدهم ومفاخرهم، ورفعوا ذكرهم بقصائد المديح.

ومن بين الولاة الذين عرفوا قيمة الأدب واهتموا به يبرز اسم الخديوي إسماعيل، حيث زاد في عهده إرسال البعثات العلمية إلى أوربا مما فتح قناة اتصال واسعة بين رهط من الأدباء والشعراء وبين الآداب الأوربية الحديثة، فأعطى الحركة الأدبية زخمًا واسعًا ونشاطًا فوّارًا أرسل بدماء جديدة في الأدب العربي إبان بدايات حكم الأسرة العلوية في مصر.

وفي خضم ذلك النشاط ظهر الشاعر محمود سامي البارودي ولمع نجمه بوصفه رائدًا لاتجاه جديد ومؤسسًا لمدرسة أدبية شعرية جديدة سيكون لها بالغ الأثر في النهوض بالشعر العربي من كبوته وبعثه من جديد. فبعد أن ظل الشعر في ركود وهمود في العصر العثماني – إلا فيما ندر – نجد البارودي وقد نفخ في الشعر الروح فأحياه مرة أخرى من سباته العميق، فسُميت مدرسته الشعرية " مدرسة الإحياء والبعث" تيمنًا بحياة جديدة وبعثًا آخر للشعر العربي الحديث" وبذلك كان البارودي أول شعراء النهضة الحديثة وهو الذي ردّ الديباجة الشعرية إلى بهائها وصفائها القديمين. ووضع البارودي في القوالب الفنية المأثورة تفكير عصره وأحلام معاصريه. وصار يطلق على شعره وشعر معاصريه ممن تأثروا به شعر مدرسة الإحياء والبعث"[11]

يتجلى لنا مما سبق أن البارودي قد حافظ على الشكل القديم للشعر، وجدد في الموضوعات والأفكار. فنجد البحور الشعرية القديمة والأساليب والأدوات البلاغية نفسها التي شاعت لدى القدماء. بيد أن البارودي هجر التكرار في الموضوعات الراكدة التي استسلم لها القدماء وسُجنوا أنفسهم

[11] مدارس الشعر الحديث، محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1991، ص 12

بين جدرانها، كما ترك المحسنات البلاغية المتكلفة التي كانت تُفرض على القصيدة فرضًا، وإن لم يكن السياق في احتياج لها. فسلك البارودي مسلكًا جديدًا. فحافظ على الشكل وجدد في المضمون.أحيا التجديد وأمات التقليد، اتبع سبيل القدماء في شكل القصيدة وخالفهم في المعاني والأفكار التي حُملت في الأحرف والكلمات. فكان شعر البارودي "النموذج الحي الذي احتذاه الشعراء من بعده، وساروا على نهجه في أسلوبه وأغراضه وذلك لأنه أتى بشعر جزل، رائق الديباجة، عذب النغم في حقبة ساد فيها شعر الضعف والصنعة، وضحالة المعنى وعقم الخيال"[12]

إذن فالبارودي هو الذي وضع اللبنة الأولى في تلك المدرسة الشعرية الجديدة التي حملت على عاتقها إحياء الشعر وبث الروح فيه مرة أخرى. وكان المبدأ الذي قامت عليه هذه المدرسة وذلك الاتجاه الشعري هو النهل من المعين الصافي الذي نهل منه شعراؤنا الأوائل، ذلك المنهل العذب الذي يتمتع بجزالة اللفظ وقوة المعنى والابتعاد عن المحسنات البديعية المتكلفة. وقد تصدر البارودي هذا الاتجاه الشعري بسبقه وقوة شعره وموهبته التي أهّلته ليكون بحقٍ رائد التجديد ومؤسس المدرسة التي كانت حجر الزاوية في بناء النهضة الشعرية العربية الحديثة.

" فإمام الشعراء في هذا الطور الحديث هو بلا ريب محمود سامي البارودي، صاحب الفضل الأول في تجديد أسلوب الشعر وإنقاذه من الصناعة والتكلف العقيم وردّه إلى صدق الفطرة وسلامة التعبير"[13]

[12] مشكل مصطلحي الحديث والمعاصر في الأدب العربي، محمد عبد الله سليمان، مكتبة الألوكة، 2017، 31
[13] شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، عباس محمود العقاد، مكتبة النهضة المصرية، 1937، ص 15

وبعد أن أسس البارودي مدرسته وثبت جذورها في الحياة الأدبية في مصر، امتدت فروعها إلى العالم العربي بأقطاره المختلفة، فنجد تأثير مدرسة الإحياء والبعث واسعًا وشاملاً للكثير من البلاد العربية، وليس مقتصرًا على مصر فقط.

فعلى سبيل المثال نجد صدى تلك المدرسة قد وصل السودان متمثلاً في الشاعر محمد سعيد العباسي(1386هـ - 1956م ) والشاعر عبد الله الطيب المجذوب ( 1340هـ - 1921م ) الذين تأثرا بشكل واضح بالبارودي ومدرسته واتجاهه الشعري.

كما وصل العراق، فنجد كلا من الشاعر محمد مهدي الجواهري( 1308هـ - 1900م) والشاعر أحمد صافي النجفي( 1398هـ - 1977م ) . وفي الشام نجد فؤاد الخطيب وشكيب أرسلان .

أما في مصر فحدّث ولا حرج، فالكثير والكثير من شعراء تلك الحقب الزمنية قد وجدوا في البارودي ومدرسته ضالتهم، فاتبعوا تقاليدها واتخذوها مذهبًا شعريًّا جديدًا أحق بالاتباع مما مضى. وقد لمع إبان تلك الفترة شعراء كبار من أمثال على الجارم، وإسماعيل صبري، وأحمد محرم، ومصطفى صادق الرافعي، وحفني ناصف، وغيرهم ممن تبعوا البارودي في مدرسته.

ولكن يأتي على رأس شعراء تلك المدرسة الشعرية الجديدة ممن تتلمذ على يد محمود سامي البارودي" رب السيف والقلم" شاعران من الفحول هما أمير الشعراء أحمد شوقي، وشاعر النيل حافظ إبراهيم، اللذان بعثا عصر جرير والفرزدق وأبي تمام والبحتري وأبي نواس والمتنبي من جديد. ولا غرو فالدرجة التي بلغها شوقي وحافظ لم يبلغها أحد من الشعراء من بعد الفحول الذين ذكرناهم آنفًا.

وقد حمل شوقي وحافظ معاً لواء مدرسة الإحياء والبعث من بعد محمود سامي البارودي، فعدهما النقاد رأس المذهب الكلاسيكي المحافظ، مع الامتزاج بالثقافة الحديثة التي تربيا عليها وعاشا فيها.

ولعله من حُسن الطالع أن يجتمع فحلان كبيران في زمن واحد ويتبعان مدرسة شعرية واحدة بل ويتشربان ثقافة واحدة. مما أعطى رسوخًا كبيرًا وثقلاً هائلاً لذلك الاتجاه الجديد في مواجهة ما سبقه من أسباب ودواعي الركاكة والضعف، وما سيليه من موجات التغريب ومحاولات هدم التراث الشعري العربي القديم.

# الباب الأول

## حياة الشاعرين وثقافتهما

شاءت إرادة الله أن يظهر في مصر في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين شاعران عظيمان، يُعدان معاً من خير مَن أنجبت أرض الكنانة في ميدان الشعر. فقد طبقت شهرتهما الآفاق وعلا شأنهما بين الشعراء والنقاد على السواء. فلا يُذكر الشعر العربي الحديث إلا ويُذكر شوقي وحافظ ، لما لهما من المكانة العالية والشأن الخطير مما يضعهما في مصاف الفحول من الشعراء.

وقد كان شوقي وحافظ كفرسيْ رهان، أو توأم شعر، فلا يُذكر شوقي إلا ويتوارد ذكر حافظ على الذهن، وكأن الله قد أراد أن تكون نفخة البعث التي تحيي الشعر بعد مواته قويةً فتيّة، يمسك بزمامها اثنان من عباقرة الشعر كشوقي وحافظ، ليتسع الأثر وتعم الفائدة.

وحريٌّ بمدرسة البارودي مؤسسها ورائدها وشوقي وحافظ الإمامين والنبراسين فيها أن تأخذ بيد الشعر العربي كله وتنتشله من حالة الضعف والجمود التي عصفت به قرونًا عديدة، وترتفع به إلى أفاق رحبةٍ وقمم سامقة لم يبلغها الشعر منذ أن مات المتنبي شاعر العربية الأكبر.

وليست المدرسة الشعرية هي ما جمعت الشاعرين الكبيرين فحسب، بل إن أسباب التلاقي ومبعث القرب بينهما أبعد غورًا. فالأصول التركية لكلٍّ منهما، والثقافة الحديثة، والخلفية الثقافية كلها من العوامل المشتركة التي قرّبت بين شوقي وحافظ.

نعم، لكلٍّ منهما أسلوبه الخاص المتفرد الذي لا يباريه فيه أحد، ولكلٍّ منهما فضاؤه الشعري الذي يسبح فيه بلا حواجز أو حدود، رغم ذلك فإن ثمة تشابهًا ملحوظًا بينهما لا تخطؤه العين الناقدة.

ورغم التباين الكبير في الحياة الاجتماعية وظروف المعيشة بين شوقي وحافظ إلا أنهما في ميدان الشعر قرينان، والمقارنات بينهما لا تنتهي.

ولكل هذه الأسباب، كان من الواجب أن نبدأ هذا البحث بالتنقيب في حياة كلا الشاعرين، علّها تكون مدخلاً مناسبًا لفهم التجربة الشعرية والأسلوب الذي وسم شعرهما. فالشاعر أولاً وأخيرًا إنسان يعبر عن عصره بالشعر والكلمات، وللظروف الاجتماعية بل والمادية بالغ الأثر في تشكيل البُنى الشعرية والأساليب الفنية التي ينصبغ بها شعر الشاعر، وللخلفية الثقافية والمعرفية دور مهم في تحديد نقاط الانطلاق عند الشروع في نقد الشعر وتقييم التجربة الشعرية لشاعرٍ ما.

ومن هنا جاء الباب الأول في هذا البحث مشتملاً على فصلين:

الفصل الأول: أحمد شوقي: الحياة والنشأة والثقافة

الفصل الثاني: حافظ إبراهيم: الحياة والنشأة والثقافة.

ونناقش الحياة الاجتماعية لأحمد شوقي وحافظ إبراهيم، ومدى تأثيرها على كلٍّ منهما. كما نناقش الفروق بين الحياتين، تلك الفروق التي ستعيننا – بإذن الله – على فهم عقلية الشاعرين كلّ على حدة.

## الفصل الأول

# أحمد شوقي

## النشأة والحياة والثقافة

## أولا: النسب والنشأة:.

لم يُر من الشعراء من هو متعدد الأصول كأحمد شوقي، فهو بمثابة المزيج الذي يجمع أعراقًا وسلالاتٍ في كيان واحد. على أن فطرة شوقي المتفردة، وحسه المرهف قد أفاد من هذه الأعراق المتعددة وتلك الثقافات المختلفة. فصار كمصبٍّ ترفده جميع تلك الروافد الثقافية كلها.

هو أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي. وقد "اختلف النقاد ومؤرخو الأدب حتى فيما يتصل بسنة ميلاده وهل هي سنة 1868 أم 1869م أم 1870؟!"[14]، فنجد سكرتيره الخاص يؤكد على أن أمير الشعراء قد وُلد عام ألف وثمانمائة وثمانية وستين(1868م )[15] بحي الحنفي بالقاهرة. غير أنه توجد مصادر أخرى تشير إلى أنه قد وُلد في السادس عشر من شهر أكتوبر سنة ألف وثمانمائة وسبعين[16]، وذلك كما ورد في شهادة الليسانس التي حصل عليها من كلية الحقوق بباريس" تلك الشهادة التي كانت محفوظة وموجودة لدى ابنه حسين شوقي.

وقد أفاض شوقي في الحديث عن نسبه وأصوله وعائلته، ولعله من الأوثق أن نسرد ما قاله شوقي عن نفسه. يقول أمير الشعراءأحمد شوقي: " سمعت أبي رحمه الله يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب. ويقول: إن والده قدِم هذه الديار يافعًا يحمل وصاة من أحمد باشا، وكان جدي وأنا حامل اسمه ولقبه

[14] شعر شوقي الغنائي والمسرحي، طه وادي،( مقدمة الطبعة الخامسة) دار المعارف، ط5، ص3
[15] اثنا عشر عامًا في صحبة أمير الشعراء، أحمد عبد الوهاب أبو العز، ص 73
[16] شعر شوقي الغنائي والمسرحي، طه وادي، ص 11

يحسن كتابة العربية والتركية خطًّا وإنشاءً فأدخله الوالي في معيته، ثم تداولت الأيام وتعاقب الولاة الفخام، وهو يتقلد المراتب العالية، ويتقلب في المناصب السامية إلى أن أقامه سعيد باشا أمينًا للجمارك المصرية، فكانت وفاته في هذا العمل عن ثروة راضية بددها أبي في سكرة الشباب ثم عاش بعمله غير نادم ولا محروم "[17] إذاً فأحمد شوقي ينحدر من أصول كردية عربية من جهة أبيه. وأنه سَميّ جده في الاسم واللقب. كما أنّ له أصلاً جركسيًا بجدته لأبيه[18] ويُكمل شوقي حديثه قائلاً: "أما جدي لوالدتي فاسمه أحمد بك حليم ويُعرف بالنجديّ نسبةً إلى نجدة إحدى قرى الأناضول وقدم هذه البلاد فتيًا كذلك، فاستخدمه والي مصر إبراهيم باشا من أول يوم، ثم زوجه بمعتوقته جدتي، والتي أرثيها في هذه المجموعة ، وأصلها من مورة[19] ..... أنا إذن عربي تركي يوناني جركسي بجدتي لأبي، أصولٌ أربعة في فرع مجتمعةٌ"[20]وقد كانت جدته لأمه وصيفةً في قصر الخديوي. وبسبب هذه الجدة اتصل شوقي بالقصر اتصالاً وثيقًا، وعرف حياة الرفاهية والرغد والأبهة. " وكانت جدته من وصائف القصر في عصر إسماعيل، فصِلته بالخديوي منذ طفولته. ودخل مكتب الشيخ صالح عام 1873م. ثم التحق بالمدرسة الخديوية، ثم بمدرسة الحقوق عام 1885م. وفي عام 1887م أرسل توفيق شاعرنا أحمد شوقي على نفقته لإتمام دراسته في باريس"[21]

إذن، فقد التحق شوقي بمكتب تحفيظ القرآن في سن الرابعة، الأمر الذي أثر تأثيرًا عميقًا في تشكيل وجدان الطفل أحمد شوقي، وأكسبه الإحساس المرهف باللغة ومفرداتها وبلاغتها وأساليبها. فليس هناك أفضل من القرآن الكريم لصقل الذائقة اللغوية والفنية والبلاغية لدى الأطفال. ونحن نلمس

---

[17] شعر شوقي الغنائي والمسرحي، طه وادي، ص169
[18] المصدر السابق، ص 170
[19] أي من بلاد المورة وهي إحدى مقاطعات اليونان آنذاك
[20] شعر شوقي الغنائي والمسرحي، طه وادي، ص 170
[21] حركات التجديد في الشعر العربي، عبد المنعم خفاجي، ص 31

هذا في التصاق شوقي بتراثه العربي الأصيل وافتخاره بلغته الفصحى وما أنتجته من أدب رائق وشعر رائع.

ثم التحق شوقي بمدرسة المبتديان الابتدائية، ثم بالمدرسة الخديوية التي أظهر فيها نبوغًا واضحًا كوفئ عليه بإعفائه من المصروفات المدرسية. ونهل شوقي في تلك الفترة من دواوين فحول الشعراء نهلاً كبيرًا مما جعل الشعر يجري على لسانه ويحفظ كما هائلاً من الشعر في سن مبكرة.

كما كان شوقي يجيد عددًا من اللغات، منها العربية بحكم المولد والنشأة فهي لغته الأم، والتركية بحكم الأصل والنسب، كما أجاد اللغة الفرنسية نظرًا لدراسته في فرنسا" فقد بعث به الخديوي توفيق باشا ليتم علومه في أوربا"[22] وليتعلم الحقوق في فرنسا، فأقام في مونبلييه لمدة عامين لدراسة القانون، ثم انتقل إلى جامعة باريس لاستكمال دراسته فيها، حتى تخرج في كلية الحقوق سنة 1892م. وبقي شوقي في فرنسا بعد ذلك لمدة أربعة شهور لدراسة الأدب الفرنسي وذلك قبل مغادرته فرنسا وعودته إلى مصر. " ولا شك أن فترة الدراسة في أوربا من أهم الفترات في حياة الشاعر، وكان لها نتائج بالغة في جميع أطوارها"[23] فقد تشرّب شوقي في هذه الفترة الأدب الغربي الحديث، واتسعت مداركه، ونمت موهبته بفضل ما قرأ من روائع الأدب الغربي – الفرنسي على وجه التحديد– خلال إقامته هناك.

عاد أحمد شوقي إلى مصر بعد تخرجه في كلية الحقوق، وأصبح مقربًا من الخديو توفيق. وبعد وفاة توفيق تولى ابنه عباس حلمي الحكم، وعاش شوقي في كنفه، ولكن هذا لم يدم طويلاً. فقد " نحى الإنجليز عباس الثاني عن عرش مصر سنة 1914 وأعلنوا الحماية على البلاد ونصبوا السلطان حسين كامل حاكمًا، ونفوا أحمد شوقي مع عباس الثاني حيث ظل منفيا في أسبانيا طوال الحرب العالمية

[22] الشوقيات، الجزء الأول ، المقدمة بقلم محمد حسين هيكل، كلمات عربية للترجمة والنشر، ص 16
[23] الشوقيات المجهولة- الجزء الأول، محمد صبري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ص5

الأولى"[24] إذن فقد أعلنت انجلترا حمايتها على مصر بعد انضمام تركيا إلى ألمانيا في الحرب العالمية الأولى. وقد منعت إنجلترا الخديو عباس حلمي من حكم مصر، إذ قامت بقلب نظام الحكم وأعلنت انتهاء حكم الخديوي عباس حلمي الثاني ولي نعمة شوقي، وقامت باضطهاد كل من كانت له علاقة به من قريب أو بعيد. فأمر المندوب السامي الإنجليزي باستبعاد البعض منهم ونفيهم خارج مصر، ومن بينهم أحمد شوقي، وذلك لقربه الشديد من الخديو عباس حلمي. فتم نفي شوقي إلى أسبانيا سنة 1915م.

يقول أحمد شوقي عن تلك الفترة:" ثم أخذت (انجلترا) تنفي كل من له صلة به( أي الخديوي) فأمرتني بالرحيل إلى أسبانيا، فجمعت عائلتي واصطحبت مكتبتي وسائر مرافقي وغادرت مصر إلى برشلونة..... ثم عكفت على قراءة كتب الأدب العربي في أوقات النزهة، فاستوعبت منها ما لم أكن قد استوعبته وطالعتها كلها حتى أكاد أقول إنه ليس في الأدب كتابًا لم أستوعبه خلال السنين التي مكثتها بأسبانيا. وقد ساعدني على ذلك طبيعة الجو اللطيف الذي يشبه جو الإسكندرية، وجمال المنظر الذي يحاكي ضواحي الأستانة في رشاقتها ونظامها"[25]

وليس عجيبًا أن نجد شوقي قد اختار أسبانيا لتكون منفى له وفضلها على سائر البلدان، فقد كان يربطه بها شيء كامن في ثنايا نفسه، فأسبانيا كانت مرتع الإسلام والمسلمين لثمانية قرون، وارتفعت فيها المآذن وصدحت الأصوات بالأذان في ربوعها، وبها من آثار المسلمين العديد والعديد. فمن ذلك نجده يقول في زيارة له لقصر الحمراء:[26]

ما أنافَتْ على السّواعدِ حتى الـــــ ـأرضُ طُرًّا في أسرِها والفضاءُ

[24] أعلام الشعر الحديث، محمد مندور،منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،ط1، 1970، ص42
[25] المصدر السابق، ص 5
[26] الشوقيات، 34/1

تشهد الصينُ والبحارُ وبغـــــدا دُ ومصرُ والغربُ والحمراءُ

قد ربط شوقي بين الشرق وبغداد ومصر والغرب وخص منه الحمراء لما يربطها بالعالم الإسلامي في العصور السابقة – عصر الأندلس – فكأنما يربطه بها حنين واشتياق لعبق الماضي الأريج. ولا ننسى أن شوقي عاش لفترة من الوقت في فرنسا، على مقربة من أسبانيا، ولا يفصل بينهما إلا مجموعة من الجبال، فربما تاقت نفسه إلى تلك البلاد التي لطالما شهدت مجد العرب والمسلمين. وكانت ظروف أسبانيا المستقرة تساعد على التنزه والسياحة، فقد وقفت أسبانيا على الحياد بين القوى المتناحرة والمتصارعة في الحرب العالمية الأولى.

لكن حب السفر والسياحة شيء، والنفي شيء آخر، فقد ملأ الحزن قلبه واعتصره الألم كل يوم لبعده عن وطنه ومسقط رأسه مصر.

لكن هل استسلم شوقي للحزن واليأس أثناء نفيه؟!

إذا أمعنا النظر فيما قاله شوقي فإننا نجده – على الرغم من النفي والاستبعاد والألم النفسي الكبير، إلا أنه لم ييأس ولم يقنط ولم يركن للخمول. بل لقد عكف على أمهات كتب التراث فقرأها وهضمها جيدًا، مما قوى من سليقته العربية وموهبته الشعرية. وكانت نتيجة تلك الفترة العصيبة من حياته مجموعة من الروائع الشعرية الخالدة، وكيف لا وقد نضجت قريحته واكتملت جاهزيته ليتبوأ المكانة التي تليق به على مستوى الشعر العربي كله. ولا عجب في ذلك، فقد تحرر شوقي من كل القيود التي كانت تكبله من قبل ليقول ما يرضي هذا أو ذاك. بل أصبح يكتب لنفسه ويعبر عما يجيش في صدره ويمور في داخله من مشاعر أو أحاسيس. بل كان يكتب الشعر ليُرضي ملَكة الشعر التي تملأ قلبه، ولا ترضى غلا بأن تكون هي شغله الشاغل في حياته.

وقد رأينا شوقي في الأندلس وقد وهب ديوان الشعر العربي بلآلئ نادرة من مثل:

قصيدة أندلسية، وقصيدة الرحلة إلى الأندلس وموشحة صقر قريش، ومسرحية أميرة الأندلس ..... وغيرها الكثير من روائع شعر شوقي في المنفى.

" وهكذا بقي شوقي في برشلونة حتى انتهت الحرب العالمية سنة 1918م. ثم بلغه نبأ السماح له بالعودة إلى الوطن، فطار قلبه فرحًا، وهمّ بشدّ الرحال إلى مصر، إلا أن السلطات لم تسمح له بأن يباشر رحلته على الفور..... حينئذٍ فكر في زيارة جنوبي أسبانيا والتسلي برؤية ما في مدنها من آثار عربية"[27]

ثم عاد شوقي إلى مصر عام 1919م وقد جاء إليها بفيض من الشعر المثقَّل بالألم والأسى.

عاش شوقي حياة الترف والرفاهية، وكيف لا وهو ربيب القصور منذ نعومة أظفاره منذ أن أخذته جدته لأمه مورية الأصل، والتي كانت من وصيفات القصر – قصر الخديو إسماعيل – آنذاك – وكانت تلك الجدة فيما يبدو ذات مكانة في قصر الخديو وذات حظوة عند القريبين من الخديو. ولشوقي مع جدته تلك قصة تُروى داخل القصر" فقد كان شاعرًا يوم دخلت به جدته على الخديوي إسماعيل، وهو في الثالثة من عمره. وكان بصره لا ينزل عن السماء من ارتجاج أعصابه، فطلب الخديوي بدرةً من الذهب ثم نثرها على البساط عند قدميه، فوقع شوقي – كما روى في مقدمة ديوانه – على الذهب يشتغل بجمعه واللعب به، فقال الخديوي: اصنعي معه مثل هذا فإنه لا يلبث أن يعتاد النظر إلى الأرض. فقالت: هذا دواء لا يخرج إلا من صيدليتك يا مولاي. فقال: جيئي به إليّ متى شئتِ فإني آخِر من ينثر الذهب في مصر"[28]

---

[27] مجلة فصول، المجلد الثالث، العدد الأول، أكتوبر- نوفمبر- ديسمبر 1982، ص 216

[28] شوقي، أنطون الجميل، ص 24

فتولت جدته رعايته بعد أن بدّد والده علي شوقي ثروته العالية التي خلفها له جده "أحمد شوقي" الذي كان أمينًا للجمارك المصرية، تلك الثروة التي عاش في ظلالها شاعرنا وأبوه.

أما جده لأمه حليم النجدي[29] فقد وفد إلى مصر من الأناضول في عهد محمد علي باشا، فقرّبه إبراهيم باشا ابن محمد علي، وزوجه من جارية يونانية سباها في حربه في بلاد المورة. ثم اختاره الخديوي إسماعيل وكيلاً لخاصته. ولما توفي أجرى الخديوي راتبه على زوجته، وكانت لها في القصر مكانة أثيرة، وهي التي كفلت شوقي وقامت على تنشئته.

وكما أسلفنا، فقد قال شوقي عن نفسه: إني عربي تركي يوناني جركسي، أصول أربعة في فرع مجتمعة. فكل هذه الأعراق المختلفة المجتمعة جعلت من شوقي إنسانًا مختلفًا عن غيره، مختلفًا في نفسيته، ومختلفًا في إحساسه، ومختلفًا في طريقة تعبيره عن مكنونات نفسه. فالصفات التي تتوارثها الأجيال في كل عرق تفرقه عن كل ما عداه من الأعراق الأخرى، فما بالنا لو اجتمعت كل هذه الصفات من هذه الأعراق في شخص واحد؟ وليس هذا فقط، بل إن هذا الشخص قد أُوتي قوةً شاعرةً لم يرها العرب في شاعر منذ المتنبي. ذا هو أحمد شوقي وهكذا كان.

وقد وصف النقاد طبيعة شوقي بأنها طبيعة معقدة، وردوا ذلك إلى أن فيها من الترك واليونان والشركس والعرب. هذه الأصول والأعراق المتمازجة، وتلك الحياة الأرستقراطية الرغدة الغنية، إضافة إلى ثقافة أوربية حديثة، وثقافة عربية أصيلة، كل ذلك جعل من شوقي شاعرًا ذا خصوصية شديدة في تاريخ الأدب العربي على مر عصوره الطويلة.

---

[29] نسبةً إلى نجده وهي إحدى قرى الأناضول

**ثانيا: حبه الجَليّ للترك:.**

كان شوقي يرى أن حبه للدولة العثمانية عامةً وللترك بصفة خاصة إنما هو حب للإسلام، لما لهما من علاقة قوية وراسخة بالخلافة الإسلامية ونشر الدين الإسلامي في أصقاع الأرض. وقد كانت الصراعات على أشدها بين الدولة العثمانية والغرب في ذلك الوقت، فقد كانت الدولة العثمانية آنذاك مطمعًا للغرب والروس على حدٍّ سواء وهذا من أحد الأسباب التي رسّخت حب الدولة العثمانية والترك في قلب أمير الشعراء، إذا كانت في نظره حصن الإسلام الذي يجب على المسلمين جميعًا تأييده والذود عنه ولو بسلاح الكلمة.

هذا بالطبع سبب يُضاف إلى أسباب أخرى لعل من أهمها أصوله التركية التي كان لا يفتأ يذكرها ويفتخر بها، فهي العلاقة التي توصله إلى الالتقاء بالزعامة الروحية للعالم الإسلامي في جذر واحد وأصل مشترك.

والسبب الثالث لعله يكون نشأته بين جدران قصر الخديوي وتعلقه بكل ما فيه ومَن فيه، وليس غريبًا أن يتعلق الأطفال والفتيان بما رُبوا وترعرعوا عليه منذ نعومة أظفارهم. وشوقي الطفل ثم الفتى والشاب قد نشأ في بيئة تحترم وتُجل كل ما يمتُّ للترك بصلة.

مما سبق نتأكد أن كل ما كان يحيط بأحمد شوقي سواءً في الدائرة الضيقة التي تحيط به من الأهل والأقرباء والأصدقاء، أو في الدائرة الأوسع التي تشمل الوطن والأمة كلها، كل ذلك كان يجر شوقي جرًّا نحو الترك وحب الترك والولاء للترك.

ويبدو هذا واضحًا جليًا في شعر شوقي. فأكثر هذا الشعر مُوجَّه إلى الخلافة العثمانية في الأستانة بتركيا، " ولكنك قد يدهشك مع تجلي الإيمان في هذه القصائد وغيرها أن يكون شوقي أكثر

تحدثًا عن الترك وعن الخلافة منه عن العرب وعن الرسول، فهذا الجزء الأول من ديوانه يشتمل على ثلاث قصائد عن العرب ومكة والرسالة، ويشتمل على ثماني عشرة قصيدة عن الخلافة وعن الترك"[30]

فحب شوقي للترك – في قلبه وفي شعره – واضح جليّ للقاصي والداني، ويتضح اتضاحًا صارخًا في شعره بشكل لا سبيل إلى إنكاره أو تجاهله، وهو يزداد وضوحًا وسطوعًا كلما أمعنّا النظر في قصائده التي خصص جلها للتغني بمآثر العثمانيين وأمجادهم " وقد بلغ حبُّ شوقي للترك أن كان يعتبرهم مجموعة فضائل لا تشوبها نقيصة"[31]

وهذا ليس من قبيل المبالغة من شوقي، فعندما يجتمع بالإنسان حبٌّ له علاقة بالدين والنسب ومكونات الشخصية منذ مرحلة الطفولة، فحريٌّ بهذا الحب أن يصبح جزءًا لا يتجزأ من شخصية الإنسان بل من فطرته ومفردات تكوينه، سواء أظهر هذا الحب بشكل عفوي غير متعمَّد أم بشكل إرادي مقصود." ولعل مرجع ذلك أن قد اجتمعت في الأتراك عوامل كثيرة كان لشوقي اتصال بها فكانت تهزه أكثر مما تهز سواه، فالترك فوق أنهم مقر الخلافة وقبلة المسلمين الزمنية وأصحاب السيادة على مصر، سيادة يشلها الاحتلال الإنجليزي، يجري دمهم في عروق الشاعر الكبير ومنهم أصحاب عرش مصر يومئذ الذين ببابهم وُلد شوقي وفي حماهم شبّ ونشأ"[32]

وقد دفع هذا الحب شوقي إلى نظم معظم أشعاره في التغني بأمجاد الترك والإشادة بهم ورثاء سلاطينهم والبكاء على فقدهم وزوال ملكهم. كما تحدث عن الأستانة وجمالها وطبيعتها ومعالمها مثل

---

[30] الشوقيات، ج1، ص 20
[31] المصدر نفسه، ص 21
[32] نفسه، ص 21

قصر يلدز ومسجد أيا صوفيا وغير ذلك الكثير من المعالم المشهورة ، وسيأتي ذكر ذلك في قادم الفصول إن شاء الله.

وقد اعتُبِر شوقي من أهم الداعين إلى دعم الدولة العثمانية وتأييدها والوقوف إلى جوارها في مواجهة الصراعات والحروب الخارجية والمؤامرات الداخلية. ولم يتمثل هذا الاتجاه في شوقي فقط، بل كان تيارًا عامًا سائدًا "فليس بين الشعراء المعاصرين وقتذاك، على اختلافهم وتباين نزعاتهم، مَن يخلو ديوانه من شعر في مدح الخليفة التركي، والإشادة بفضله على المسلمين"[33] فدافعه في حبه ذاك ديني بيد أنه لا يخلو من وازع عرقي لا ينكره ولا يخفيه. لكننا سنرى – في قادم الفصول – أن النزعة الدينية عند شوقي كانت تعلو وتتفوق على غيرها من النزعات والفِطَر كالنزعة العرقية أو الوطنية. وربما مردّ ذلك أنّ شوقي كان ينظر للخليفة على أنه الأب الروحي لكل المسلمين في العالم، وأنّ الخلافة الإسلامية – التي يقع مركزها في تركيا – هي الضمان لوحدة المسلمين وهي مكمن قوتهم وعزهم، فالخلافة هي الركن الشديد للأمة، وبقوة هذا الركن تقوى الأمة وتسود. أمّا إذا مال هذا الركن وضعف واهتزت مكانته، فهذا ضعف وهوان وانهيار لكل المسلمين في شتى أصقاع الأرض. فمن هنا جاء تعظيم شوقي وتقديسه للخليفة والخلافة وكل ما يمتُّ لهما بصلة، سواءٌ أكان شخصًا أم حدثًا أم مكانًا، فعلى شوقي احترام وتوقير ذلك كله. ومن وجهة النظر هذه فإن قومية شوقي " قومية إسلامية جامعة، فلم يكن شاعر مصر وحدها، بل كان شاعر العروبة والإسلام، يفرح لفرح العرب والمسلمين، ويأسى لأساهم"[34]

[33] الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، الجزء الأول، ط2 ، ص 11
[34] مفهوم القومية عند أحمد شوقي، مريم جبر فريحات، حوليات آداب عين شمس، المجلد 38( أبريل – يونيو) 2010

وقد أفاض شوقي في ذكر تلك المعاني في غير موضع من ديوانه، فنراه يقول في الخلافة:[35]

أمّا الخلافةُ فهِيَ حائطُ بيْتِكمْ حتى يَبِينَ الحَشْرُ عنْ أَهْوالِهِ
لا تسمعوا للمُرْجِفين وجَهْلِهِم فمصيبةُ الإسلامِ في جُهّالهِ

كما نجده يتغنى بانتصارات الخلافة في حروبها ضد أعدائها وأعداء الإسلام، كما حدث في حربها ضد اليونان سنة 1897م:[36]

بسيفِك يَعْلو الحقُّ والحقُّ أغْلَبُ ويُنصرُ دينُ اللهِ أيّانَ تَضرِبُ

كما أنه لم ينس الخلافة في الأتراح كما ذكرها في الأفراح. فقد كتب قصائد في رثاء الدولة العثمانية بعد سقوط الخلافة ومن أشهرها قصيدته المسماة بـ" الانقلاب العثماني وسقوط السلطان عبد الحميد" وقد بدأها برثاء قصر يلدز، فنجده يقول:[37]

سَلْ يِلْدزًا ذاتَ القصــور هل جاءَها نبَأُ البُدُور
لـو تستطيعُ إجابـــــةً لَبَكَتْكَ بِالدَّمْع الغزير

فقصائد شوقي في الخلافة وفي الدولة العثمانية والترك عديدة، تبلغ ثماني عشرة قصيدة في الجزء الأول من ديوانه فقط، " وأنت تلمس في هذه القصائد الثماني عشرة جميعًا حسًّا أدق من العاطفة وفيضًا أغزر من الشعر، وقوة تكاد تعتقد معها أن شوقي إذ يتحدث عن الترك إنما يُملي ما يكنه فؤاده، وإنما يندفع بقوة كامنة هي قوة دم الجنس، أو اتصاله بالبيت المالك في مصر كان قوي الأثر في نفسه إلى حد جعله يفيض من ذكر الترك بما ينبض به قلب سلالة محمد علي"[38]

---

[35] الشوقيات، 238/1
[36] المصدر السابق، ص 49
[37] نفسه، ص169
[38] المصدر السابق، ص 20

## ثالثا: أحمد شوقي في الأندلس:.

قامت الحرب العالمية الأولى سنة 1914م، وكانت مصر في ذلك الوقت تحت الحماية البريطانية، فقامت بريطانيا بعزل الخديو عباس حلمي الثاني، ولم تكتف بذلك، بل راحت تبعد كل رجالات الخديو المعزول عن دائرة صنع القرار بأساليب متعددة، إما بالعزل من الوظيفة أو بتحديد الإقامة أو بالسجن أو بالنفي. وكان أحمد شوقي هو اللسان الشعري المتحدث باسم الخديو عباس حلمي الثاني، وكان من أقرب رجالاته ومن أخص خواصه، فقررت سلطة الاحتلال البريطاني نفي شوقي وتركت له حرية اختيار المنفى. وقد كان عدد قليل من الدول قد بقي على الحياد بين الطرفين المتحاربين في تلك الحرب العالمية الأولى، ومن هذه الدول أسبانيا وسويسرا والدول الإسكندنافية، وكان على شوقي أن يختار منفاه من بين هذه الدول فاختار السفر إلى الأندلس أو أسبانيا الحديثة. ولعل في استخدام اسم الأندلس بدلاً من أسبانيا له من الدلالات والإشارات التي لا تخفى عن عين من يعرف شوقي حق المعرفة ويعرف تعلق شاعرنا بالتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية وكل ما يمت لأمجاد المسلمين وتفوقهم بصلة.

" والحق أن نفي شوقي كان أخطر حادث في تاريخ حياته كله. أثّر ذلك في أدبه وفنه وشخصيته جميعًا"[39] وليس هذا بمستغرب، فقد كان هذا النفي إلى الأندلس فاتحةً لعهد جديد ومرحلة جديدة في حياة شوقي وفي أدبه وشعره. فقد" راح شعوره الوطني ينمو ويزداد شيئًا فشيئًا، فاشتعل الحنين لوطنه في صدره، فراح لسانه يفيض شعرًا وطنيًا وغناءً حزينًا"[40]

---

[39] من أعلام الفكر والأدب، أنور الجندي، الدار القومية للطباعة والنشر، ص 5

[40] أحمد شوقي- دراسة في أعماله الروائية، أصيل عبد الوهاب يوسف عطعوط، دراسة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس فلسطين، سنة 2010، ص 13

فقبل مرحلة النفي كان شوقي مشغولاً بالقصر وأحداث القصر وكل ما يهم الخديو، بعيدًا كل البعد عن الشعب وقضايا الوطن وهموم المصريين. ولكنه بعد قرار النفي تخلص- ولو ظاهريًا — من أثقال القصر والخديو.

كان أحمد شوقي قبل نفيه إلى الأندلس خليقًا بأن يطلق عليه " شاعر البلاط " أو " شاعر القصر " ولم يكن شوقي يأنف من هذا أو يشعر بالغضاضة من ذلك، بل على العكس تمامًا، فقد كان شوقي يرى أن تحدثه باسم الخديو إنما هو تحدث باسم نائب خليفة المسلمين في مصر، وباسم السلطة التي تقف ضد الإنجليز وضد الاحتلال.

لكن الله قدّر وجاءت فترة النفي التي زادت عن الخمس سنوات بقليل، وكأنها جاءت لمصلحة أحمد شوقي ولمصلحة الشعر والأدب العربي كله، فقد"زادت سنو نفيه لواءه سموقًا حتى إذا رجع بلغ السماء السابعة"[41] فقد كان شاعر مقيدًا بأغلال القصرالذهبية، فانفك هذا القيد وتحرر شاعرنا من عقاله، وكان فارس الشعر حبيسًا داخل إطار أصغر كثيرًا من أن يحتوي موهبته الفذة وشاعريته العبقرية " وعلى هذا فقد أضعفت فترة النفي الروابط التي تربطه بالقصر وقوّت في وجدانه الشعور بالانتماء الوطني"[42]

## رابعا: مكانته على الساحة الأدبية:.

يمكن لأي باحث في هذا المقام أن يتكلم ويسرد ويطنب في سرد مكانة أحمد شوقي ومنزلته السامقة في الأدب العربي على مدى تاريخه. لكن يعِنّ لي الآن أن أبدأ بذكر فحوى مقابلة حدثت بين عَلَميْن من أعلام الأدب والنقد الأدبي في القرن العشرين؛ وهما عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين،

[41] حياة شوقي، أحمد محفوظ، ص94
[42] شعر شوقي الغنائي والمسرحي، طه وادي، ص13

والدكتور زكي مبارك الأديب والناقد الكبير. فقد حدث وأن طلب أحمد شوقي من الدكتور زكي مبارك مقدمة للشوقيات، بيد أن زكي مبارك رفض هذا الطلب واعتذر بداعي أن مقدمات الدواوين يُراعَى فيها التلطف بالشاعر. ثم التقى زكي مبارك بطه حسين وقصّ عليه ما حدث. ولنترك الدكتور زكي مبارك يروي لنا ما جرى بينه وبين الدكتور طه حسين: "يقول زكي مبارك إنه التقي بعد ذلك بالدكتور طه حسين وكان جاره في مصر الجديدة وقص عليه ما دار بينه وبين شوقي فقال طه حسين: لو طلب شوقي مني ما طلب منك – وأنا خصمه – لاستجبت بلا تردُّد، فشوقي في رأيي هو أعظم شاعر عرفته اللغة العربية بعد المتنبي فقلت " إني أرى أنه أشعر من المتنبي"

فقال الدكتور طه: ما دام هذا رأيك فما الذي يمنع من أن تكتب المقدمة؟

فقلت: لأحتفظ بحقي في نقده حين يُخطئ.

فقال الدكتور طه: شوقي لا يُخطئ.."[43]

إلى هذا الحدّ وصلت مكانة شوقي في عالم الشعر ودنيا الأدب؟! ناقدان في قيمة عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، ومنزلة الدكتور زكي مبارك، أحدهما يرى أن شوقي أعظم شاعر عرفته اللغة العربية بعد المتنبي، فيردّ الآخر بأنه يرى أن شوقي أشعر من المتنبي. أيّ منزلة وصل إليها شوقي؟ وأيّ مكانة حازها؟ دعنا من مقارنته بشاعر في حجم المتنبي، شاعر العربية الأول، بل وتفضيله عليه. ولنقرأ ما جاء بين سطور الحوار الماضي. فالقاصي والداني يعرف بالخصومة الأدبية الكبيرة التي كانت بين أحمد شوقي والدكتور طه حسين. إلا أن عبقرية شوقي الشعرية وموهبته الفذة لم تمنعه من أن يقول كلمة حق للتاريخ ويعترف بقيمة شوقي ومنزلته الأدبية والفنية، بل ربما إن عبقرية شوقي وموهبته قد أجبرتْ

[43] أحمد شوقي، الدكتور زكي مبارك، دار الجيل – بيروت، 1988، ص 31

الدكتور طه حسين على ما قاله. فالرجل يعرف شوقي حق المعرفة، وهو ناقد أدبي لا يشق له غبار، يأبى أن يتفوه برأي قد يحاسبه عليه التاريخ فيما بعد. وليس طه حسين وحده من قال بتفوق شوقي على مَن عداه، "فمِن الناس من يقول: إنه أشعر مَن نظم مِن شعراء العربية. ومن هؤلاء: شعراء لهم خطرهم وذوقهم الرفيع"[44] بل إن هناك الكثير من الأدباء والنقاد من أكدوا هذا التفوق، وألبسوه تاج الإمارة وعقدوا " ولايته على أبناء العروبة، الناشئين نشأته، الناطقين لغته؛سواء أكانوا معاصرين أم سابقين"[45]

هو " نابغة مصر، شاعر الأمير، أمير البيان، صاحب الصولجان، أمير دولة البيان، شاعر النيل الكبير، نابغة شعراء العصر، صنّاجة العرب ... عطفًا على أمير الشعراء"[46]

حتى لقد جاءت الشهادة من حافظ إبراهيم نفسه، مع ما بينهما من المنافسة والمقارنة، فكان حافظ إبراهيم في مقدمة مستقبلي شوقي في محطة القطار بعد عودته من المنفى، وكان في مقدمة مبايعيه سنة 1927 في المؤتمر الشهير الذي حضره شعراء من مختلف الأقطار العربية، بل وقال في مدح شوقي قصيدة عصماء بايعه فيها بإمارة الشعر.

**وفي نهاية تلك المسيرة الحافلة الغنية بدرر الأدب وجواهر الشعر، فاضت روح أمير الشعراء إلى بارئها، وتوفي في الثاني عشر من شهر أكتوبر سنة ألف وتسعمائة واثنتين وثلاثين ميلادية.**

---

[44] حياة شوقي، أحمد محفوظ، مطبعة مصر، ص 90

[45] المتنبي وشوقي دراسة ونقد وموازنة، عباس حسن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1951،ص5

[46] دراسة مقارنة بين الشاعرين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، عبد الرحمن حسن سدي مرسال، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2017، ص55

# الفصل الثاني

## حافظ إبراهيم

### نسبه وحياته وثقافته

## أولا: نسبه ونشأته:.

هو محمد حافظ إبراهيم المولود على الأرجح في الرابع من فبراير سنة ألف وثمانمائة واثنتين وسبعين للميلاد. ونقول على الأرجح لأنه "لم يُعرف بالضبط تاريخ مولده. ولم يعرفه حافظ نفسه، كما أقرّ بذلك. وقد عُرض على القومسيون الطبي عندما أُريد تعيينه في دار الكتب، فقدّر سنّه تسعًا وثلاثين سنة. وكان الكشف الطبي عليه يوم 4 فبراير سنة 1911، برآسة الدكتور يتسي، وهذا هو السبب الذي اعتمد عليه مَن قال: إنه وُلد يوم 4 فبراير 1872م"[47]

أبوه هو المهندس إبراهيم فهمي، وأمه سيدة تركية هي السيدة" هانم بنت أحمد البورصة لي من أسرة تركية الأصل، تسكن المغربلين تُعرف بأسرة الصروان، إذ كان والدها أمين الصرة في الحج، فلُلقب بالصروان (القيّم على الصرة) ولُقبت الأسرة به"[48] فأبو حافظ مصري صميم، وأمه تركية أصيلة "وبذلك اجتمع في حافظ دمان، دم مصري صميم مستمد من والده، ودم تركي طاهر نقي من والدته"[49]

كان جد حافظ لأبيه يسكن في حي المغربلين في القاهرة، ذلك الحي القديم الذي يقع في قلب القاهرة القديمة بكل ما فيها من آثار تاريخية وثقافة شعبية وخليط من أجناس وأعراق بل وديانات شتى.

أما أبوه فقد كان يعمل مهندسًا وكان من المشرفين على قناطر ديروط، وقد وُلد شاعرنا في سفينة صغيرة على شاطئ النيل. فقد كتب حافظ بخطه ما يأتي" وُلدتُ في ذهبية ( أي حرّاقة) بالنيل بالقرب من قناطر ديروط بالصعيد"[50]

---

[47] ديوان حافظ، مقدمة ديوانه، ضبط وتصحيح أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3 ص 53

[48] المصدر السابق، ص56

[49] نفسه، ص 19

[50] نفسه ، ص 35

ويعلق الأستاذ أحمد أمين على مولد حافظ إبراهيم على ضفاف النيل بقوله:"كان إرهاصًا لطيفًا إذ شاء القدر ألا يولد شاعر النيل إلا على صفحة لنيل"[51]

فشاعر النيل قد وُلد على ضفاف النيل، ويالها من مصادفة لطيفة طريفة تحدث عنها الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظة في حديثه عنه بدار الأوبرا المصرية في الحفل الذي أُقيم بها سنة 1927 فقال:" لو كنتُ شاعرًا لزعمت أن ميلاد شاعر النيل في أحضان النيل وفي مهد من جمال الطبيعة الساحرة كان له تأثير في شاعرية حافظ المبكرة، وفي أنه فُتن بوطنه وبرح به هواه، فحمل قيثارته يتغنى بعظمته ويبكي لمصابه، ويهيب بأبنائه لإنقاذه، ويذكره بماضيه وحضارته، حتى استحق أن يلقب بشاعر النيل ويكفيه ما في اللقب من إعجاب وتقدير وتبجيل"[52]

فمن حسن الطالع أن يولد شاعر في بيئة ساحرة غنّاء تعينه بجمالها وسحرها على قرض الروائع من القصائد والأبيات، فما بالك بشاعر النيل قد وُلد على صفحة النيل بكل جماله وسحره وبهائه، فكان هذا من تصاريف القدر ليخرج لنا شاعر فحل قد أخذ من النيل سحره وجماله وعظمته وبهاءه. فقد "كان أول ما فتح عليه عينيه من صور الدنيا نهرنا الخالد. فتلقيبه بشاعر النيل بعد ذلك تلقيب صادق يستمد صدقه من النفحات الشعورية الأولى في هذه العوامة "[53]

وحين بلغ الطفل حافظ الرابعة من العمر أصابته أول ضربة من ضربات القدر، إذ مات أبوه وهو في ريعان شبابه وقد ناهز حافظ الرابعة من العمر فقط، فرجعت به أمه إلى القاهرة ليقيما معًا عند خاله محمد نيازي الذي كان يعمل مهندسًا بالتنظيم بمدينة القاهرة. ولم يكن خال حافظٍ هذا ميسور الحال فكانوا يعيشون حياة الفقراء إلى حد كبير.

---

[51] ديوان حافظ إبراهيم، ص 34

[52] إبراهيم، شاعر القومية العربية، محمد هارون الحلو، الدار القومية للطباعة والنشر، ص 111

[53] حافظ إبراهيم – مهرجان حافظ بالإسكندرية، من مقالة لأحمد حسن الزيات ، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1957، ص 106

بعد ذلك دخل حافظ المدرسة الخيرية بالقلعة حيث التقى بالزعيم الوطني مصطفى كامل، وقد كانت تربطهما صلة قرابة عائلية. بعد ذلك انتقل شاعرنا إلى مدرسة ابتدائية قريبة من بيت خاله، ثم التحق بعدها بمدرسة المبتديان، ثم المدرسة الخديوية الثانوية.

وكان شاعرنا في ذلك الحين قد شب عن الطوق وتجاوز مرحلة الصبا وأصبح شابًّا يافعًا، ولكن حدث أن انتقل خاله للعمل في طنطا، فانتقل إليها حافظ مع خاله، والتحق بمدرسة طنطا الثانوية لاستكمال تعليمه.

وكما قال العرب قديمًا" لكل إنسان نصيب من اسمه" فإن حافظًا قد نال من اسمه الحظ الوافر، فقد كانت الذاكرة الحافظة لدى حافظ إبراهيم في غاية القوة والدقة. وقد أشار إلى ذلك محمد إسماعيل عناني في مقدمة ديوان حافظ حيث نجده يقول"كان قوي الحافظة بغير حدود ... لا يقرأ كتابًا حتى يستطيع أن يعيد ما قرأه بألفاظه وأرقام صفحاته مهما طال به الزمن على قراءته"[54] كما نجده سريع الحفظ بشكل عجيب لكل ما تقع عليه عيناه من كتب الشعر والأدب.

وقد كان حافظ يتمتع بطلاقة اللسان وجهارة الصوت وقوة الأداء والحضور الطاغي مما أهّله للعمل في مكتب للمحاماة. وقد كان العمل في المحاماة في ذلك الوقت لا يشترط الحصول على شهادة دراسية من مدرسة الحقوق، وإنما كان يتطلب فصاحة اللسان وطلاقته وقدرته على الاسترسال والإسهاب في الشرح والتوضيح مع القدرة على الإقناع. وكانت تلك الشروط متوفرة لدى حافظ بشكل يفوق الحاصلين على الشهادات العليا في الحقوق أنفسهم. فعمل حافظ في مكتب للمحاماة ولكنه

[54] ديوان حافظ إبراهيم، ص 34

تركه بعد فترة وجيزة من العمل فيه، وأخذ في الانتقال من مكتب إلى آخر، فقد كان حافظ ملولاً بطبعه.

ثم تأتي الخطوة الأهم في حياة حافظ إبراهيم العملية، إذ تقدم للالتحاق بالمدرسة الحربية بالقاهرة تاركًا الإقامة في منزل خاله، لكنه ترك له بيتين من الشعر يحملان الكثير من الفكاهة والأكثر من المرارة، فنجده يقول:[55]

ثقلت عليك مؤونتي إني أراها واهية

فافرح فإني ذاهب متوجهٌ في داهية

ولعل الفكاهة الظاهرة في البيتين هي في حقيقتها محاولة لإخفاء حالة المرارة والحزن التي كانت مسيطرة على حافظ أثناء إقامته في بيت خاله والتي ستلقي بظلالها على شعور حافظ وإحساسه في مستقبله بوصفه شاعر وبوصفه إنسان.

" ويتخرج حافظ سنة 1891 في المدرسة الحربية ضابطًا في الجيش، ثم نُقل إلى الشرطة التي كانت تستمد ضباطها من الجيش وقتئذ. ثم أُعيد إلى الجيش، وخدم في السودان ما يقرب من السنتين متنقلاً بين سواكن وطوكر وقبلي حلفا. ثم أُحيل إلى الاستيداع مرتين، ثم طلب إحالته إلى المعاش سنة 1903"[56]

وبعد أن قُبل طلبه وأُحيل إلى المعاش دخل حافظ مرحلة جديدة من حياته كانت من أهم المراحل في حياته الأدبية والشعرية، حيث تفرغ في تلك المرحلة للأدب والشعر ومنابر القول فقط. فلم

[55] المصدر السابق، ص58
[56] المصدر نفسه، ص 24

يترك أمرًا من الأمور العامة إلا أدلى فيه بدلوه، أو شأنًا من الشؤون الإنسانية دون أن يكون له فيه نصيب. وكيف لا والشعر يجري على لسانه مجرى الماء الزلال؟ وكيف لا وهو شاعر النيل؟

وقد ظل شاعرنا في تلك الفترة بلا عمل وبلا مصدر رزق، فكان يجلس في مجلس الشيخ إمام؛ أستاذ الإمام محمد عبده والزعيم مصطفى كامل.

وفي عام 1911 عُيِّن حافظ إبراهيم رئيسًا للقسم الأدبي بدار الكتب المصرية، ثم أُنعم عليه برتبة "البكوية" في السنة التالية مباشرة( سنة 1912) ثم مُنح نيشان النيل، مما كان سببًا في تلقيبه بـ" شاعر النيل"

لكن عمله في دار الكتب لم يمر مرور الكرام على بعض الأدباء والنقاد، بل كان محل انتقاد ولوم من بعضهم. فنجد أديبًا وناقدًا بحجم عميد الأدب العربي طه حسين ينتقد حافظ إبراهيم لقبوله هذا العمل فيقول ساخرًا لائمًا: " في سبيل الله هذه الأعوام الطوال التي قضاها حافظ في دار الكتب لا يعمل شيئًا ولا يقول شيئًا، وإنما يقضي صباحه بالدار يعبث بالموظفين ويندر عليهم، أو على باب الدار يدخن سيجاره الضخم، أو بهو دار الكتب يدخن الشيشة. فإذا كان المساء أنفق وقته بين أصدقائه في الأبنية الخاصة أو العامة"[57] ومن الراجح أن هذا الانتقاد وذلك اللوم يرجع إلى تقلُّد حافظ وظيفةً حكومية عامة قد تمنعه من قول الشعر في الأمور التي تهم الشعب وتهاجم السلطة، وتحديدًا الشعر السياسي. والحقيقة أن حافظًا كان مُقلاً في الشعر السياسي في تلك الفترة مما قوّى من صحة تلك الفكرة وتُثبتها في الأذهان.

[57] حافظ إبراهيم شاعر الوطنية الأكبر، محمد هارون الحلو، ص 44

بيد أننا نجد جانبًا آخر من النقاد والأدباء يدافع عن حافظ في تلك المسألة، ومنهم المرحوم الأستاذ أحمد أمين الذي نجده يقول:" ظل حافظ يعنى بشعره التقليدي أولاً والجديد ثانيًا نحو خمسة عشر عامًا تنتهي سنة 1911 لما عُرضت عليه وظيفة دار الكتب"[58]

## ثانيا: الظروف الاجتماعية والاقتصادية لحافظ إبراهيم:

عاش حافظ إبراهيم حياة الفقر والبؤس واليُتم، فقد كان أبوه مهندسًا بسيطًا في تنظيم القاهرة، فلم تكن عائلته ميسورة الحال بل كانت من الطبقة الوسطى الكادحة، ثم تُوفي الأب وما زال ابنه حافظ طفلاً صغيرًا في الرابعة من عمره، فانتقل للحياة في بيت خاله الذي لم يكن أفضل حالاً من أبيه، مما اضطر حافظًا إلى ترك بيت خاله بطنطا لإحساسه بأنه يمثل عبئًا ثقيلاً عليه. فانتقل حافظ إلى القاهرة للالتحاق بالمدرسة الحربية. وتبع ذلك أحداث كثيرة مليئة بالصعاب، حيث إنه لم يُوفق في عمله، وفقد منصبه بإحالته للاستيداع ثم إلى المعاش وهو ما زال في مقتبل العمر. فزادت معاناته وعاد إليه إحساسه بالبؤس وغدا دائم الشكوى من الحياة.

وكانت في شخصية حافظ سمة فارقة أثرت على حياته في شتى مناحيها، وهي أنه كان شخصًا ملولاً، يملك الشيء ثم لا يلبث أن يزهد فيه ويتركه دون أدنى قدر من الخوف أو الوجل. وقد انعكس ذلك على الحالة الاجتماعية لحافظ، فلم يكوّن لنفسه أسرة، ولم يكن من داخله شخصًا مستقرًا أو حتى إنسانًا يحب ويميل إلى الاستقرار. ومن المعروف أن الحياة الأسرية وارتباط الرجل بزوجة وأولاد هو أهم وأوضح مظاهر الاستقرار. والزواج – وإن كان يعطي الرجل الاستقرار النفسي والعاطفي – فإنه يكبل يد الرجل ويقيده ويمنعه من بعض الأشياء التي كان مباحًا له فعلها قبل الزواج. وحافظ إبراهيم

[58] المصدر السابق، ص 45

بفطرته ومفاتيح شخصيته شخص كاره للقيود والرتابة في كل شيء. ولكن سنة الحياة وكلام العائلة والأصدقاء قد وجد أثره في نفس حافظ، "في سنة 1906 رأى حافظ أن يؤنس حياته بزوجة تقاسمه لأواء العيش وسراءه، ويقولون إن أمه هي التي زينت له الحياة الزوجية فخطبت له ابنة رجل من أثرياء حي عابدين اسمه إسماعيل صبري، وبنى بها حافظ، ولكنه لم يُطق هذه الحياة وأدركه داء الملل الذي عُرف به، فطلقها بعد شهور قليلة وافترق الزوجان في غير رجعة ولم يُنجب حافظ منها، ولم يفكر في الزواج بعد ذلك قط"[59]

كان حافظ شاعرًا كبيرًا لكنه كان يعيش وسط الشعب وفي غمار العوام من الناس، يشعر بمشكلاتهم ويحس بمعاناتهم وأوجاعهم حتى شكّل ذلك سمة من سمات شعره واضحة لا تخطئها العين، فقد "كان حافظ يردد كثيرًا في شعره حديث البؤس والمحنة والهم والشقاء وغيرها من المصطلحات التي ترددت في المؤلفات والبحوث بعد ذلك وازداد عليها ووسعوا من دائرتها"[60] ولقد أفاض حافظ في الشكوى من تصاريف القدر ونوائب الدهر، حتى لقد عَدّ النقادُ ذلك من السمات الموضوعية الغالبة في شعر حافظ كله. ومن ذلك قصيدة له في غاية الحزن يصف فيها سعيه المتواصل وبؤسه وإباءه، ويتمنى الراحة من ذلك بالموت، يقول في مطلعها:[61]

سَعَيتُ إِلى أَن كِدتُ أَنتَعِلُ الدَما وَعُدتُ وَما أُعقِبتُ إِلّا التَنَدُّما

حتى يصل إلى قوله:

وَيا نَفسُ كَم جَشَّمتُكِ الصَبرَ وَالرِضا وَجَشَّمتِني أَن أَلبَسَ المِجدَ مُعلَما

فَما اِسطَعتِ أَن تَستَمرِئي مُرَّ طَعمِهِ وَما اِسطَعتُ بَينَ القَومِ أَن أَتَقَدَّما

---

[59] حافظ إبراهيم شاعر النيل، ص 39

[60] مجلة فصول ، المجلد الثالث، العدد الثاني، 1983، ص 94

[61] ديوان حافظ، 428

فَهَذا فِراقٌ بَينَنـــــــا فَتَجَمَّـــــلي فَإِنَّ الرَدى أَحلى مَذاقاً وَمَطعَمـا

فالدنيا في عين حافظ سوداء قاتمة، وقد انعكس سوادها على نفسه، فيُفرغ حافظ ذلك في شعره. فالقارئ يرى " في زوايا نفسه مكامن للحزن بعيدة الغور، سيطر حسّ البؤس العالي على فؤاده وصدره"[62]

ومن اللافت للنظر أن حافظًا كان يشكو في شعره من تعب الحياة ونصبها ولكن ليس بالشكل المعروف عن الشكوى والتذمر، بل كانت شكواه كثيرًا ما تأتي على سبيل الدعابة والفكاهة اللطيفة" فضحك من البؤس ومن الشقاء ومن كل شيء، وكان له ذوق بارع في اختراع النكتة من كل ما يدور حوله، فما يسمع حديثًا أو يعرض أمامه شيء، حتى يدرك موضوع الفكاهة منه، فيصوغ ذلك صياغة تستخرج ضحك السامعين من أعماق صدورهم"[63]

فالظرف والفكاهة كانت من أهم ما يميز شعر حافظ إبراهيم، وهذا اتجاه كان يتخذه بعض الشعراء من قبله فيمثل نمطًا وأسلوبًا لهم " فأنماط البهاء زهير أو الحسين الجزار، هذا الذي كان عماده الظرف والفكاهة"[64] ولكنه ضحك كالبكاء وفكاهة بطعم الدمع الهتون ودعابة تُخفي من خلفها آهات وأنات موجوع لا تنتهي أوجاعه.

لكن يعِن هنا سؤال، هل كان تكرار الشكوى في شعر حافظ تعبيرًا عن بؤس حقيقي عاشه حافظ أم إنه كان من كلام الشعراء؟ وإن حياة حافظ كانت مغايرة لشعره؟

الحقيقة أن حافظًا لم يكن فقيرًا معدمًا، بل كان ميسور الحال إذا ما قورن بالطبقة الدنيا من الناس. كان مستور الحال متوسطه إذا ما نظرنا إلى الطبقة العليا التي كان يمثلها أصدقاء حافظ وأقرانه

---

[62] ذكرى الشاعرين – شاعر النيل وأمير الشعراء، أحمد عبيد ، القسم الأول ، المطبعة العربية في دمشق، ط1، ص78

[63] المصصدر السابق، ص 66

[64] مجلة فصول، مجلد3، العدد2، ص 21

من الشعراء وفي مقدمتهم بالطبع أمير الشعراء أحمد شوقي. " وبهذا المقياس يمكن أن يطلق على حافظ أنه بائس بالنسبة إلى مجتمع الصفوة الذي كان يعيش معه، والناس الذين كان يخالطهم ويعاشرهم، ويجعل من نفسه نظيرًا لهم ولنأخذ على ذلك مثلاً الشاعر أحمد شوقي، إذ ليست هناك نسبة على الإطلاق بين المستوى المادي لشوقي والمستوى المادي لحافظ، وكانا شاعرين يقارن الناس بينهما"[65]

ولعل ما يعضد هذا الرأي ويؤيده ما ورد على لسان عميد الأدب العربي في موضع سابق من أن حافظ إبراهيم كان يقضي صباحه في دار الكتب يعابث الموظفين ممن هم تحته في المنزلة والرتبة، أو يدخن سيجارًا ضخمًا أمام باب الدار أو يشرب الشيشة في بهوها. فمن أين له بذلك السيجار الضخم الذي لم يكن يستطيع شراءه إلا الموسرون؟! إذاً، فبؤس حافظ وفقره وشقاؤه لم يكن إلا مقارنةً بين طبقات المجتمع المتفاوتة فيما بينها في الغنى والأموال، فكان قدر حافظ ألا يكون من الطبقة العليا من الأمراء والأغنياء، وإن لم يكن من الطبقة الدنيا الفقيرة المعدمة التي تجد – بالكاد – قوت يومها، فإنه كان من الطبقة المتوسطة، التي هي طبقة وسط بين الأغنياء والفقراء. لكن حافظًا كان يرى نفسه فقيرًا معدمًا لأنه كان يقارن نفسه دائمًا بأصدقائه وجلهم من النبلاء والأغنياء.

أضف إلى ذلك دليلاً آخر، وذلك أن أبا حافظ كان مهندسًا، أي أنه تخرج في مدرسة الهندسة، وقد كانت من المدارس العالية المرموقة في ذلك الوقت، وتعليم عالٍ مثل هذا لا يتأتى لأبناء الطبقة المعدمة، فأبو حافظ وعائلته لم يكونوا من الفقراء المعدمين إذاً. ولما أراد أبوه الزواج، تزوج من عائلة ذات صيت ذائع وسيرة حسنة، وهي عائلة، البورصة لي، التي لم تكن لتزوج ابنتهم من أبي حافظ إبراهيم إنْ كان من طائفة الفقراء المعدمين.

---

[65] المصدر السابق ، ص 98

دليل ثالث نسوقه، وهو أن بيت حافظ لم يخلُ من مظاهر الجود والكرم أبدًا. فكيف للفقراء أن يأتيهم الأضياف كل ليلة؟! وكيف للمعدمين أن يعيشوا حياة مليئة بمظاهر الجود والكرم على كل رائح وغاد. بل إن حافظًا كان كثير بشكل يصل حد التبذير والإسراف، فكان ينفق بلا حد، ويخرج آخر ما لديه بلا أدنى تفكير. وقد وردت في ذلك الكثير من الحكايات والأخبار يسوقها أصدقاء وندماء لحافظ قريبون منه ويعرفونه حق المعرفة. ومن ذلك ما أورده خليل مطران من أنّ حافظًا "كان سخيًا ومضيافًا، وكان يحب الضيافات الواسعة التي تقدَّم فيها الألوان الفاخرة الكثيرة، وكان يحب أن يرى عليها الذبائح من ضأن وديَكة وغيرها"[66] كما نجد الأديب الكبير أحمد أمين يقول في ذلك – بشيء من الظرف والطرافة – : " لو كان تاجرًا لأضاع رأس ماله في شهر واحد ثم أعلن إفلاسه. ولو وضع ميزانية دولة لجعل الإنفاق كله في أيامها الأولى ثم لا إنفاق"[67]

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال سائغ، وهو: لمَ كان حافظ يعقد هذه المقارنة؟ أوليس حافظ شاعر من الطبقة الأولى بين شعراء زمنه؟ أولم يكن له حظ وافر ونصيب ليس بالقليل من الشهرة والمكانة المرموقة والمنزلة المحترمة بين الأدباء والمثقفين وغيرهم؟ فلم تلك المقارنة؟

ولعل الإجابة على هذا التساؤل تكمن في نفسية حافظ ذاتها، وليست من أحد سواه. فحافظ كان يرى نفسه أعلى وأكبر موهبةً من غيره من الشعراء الذين يفوقونه في الناحية المادية، كما يراه مساويًا لأمير الشعراء أحمد شوقي، وهو من هو في الحسب والنسب والمال والجاه، وفي دنيا الأدب ما إن يُذكر اسم حافظ إلا ويُذكر معه اسم شوقي. فهما قرينان في سوق الأدب والشعر، لكن الهوة بينهما

---

[66] المصدر السابق، ص 97
[67] المصدر السابق نفسه، ص 99

سحيقة والبون شاسع إذا ما أتينا لحديث المال والثراء. ولعل" وجود شوقي في حياة حافظ واقتران اسمه باسمه هو الذي جعل لصفة البؤس مكانًا في صحيفة حافظ"[68]

فالحالة المادية الأقل من شوقي – وهو قرينه في الشعر – والأقل من غيره من الشعراء ممن يفوقهم جميعًا في الموهبة، كانت بمثابة الغصة التي لا تزال في حلق حافظ أبد الدهر، ويرجو لو يتساوى معهم فيها.

يتبين مما سبق أن شكوى حافظ من الفقر وشظف العيش لم تكن حقيقة أو أمرًا واقعًا، بل لم تكن إلا غصة في حلق حافظ من تواضع حاله أمام أقرانه من الشعراء والأدباء ممن كانوا ينتمون إلى الطبقة العليا وصفوة المجتمع. وعلى الرغم من ذلك فإن حافظًا كان لا يفتأ يشكو ثم يشكو، حتى إنك لتجد أمثلة كثيرة من ذلك مبثوثة بين ثنايا قصائده وأشعاره، مثل تلك المقطوعة التي يقول فيها: [69]

أَيُّها المصلِحونَ ضـــاقَ بِنا العَيـ ـشُ وَلَم تُحسِنوا عَلَيهِ القِيامـــــا
عَزَّتِ السِلعَةُ الذَليلَةُ حَتّـــــى باتَ مَسحُ الحِذاءِ خَطباً جِساما
وَغَدا القوتُ في يَدِ الناسِ كَاليا قوتِ حَتّى نَوى الفَقيرُ الصِيامـا
يَقطَعُ اليَومَ طاوِياً وَلَدَيـــــهِ دونَ ريحِ القُتارِ ريحُ الخُزامـــــى
وَيَخالُ الرَغيفَ في البُعدِ بَـــدراً وَيَظُنُّ اللُحومَ صَيداً حَرامـــــا
إِن أَصابَ الرَغيفَ مِن بَعدِ كَدٍّ صاحَ مَن لي بِأَن أُصيبَ الإِداما

**ثالثا: حافظ إبراهيم، شاعر الشعب وشاعر الوطنية:.**

كان حافظ إبراهيم دائمًا لسان الشعب المصري والمتحدث باسمه. وقد سجل في شعره كل القضايا التي تخص شعبه من آمال وآلام وأفراح وأتراح. ولا يكاد القارئ يرى له قصيدة شعر عن آلام

[68] المصدر السابق، ص 99
[69] شاعر الشعب وشاعر النيل، يوسف نوفل، ص 20

الشعب حتى يحس أنها آلامه هو وتحكي أوجاعه لا أوجاع إنسان آخر. ولا يكاد المواطن المصري يقرأ قصيدة وطنية ثورية حتى يشعر بقلبه يكاد يقفز خارج ضلوعه من فرط الحماسة والانفعال وحب الوطن. هذا كله لأن قائل هذا الشعر وطني حقًا، ومصري حتى النخاع. وهذا الشعور بالوطنية المتدفقة في عروقه كانت تدفعه دفعًا إلى صوغ أجمل ما قيل عن مصر وشعب مصر من قصائد وأشعار. ولعل وجوده بين الجماهير وحياته وسط الطبقة المتوسطة من المصريين هو ما جعله يشعر شعورًا صادقًا بمعاناة المصريين وهمومهم، فلم يكن يعيش في برج عاجيٍّ بعيدًا عن صفوف الجماهير الكادحة كالكثير من شعراء تلك الحقبة، بل كان مواطنًا مصريًا مثله مثل ملايين المصريين الذين يحيا المشكلات نفسها ويشعر بالمعاناة اليومية للشعب.

ومن ذلك أنه " حين حدثت حادثة دنشواي سنة 1906 نشر حافظ قصيدة بعد صدور الحكم بخمسة أيام مهاجمًا الاحتلال الإنجليزي، وناقدًا الضعف عند بعض المصريين. ثم عاد لتصوير هول هذه الحادثة مرة أخرى حين استُقبل الإنجليزي اللورد كرومر ..... وهاجم الاحتلال الإنجليزي مرة أخرى"[70]

وقد قال حافظ عن ذلك، ساخرًا من الجنود الإنجليز أنهم ما استطاعوا صيد الحمام فضلاً عن صيد البشر: [71]

خفضوا جيشكم وناموا هنيئًا ... وابتغوا صيدكم وجوبوا البلادا
وإذا أعوزتكم ذات طوق ... بين تلك الربا فصيدوا العبادا
إنما نحن والحمام سواء ... لم تُغادر أطواقنا الأجيادا

[70] المصدر السابق، ص 38
[71] ديوان حافظ إبراهيم، ص 343

لا تُقيدوا من أمة بقتيـــــــل صادت الشمس نفسه حين صادا

ليت شعري أتلك محكمة التف تيش عادت أم عهد نيرون عادا

ومن أروع ما كتب حافظ عبر حياته الفنية الثرية قصيدته المشهورة " مصر تتحدث عن نفسها" تلك القصيدة التي طبقت شهرتها الآفاق " وقد أنشدها في الحفل الذي أقيم بفندق الكونتنتال لتكريم المرحوم عدلي يكن باشا بعد عودته من أوربا قاطعًا المفاوضات مع الإنجليز ومستقيلاً من الوزارة، وقد نُشرت في 15 ديسمبر سنة 1921 "[72] فقال حافظ متحدثًا بلسان مصر:[73]

وَقَفَ الخَلقُ يَنظُرونَ جَميعـــــاً كَيفَ أَبني قَواعِدَ المِجدِ وَحدي

وَبُناةُ الأَهرامِ في سالِـــفِ الدَهـ ـرِ كَفَوني الكَلامَ عِندَ التَحَدّي

أَنا تاجُ العَلاءِ في مَفرِقِ الشَـــر قِ وَدُرّاتُهُ فَرائِدُ عِقـــــــــدي

أَيُّ شَيءٍ في الغَربِ قَد بَهَرَ النا سَ جَمالاً وَلَم يَكُن مِنهُ عِنـدي

فَتُرابي تِبرٌ وَنَهـــري فُـــــراتٌ وَسَمائي مَصقولَةٌ كَالفِرِنـــــدِ

وكما هو الحال في شوقي، كان حافظ خليطًا عجيبًا من دمين وثقافتين، خليطًا جعل من صاحبه صاحب فكر متفرد مختلف عن سابقيه ولاحقيه. فالصفات الوراثية تفرض على صاحبها حب كل ما هو مصري وعشق كل ما هو تركي. والنشأة والتربية تجذب الشاب إلى أبناء عمومته وعائلته، بينما ثقافته ووازعه الديني يدعوه إلى التمسك بالخلافة ومؤسسيها الأتراك. وهكذا، كان النسب والنشأة والثقافة والظروف الاجتماعية كلها عوامل تشكل القالب الذي انسبكت فيه موهبة حافظ وتفتحت قريحته الشعرية.

[72] شاعر الشعب وشاعر النيل، يوسف نوفل، ص 38

[73] ديوان حافظ إبراهيم، ص 403

**رابعا: ثقافته:.**

حقاً، إن الإنسان ابنٌ لبيئته، يتأثر بها؛ بظروفها، وأحداثها، ومقدراتها، وتنطبع عليه ملامحها. وظروف شوقي أثرت في شخصه وفي أدبه أشد ما يكون التأثير. فمن المتفق عليه أن حافظ شاعر مطبوع، موهبته فطرية، وذوقه عربي أصيل، لكنه لم ينهل من الثقافات اللازمة للشاعر ما ينبغي، وكما تمنى هو. بسبب يُتمه وفقره وعوزه لم يتمكن حافظ من أن يتعلم تعليمًا جيدًا، أو أن يطّلع على معارف أمم أخرى وثقافاتها وآدابها. و"لم تكن لحافظ ثقافة شوقي التاريخية أو الأدبية الفرنجية؛ فلم تكن له آفاق شوقي، بل ولا آفاق غيره من شعراء الشباب المتضلعين من الآداب العالمية، أو أولئك الذين جمعوا بين المعارف العلمية والأدبية، ولكن طبع حافظ الشعري كان أصلاً جذابًا"[74] فقط كان ما يُعين حافظًا على الإبداع هو موهبته الفطرية الفائقة، ثم ما تيسر له من الموروث الثقافي العربي القديم، الذي كان حافظ ينهل منه نهلاً في شبابه. فقد كانت ذاكرة حافظ قوية للغاية، أو كما يسميها البعض "ذاكرة فوتوغرافية" فكان يكفيه أن يقرأ القصيدة أو الأثر الشعري مرةً واحدة ليحفظه عن ظهر قلب.

فكانت ملكة الحفظ الجبارة هي الوسيلة الأولى التي قدمت لحافظ رافده الثقافي الأول، فقد كان " يجد نفسه قد حفظ كل ما تقع عليه عيناه من عيون الشعر والأدب دون جهد يبذله أو تعمد للحفظ"[75] فكان في حياته الأولى له رافد ثقافي واحد فقط، هو الأدب العربي القديم، القوي القديم. ذلك النبع الصافي بتقاليده وأعرافه الراسخة، في الأغراض والأساليب والصور البلاغية. تلك التقاليد التي انطبعت على شخصية حافظ وشعره، فقد أصبح من الشعراء المحافظين المغالين في إثبات انتمائهم إلى

---

[74] قضايا الشعر المعاصر، ص 58

[75] ديوان حافظ، المقدمة، ص 22

التيار القديم في الشعر. ولم يكن لتيار التجديد والتغريب سبيل إلى شعر حافظ إلا النذر الذي لا يكاد يُرى.

وعلى الرغم من الثقافة العربية الصافية النقية التي نهل منها حافظ، إلا أنه في كبره تعلم اللغة الفرنسية، لم يُتقنها إتقانًا تامًا كما فعل شوقي الذي سافر إلى فرنسا وتشرب اللغة الفرنسية من أهلها. فقط استطاع حافظ أن يتعلمها بالقدر الذي أتاح له أن يقرأ ويفهم كتبًا فرنسية. وقد مكّنته معرفته للغة الفرنسية من ترجمة رواية البؤساء لفيكتور هوجو، كما قام بترجمة بعض القطع لجان جاك روسو، وقام هو والأستاذ خليل مطران بترجمة كتاب " موجز الاقتصاد" . وإن كان الدكتور طه حسين يرى أن حافظ إبراهيم قد عاني معاناة شديدة في ترجمته للبؤساء وتكبد مشقة هائلة في استشارة المعاجم، وعناءً في الصياغة العربية نفسها " لكنه على كل حال لم ينل حظًا وافرًا من الأدب الغربي، ولم يكن أثر ذلك كبيرًا في شعره، إنما نتاج الأدب العربي، والثقافة العربية، والتجارب الشخصية"[76]

ثم حانت اللحظة التي ترجّل فيها الفارس عن فرسه، فوافت شاعر النيل المنية في الحادي والعشرين من شهر يونيو سنة ألف وتسعمائة واثنتين وثلاثين ميلادية.

[76] المصدر السابق، ص 40

# الباب الثاني

## نماذج من الآثار التركية

## في شعر شوقي وحافظ

ويحتوي على فصلين:

الفصل الأول: الآثار التركية في ديوان أحمد شوقي

الفصل الثاني: الآثار التركية في ديوان حافظ إبراهيم

# الفصل الأول

## الآثار التركية في ديوان أحمد شوقي

## المبحث الأول : ذكر الخليفة والخلافة العثمانية:.

إن أحمد شوقي كغيره من الشعراء يعبر عما بداخله، فتارة يمدح، وتارة أخرى يذم، وذلك على حسب موقفه ورأيه من تلك القضية التي يتناولها.فنجده أحيانًا يمجد الخليفة ويعظمه ويضفي عليه من الصفات الحميدة العظيمة ما يُشعرك أنه أفضل من يمشي على قدمين، ومع تغير الأحداث تتغير تلك المواقف، وبالتالي تتغير نبرته الشعرية في الحديث عن الخليفة. فتلك النبرة التي كانت تعلو بالمدح والتعظيم سرعان ما تتغير وتتحول إلى نبرة غضب ولوم من بعض مواقف الخليفة التي يرى فيها شاعرنا خطأ وخطرًا على الإسلام والمسلمين.

وقد وردت قصائد عدة لأحمد شوقي في مدح الخليفة العثماني، ولعل من أشهرها وأطولها قصيدته صدى الحرب التي أحيانا ما يُطلق عليها البائية، وتتكون هذه القصيدة من مائتين وستة وخمسين بيتًا، يتناول الشاعر فيها الخليفة بالمدح والتقريظ، وذلك بمناسبة انتصار الدولة العثمانية على اليونان سنة 1314هـ / 1897م، وقد استهل الشاعر تلك القصيدة بقوله:[77]

بِسَيفِكَ يَعلو الحَقُّ وَالحَقُّ أَغلَـــبُ وَيُنصَرُ دينُ اللهِ أَيّانَ تَضرِبُ

وَما السَيفُ إِلّا آيَةُ المَلكِ في الوَرى وَلا الأَمرُ إِلّا لِلَّذي يَتَغَلَّبُ

فَأَدِّب بِهِ القَومَ الطُغـــــاةَ فَإِنَّهُ لَنِعمَ المَرَبي لِلطُغــاةِ المؤَدِّبُ

ويرى الكثيرون أن هذه القصيدة تستدعي إلى الأذهان بائية أبي تمام، التي تبدأ بـ:

السّيْفُ أصْدقُ إنباءً من الكتبِ في حَدِّه الحَدُّ بيْنَ الجِدِّ واللّعِبِ

اشتراك في الموضوع وهو الحرب دفعًا عن الإسلام، واشتراك في القافية، وتقارب في المعاني"[78]

---

[77] ديوان الشوقيات، أحمد شوقي، دار كلمات للطبع والنشر، المجلد الأول، 49

[78] الشعر وحروب الخلافة العثمانية، عبد الله بن إبراهيم بن يوسف الزهراني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، سنة 1412هـ، 1/ ص 76

فشوقي قد قرأ الشعر العربي ووعاه، وتأثر به أيما تأثر، ولا شك في ذلك. فكما أسلفنا فإن ثقافة شوقي إنما هي ثقافة عربية خالصة، وفكره إنما ينبع من المِعين العربي الأصيل، الذي يفيض رقة وعذوبةً وصفاءً، ما يفيض قوةً وعظمةً وجلالاً.

وشوقي قد عاصر الحرب بين الدولة العثمانية واليونان، واهتز وجدانه فرحًا بنصر الدولة العثمانية، وأراد أن يعبر عن فرحته الطاغية تلك بأبيات شعرية، فاستدعت ذاكرته الحافظة قصيدة من عيون الشعر العربي قيلت في مناسبة أخرى فيها نصر للإسلام والمسلمين على الروم، وهي بائية أبي تمام المشهورة التي أنشدها في نصر الخليفة العباسي المعتصم على الروم في فتح عمورية.

إذن فالمناسبة واحدة وهي نصر إسلامي على الكفر، والممدوح هو الخليفة، والشاعران كلاهما قد صدرا في شعرهما عن حبٍّ عميق لدولة الإسلام وخليفة المسلمين. فالمعارضة هنا واضحة لا لبس فيها، جلية للأعين لا شك فيها، إلا أنها ليست من باب التقليد الأجوف، الذي يكون من ضعاف الشعراء للفحول منهم. والتقليد بذلك يكون عيبًا في شاعرية المقلِّد ويفتح عليه أبوابًا من النقد اللاذع. فلا إبداع في التقليد، ولا جديد في نقل الأفكار والأخيلة من القديم إلى الجديد.

أما شوقي فلم يكن مقلدًا، بل كان مبدعًا، ففكره جديد، وخياله يتسم بالجدة، وعنده من ملكة الشعر ما يؤهله ليناطح فحول الشعراء في الأعصر القديمة.

فإذا أمعنا النظر في بائية أحمد شوقي نجده يستهلها بذكر السيف كما فعل أبو تمام، بيد أن شوقي قد نسب سيف الخليفة وفعاله إلى الحق المطلق، وأن الحق إنما يعلو وينتصر بالخليفة وسيفه، وهذا المعنى لا يصدر عن شاعر مقلد، إنما عن شاعر مبدع، له أدوات شعرية مستقلة، وموهبة فطرية يناطح بها أفذاذ الشعراء، بل ويفوقهم أحيانًا.

وما زال شوقي في مدحه للخليفة فيقول:[79]

وَمازالَ فَجراً سَيفُ عُثمانَ صادِقاً يُساريهِ مِن عالي ذَكائِكَ كَوكَبُ

فسيف الدولة العثمانية هنا هو فجر الإسلام، بكل ما في الفجر من نور وإشراق وبعث جديد، ويساير هذا الفجر وذلك البعث الجديد دليل هادٍ يمثله ذكاء الخليفة وفطنته وحسن تدبيره.

وقد جمع الشاعر في هذا البيت للخليفة القوة والفطنة، فالحكم والسياسة يحتاجان إلى قوة وفطنة، إلى شدة وحكمة، وأبى شوقي إلا أن يجمعهما للخليفة.

ثم يستطرد شوقي في القصيدة نفسها مادحًا الخليفة بقوله:[80]

سَما بِكَ يا عَبدَ الحَـــــميدِ أُبُوَّةٌ ثَلاثونَ حُضّارُ الجَلالَةِ غُيَّبُ

قَياصِرُ أَحياناً خَلائِفُ تـــــارَةً خَواقينُ طَوراً وَالفَخارُ المُقَلَّبُ

نُجومُ سُعودِ المِلكِ أَقمـــــارُ زُهرِهِ لَوَ انَّ النُجومَ الزُهرَ يَجمَعُها أَبُ

تَواصَوا بِهِ عَصراً فَعَصـــــراً فَزادَهُ مُعَمَّمُهُم مِن هَيبَةٍ وَالمَعَصَّبُ

هُمُ الشَمسُ لَم تَبرَح سَماواتِ عِزِّها وَفينا ضُحاها وَالشُعاعُ المحَبَّبُ

فينتقل الشاعر في هذه الأبيات إلى مدح آباء وأجداد السلطان عبد الحميد، الذي ورد اسمه صراحةً في الأبيات، مجردًا من الألقاب والكنى، فهو – أي السلطان عبد الحميد في هذه الأبيات في حضرة آبائه العظماء من السلاطين والخلفاء والخواقين( جمع خاقان وهو ملك الترك) وهم نجوم الملك وأقمار الدنيا، وقد تتابع الملك فيهم عصرًا بعد عصر، وزادتهم العمامة العثمانية الشهيرة هيبة وعظمة وجلالاً. وإن كانوا هم كالشمس عظمةً وقوةً وبهاءً، فإن خيرهم وبركتهم وحمايتهم سابغة على الرعية من الناس – مسلميهم وغيرهم –كما يستمتع الناس بنور الشمس وضحاها.

---

[79] الشوقيات، 1/ ص 49

[80] المصدر نفسه، 1/ ص 51

وما زلنا مع بائية شوقي في مدح الخليفة العثماني، فهي – والحق يقال – من روائع أحمد شوقي كما أنها من قصائده الطوال. يقول شوقي في الخليفة أيضًا:[81]

خُشوعاً وَتَخشاهُ اللَيالي وَتَرهَبُ نَهَضتَ بِعَرشٍ يَنهَضُ الدَهرُ بِهِ
مَكينٍ عَلى مَتنِ الوُجودِ مُؤَيَّدٍ بِشَمسِ اِستِواءٍ ماهَا الدَهرَ مَغرِبُ
تَرَقَّت لَهُ الأَسواءُ حَتّى اِرتَقَيتَهُ فَقُمتَ بِها في بَعضِ ما تَتَنَكَّبُ
فَكُنتَ كَعَينٍ ذاتِ جَريٍ كَمينَةٍ تَفيضُ عَلى مَرِّ الزَمانِ وَتَعذُبُ
مُوَكَّلَةٍ بِالأَرضِ تَنسابُ في الثَرى فَيَحيا وَتَجري في البِلادِ فَتُخصِبُ
فَأَحيَيتَ مَيتاً دارِسَ الرَسمِ غابِراً كَأَنَّكَ فيما جِئتَ عيسى المقَرَّبُ
وَشِدتَ مَناراً لِلخِلافَةِ في الوَرى تُشَرَّقُ فيهِم شَمسُهُ وَتُغَرَّبُ
سَهِرتَ وَنامَ المسلِمونَ بِغَبطَةٍ وَما يُزعِجُ النُوّامَ وَالساهِرُ الأَبُ

ينتقل بنا شوقي في هذه الأبيات إلى عرش الخليفة الذي تخشاه الدهر وتخافه الليالي، وهو قوي غاية القوة، وكأن قوته تلك ينبع من الشمس التي تشرق على الدنيا بأرجائها فلا يغيب عنها غائب ولا يمنعها مانع.

وكما للخليفة قوة قاهرة، فإن له من الخير والبركة ما يجعلها تفيض أبد الدهر وتُخصب الأرض الميتة وتحييها من جديد. ثم يعِنّ للشاعر هنا تشبيه الخليفة بعيسى ابن مريم، فكما يحيي سيدنا عيسى الميت بقدرة الله، كان الخليفة كالنبع الذي تحيا به الأرض الميتة فتخصب وتؤتي أكلها كل حين. وكما كان الخليفة كالشمس تارةً، وكالعين الجارية حينًا آخر، نجده كالأب العطوف الشفيق حينًا ثالثًا.

وهذا تنويع في الوصف لا يغيب عن شاعر في قدر شوقي، فالخليفة عند شوقي قوي قادر، كما أنه عطوف شفيق رحيم، وفي الوقت نفسه مبارك نبعًا للخير والخصب.

[81] نفسه، ص 53

كل ذلك في السياق نفسه بلا تنافر ولا تزاحم، فالمعاني والأخيلة تجري في شعر شوقي في سهولة ويُسر، تجعل القارئ يسبح مع شوقي في بحر تلك المعاني والأخيلة في سهولة ويسر كذلك.

ثم ينتقل بنا شوقي في القصيدة نفسها إلى جانب آخر من جوانب شخصية الخليفة، وذلك في قوله:[82]

حُسامُكَ مِن سُقراطَ[83] في الخَطبِ أَخطَبُ وَعودُكَ مِن عودِ المَنابِرِ أَصلَبُ

وَعَزمُكَ مِن هوميرَ[84] أَمضـــــــى بَديهَةً وَأَجلى بَياناً في القُلوبِ وَأَعذَبُ

وَإِن يَذكُروا إِســـكَندَراً[85] وَفُتوحَـــــــهُ فَعَهدُكَ بِالفَتحِ المُحَجَّلِ أَقرَبُ

وَمُلكُكَ أَرقى بِالدَليلِ حُكومَةً وَأَنفَذُ سَهماً في الأُمورِ وَأَصوَبُ

ظَهَرتَ أَميرَ المؤمِنينَ عَلى العِدا ظُهوراً يَسوءُ الحاسِدينَ وَيُتعِبُ

سَلِ العَصرَ وَالأَيّامَ وَالناسَ هَل نَبا لِرَأيِكَ فيهِم أَو لِسَيفِكَ مَضرِبُ

هُمُ مَلَئوا الدُنيا جَهاماً وَراءَهُ جَهامٌ مِنَ الأَعوانِ أَهذى وَأَكذَبُ

وَما كُنتَ يا بَرقَ المَنِيَّةِ تُخلِبُ فَلَمّا اِستَلَلتَ السَيفَ أَخلَبَ بَرقُهُم

فالخليفة هنا أفصح في خطابته من فيلسوف اليونان الشهير سقراط، الذي يُعد مضرب المثل في الفصاحة والقدرة على الإقناع، فبلغ الشاعر بالخليفة شأنًا ذا خطر في الفصاحة وحسن البيان.

أما تأثير تلك الفصاحة وذلك القول عند الخليفة فيتجاوز أثر هوميروس المعروف عنه قدرته على تهييج الجماهير وإلهاب حماستهم في اليونان القديمة.

---

[82] المصدر السابق، ص 55

[83] سقراط (469 - 399 ق.م.). فيلسوف ومعلم يوناني جعلت منه حياته وآراؤه وطريقة موته الشجاعة، أحد أشهر الشخصيات التي نالت الإعجاب في التاريخ. صرف سقراط حياته تمامًا للبحث عن الحقيقة والخير. لم يترك سقراط أية مؤلفات.

[84] هوميروس Homeros (بالإنكليزية Homer والفرنسية Homère) شاعر اغريقي شهير وهو كاتب الملحمتين : الإلياذة والأوديسا قام بتخليد حرب طروادة شعرًا بدقة متناهية التي يعتقد حدوثها العام 1250 ق.م، ويُعد مع هسيودوس ينبوع الشعر الإغريقي وذروته.

[85] الإسكندر الأكبر ملك مقدونيا في الفترة ما بين 336-323 قبل الميلاد، وقام أثناء حكمه بتوحيد اليونان والتغلب على الإمبراطورية الفارسية.كما أنه من أشهر الفاتحين الذين مروا في التاريخ، وأشهر القادة المتميزين (المصدر: هوامش ديوان الشاعر)

وإن تركنا الفصاحة وحسن القول والقدرة على إلهاب حماسة الجماهير وانتقلنا إلى الفتوحات وتوسيع رقعة دولة الخلافة والقدرة على أمور الحكم والسياسة، فالخليفة فيها قد فاق الإسكندر الأكبر المقدوني الذي ملك الشرق والغرب وذاع صيته في العبقرية العسكرية وسياسة الأمم المختلفة التي تقع تحت لوائه وراية حكمه.

وكما بدأ أحمد شوقي بائيته تلك بذكر السيف والحسام، فإنه في هذه الأبيات يعطف إلى ذكره مرةً أخرى، مقارنًا هذه المرة بين سيف الخليفة وسيوف أعدائه. فسيوف الأعداء تملأ الناس جهامةً وكدرًا، وتعيث في الأرض فسادًا وقتلاً، أما سيف الخليفة – على ما له من قوة وشدة وحسم – فإنه يخلب الألباب كالبرق من سطوعه ولمعانه.

ويذكر لنا التاريخ أنه قد " أُلقيت قذيفة على السلطان عبد الحميد سنة 1905، ونجا السلطان منها"[86] وكتب الله السلامة والنجاة للخليفة من تلك المحاولة الدنيئة. فلما وصل الخبر إلى شوقي انبرى مهنئًا الخليفة بنجاته، واصفًا فرحة الإسلام والمسلمين بها، وذلك في قصيدة له اسمها "نجاة" يقول فيها:[87]

هَنيئـــاً أَميـــرَ المؤمِنـــينَ فَإِنَّما ... نَجاتُـــكَ لِلدينِ الحَنيفِ نَجاةُ

هَنيئـــاً لِطَهَ وَالكِتـــابِ وَأُمَّـــةٍ ... بَقاؤُكَ إِبقـــاءٌ لَها وَحَيـــاة

أَخَذتَ عَلى الأَقدارِ عَهداً وَمَوثِقاً ... فَلَســتَ الَّذي تَرقى إِلَيهِ أَذاةُ

وَمَن يَـــكُ في بُـــردِ النَبِيِّ وَثَوبِهِ ... تَجُزهُ إِلى أَعدائِـــهِ الرَمَيـــاتُ

يَكادُ يَســـيرُ البَيـــتُ شُكراً لِرَبِّهِ ... إِلَيكَ وَيَسعى هاتِفـــاً عَرَفاتُ

---

[86] شوقي أو صداقة 40 سنة، الأمير شكيب أرسلان، ص 237

[87] الشوقيات، 1/ ص 133

وَتَستَوهِبُ الصَفحَ المساجِدُ خُشَّعــاً وَتَبسُطُ راحَ التَوبَةِ الجُمُعــاتُ

وَتَستَغفِرُ الأَرضُ الخَصيبُ وَما جَنَت وَلَكِن سَقاها قاتِلــــونَ جُناةُ

وَتُثني مِنَ الجَرحى عَلَيكَ جِراحُهُــم وَتَأتي مِنَ القَتلى لَكَ الدَعَواتُ

وأمير الشعراء في تلك الأبيات لا يهنئ الخليفة وحده بنجاته من محاولة الاغتيال الآثمة، وإنما يهنئ الرسول صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم والأمة الإسلامية معه بتلك النجاة، فعند شوقي نجاة الخليفة نجاة المسلمين وسلامته سلامةٌ لهم، وبقاؤه بقاءٌ للإسلام والأمة الإسلامية جمعاء. ويرد شوقي سبب نجاة الخليفة من القتل غيلة إلى كونه في كنف النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وتحيط به عنايته.

ثم يعدد شوقي مظاهر الفرحة بنجاة الخليفة، فالكعبة المشرفة تسجد شكرًا لله، وجبل عرفات يسعى رافعًا صوته بالحمد، والمساجد تطلب الصفح والمغفرة من الله للمسلمين والجمعة ترفع يدها تبتهل إلى الله ليتوب على عصاة المسلمين، والأرض الخصبة المباركة تستغفر لهم. أما من شهد ذلك الاعتداء الغاشم فإن جراح الجرحى منهم تنثني شاكية للخليفة جُرم أولئك المجرمين – ومن أرحم بها من خليفة المسلمين؟! – والشهداء الذين لقوا ربهم جرّاء تلك الحادثة الأليمة يدعون الله أن يحيط الخليفة بعنايته ورعايته.

فأمير الشعراء في فرحته للخليفة يحيي الجمادات ويُسيّرها، ويبعث الموتى ويُنطقهم، كل ذلك في جو يملؤه البشر والسرور بنجاة الخليفة وبقائه على قيد الحياة.

.....

على أنّ ذكر أحمد شوقي للخليفة العثماني لم يكن كله في معرض المدح والثناء، ولم يكن جميعه في باب التعظيم والإشادة. بل خالط هذا وذاك بعضُ قصائد وأبيات فيها لوم وتأنيب للخليفة، بل وغضب من بعض مواقفه وأفعاله. وإن في هذا لدليل على أن حب أمير الشعراء لخليفة المسلمين في الأستانة لم يصدر عن تعصب أعمى أو عن هوى نفس، بل كان هذا الحب في حقيقته ما هو إلا انعكاس لحب شوقي للإسلام واحترامه لمقام خليفة المسلمين أيًّا كان. فهو يحب مقامه ورمزيته يتبع فيه نهج الإسلام في العلاقة بين الحاكم والمحكوم. ويسير على مبدأ الخليفة الإسلامي الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ يقول" فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني" ومن هذا المنطلق نجد في أشعار شوقي بعضًا من اللوم وإن شئت فقال بعض الذم للسلطان عبد الحميد. ومن ذلك أنه عندما قام السلطان عبد الحميد بإلغاء الدستور، ثم قام بعض ضباط الجيش وأعضاء حزب الاتحاد والترقي بعزل السلطان عبد الحميد نجد شوقي يتوجه باللوم للسلطان وأنه السبب الرئيسي فيما آلت إليه الأمور في دولة الخلافة، وقد صاغ ذلك في قصيدته المشهورة التي يقول في مطلعها:[88]

سل يلدزًا ذات القصور هل جاءها نبأ البدور

لو تستطيع إجابةً لبكتك بالدمع الغزير

وقد يظن القارئ أن شوقي يتحسر على أيام السلطان وحكمه الذي دام ثلاثين عامًا وعلى العلاقة الوطيدة التي كانت تربطه بالسلطان عبد الحميد، وهذا ليس بخطأ، فيحق لمثل أمير الشعراء أن يندب مثل السلطان عبد الحميد وأن يرثي أيام حكمه. إلا أن القصيدة لا تخلو من أبيات يتوجه فيها

[88] المصدر السابق ، ص 169

أمير الشعراء باللائمة إلى السلطان نفسه، ويُحمله المسؤولية عن سقوط عرشه وزوال حكمه على يد ضباط من جيش الخلافة. فيقول شوقي في ذلك:[89]

عبد الحميد حساب مث لك في يد الملك الغفور
سدت الثلاثين الطوا ل ولسن بالحكم القصير
تنهي وتأمر ما بدا لك في الكبير وفي الصغير
لا تستشير وفي الحمى عدد الكواكب من مشير
كم سبحوا لك في الروا ح وألهوك لدى البكور
ورأيتهم لك سجدًا كسجود موسى في الحضور
خفضوا الرؤوس ووتروا بالذل أقواس الظهور
ماذا دهاك من الأمو ر وكنت داهية الأمور
ما كنت إن حدثت وجلـ ـت بالجزوع ولا العثور
أين الروية والأنا ة وحكمة الشيخ الخبير

فشوقي يرى أن السلطان عبد الحميد لن يُحاسب على أخطائه في الدنيا لعظمها وخطرها، بل إن الله وحده من سيحاسبه عليها يوم القيامة، ثم يسائله: كيف يبقى في سدة الحكم ثلاثين سنة وحوله من المستشارين الكثير، ولا يستشير منهم مؤتمنًا أو ناصحًا علّه كان يغير من تلك النهاية المهينة له وهو خليفة المسلمين، فهو إذن يرميه بالاستبداد وعدم الاستماع إلى آراء مستشاريه وهم كثر" وفي هذا شيء من المبالغة لأن عبد الحميد طالما استشار وأخذ برأي أعوانه وإنما كان يفترق عن غيره من الملوك الدستوريين بكونه لا يتقيد بإشارة أحد منهم"[90] ثم لا يكتفي شوقي بذلك، بل يعمد إلى تجريده من

[89] المصدر نفسه ، ص 170
[90] شوقي أو صداقة 40 سنة، الأمير شكيب أرسلان، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، 1936، ص 268

المحاسن التي طالما أضافها عليه، فهو – أي السلطان – في آخر أيامه في الحكم قد افتقد الحكمة والروية وحسن تقدير الأمور.

وثمة دليل آخر على أن العلاقة بين شوقي لم تكن علاقة شخصية بحتة يدفعها الطمع في كرم السلطان وأعطياته، مثلما العلاقة بين سائر الشعراء وممدوحيهم من الملوك والسلاطين، بل إن تلك العلاقة كانت روحية في المقام الأول، علاقةٌ بين خليفة المسلمين وأحد رعاياه الذي يُكنّ له التعظيم والتبجيل، وهذا الدليل، أنه في تلك القصيدة نفسها التي ذم فيها السلطان عبد الحميد ولامه على تقصيره، نجده يبادر بتقديم التهنئة للخليفة الجديد محمد رشاد، وهو أخو السلطان عبد الحميد، ولم تكن تهنئة صادرة عن نفاق أو رياء، بل عن سمع وطاعة لخليفة المسلمين الجديد. فشوقي " لم يكن يهمه السلطان عبد الحميد لأجل شخصه بل لأجل منصب الخلافة الذي كان يتقلده وهو منصب تهوي إليه جميع أفئدة المسلمين. وهذا المنصب لا يزول بزوال عبد الحميد بل قد شغله الآن أخوه السلطان محمد رشاد الذي بويع سلطانًا وخليفة باسم محمد الخامس. فالشاعر الإسلامي الأمين عملاً بمبدأه الذي لا يحيد عنه يودع السلف ويحيّ الخلف لأن الخلافة يجب أن تبقى"[91]

فشوقي ملتزم بمبدأ السمع والطاعة للخليفة أيًّا كان، وهو – وإن كان يحب السلطان عبد الحميد – إلا أنه ليس حبًّا أعمى، له حظ من هوى النفس، بل كان حبًّا صادرًا عن عقيدة إسلامية وحس ديني صادق. فحين يعتلي الخليفة الجديد العرش نجد شوقي يقدم له التهنئة قائلاً:[92]

المؤْمنونَ بِمِصرَ يُهْـ ـدونَ السّلامَ إلى الأميرِ
وَيُبايِعونكَ يا مُحَمّـ ـمدُ في الضّمائِرِ والصُّدورِ

[91] المصدر السابق، ص 291
[92] الشوقيات، الجزء الأول ، ص 172

قد أَمَّلُوا لِهِلالِهِمْ حَظَّ الأَهِلّةِ في المسِيرِ
فَابْلُغْ به أَوْجَ الكَمَا لِ بِقوّةِ اللهِ النَّصيرِ
أنتَ الكبيرُ يُقَلِّدو نكَ سيْفَ عُثمانَ الكبيرِ
شيخَ الغُزاةِ الفاتحيـ ـنَ حُسامُهُ شَيخُ الذّكورِ
يَمْضِي ويُعْمَد بالهُدى فكأنّه سيْفُ النّذيرِ
بُشْرَى الإمامِ محمدٍ بخلافةِ اللهِ القديرِ
بُشْرَى الخلافةِ بالإما مِ العادلِ النَّزْهِ الجَديرِ

يهنئ أمير الشعراء الخليفة الجديد محمدًا الخامس بتوليه الخلافة ويرسل إليه تحياته وتحيات رعيته ومحبيه من أهل مصر، كما يهنئه " بتقليده سيف آل عثمان. ومن عادة هذا البيت الكريم أنهم عند مبايعة السلطان يقلدونه سيف جده عثمان وذلك في حفلة عظيمة تقام في مقام الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه المدفون كما لا يخفي في آخر خليج استانبول. ويكون الذي يقلد السلطان هذا السيف شيخ الطريقة المولوية المنسوبة إلى مولانا جلال الدين الرومي، يستدعونه من قونية إلى الأستانة ليقوم بهذا التقليد"[93] وفي تلك الأبيات إشارة إلى تلك الرابطة الدينية الخالصة التي تربط شوقي بالخليفة في الأستانة، فهو لم يتوجه إليه بالإشارة على أنه السلطان، بل بكونه أمير المؤمنين والإمام، وهي ألقاب لها بعدها الديني الإسلامي الخالص.

...

وكأن أمير الشعراء قد رُزق الفراسة كما رُزق موهبة الشعر وصنعته، وكأنه قد علم أنه سوف يُرمى بتهمة التزلف للسلطان ونفاق الحكام، فأبى إلا أنْ يخط بقلمه صك براءته. فشوقي لم يكن أبدًا

[93] شوقي أو صداقة 40 سنة، الأمير شكيب أرسلان، ص 291

شاعر السلطان لشخص السلطان، ولم يكن من أولئك الشعراء الذين يقفون بباب ولي الأمر علّه يجود عليهم بالفتات. بل كان شعره في الخلفاء من آل عثمان هو التزام ديني من مسلم مؤمن تجاه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشعور صادق مبعثه الحرص على وحدة المسلمين تحت راية واحدة يحملها الخليفة في الأستانة. وفي دفع تهمة الرياء والنفاق عن نفسه يقول شوقي:[94]

قال العذول: خرجنا في محبتكم ... من الوقار فيا صدق الذي زعما
فما على المرء في الأخلاق من حرج ... إذا رعى صلةً في الله أو رحما
ولو وهبتم لنا عُليا سيادتكم ... ما زادنا الفضل في إخلاصنا قدما
نحنوا عليكم ولا ننسى لنا وطنًا ... ولا سريرًا ولا تاجًا ولا علمًا
هذي كرائم أشياء الشعوب فإن ... ماتت فكل وجود يشبه العدما

فأحمد شوقي في هذه الأبيات لا ينكر أبدًا حبه للخلافة وآل عثمان، بل يقرّ بها ويؤكدها, ولكنه في الوقت نفسه يعزو تلك المحبة إلى رابطين أساسيين هما: الحب في الله وصلة الرحم. ولا يخفى ما في السببين من مرجعية دينية إسلامية واضحة وضوح الشمس، فحب شوقي للخليفة والخلافة هو حب في الله، وصلته بهم هي صلةٌ للرحم، وقد أسلفنا وقدمنا أصول أحمد شوقي التركية. وكأن هذا التصريح ليس كافيًا ولا مزيلاً لشبهة خاف منها أمير الشعراء، فأراد نفي تلك الشبهة من باب آخر، وهو التأكيد على حبه لوطنه مصر وملكها وعَلَمها، فحبه لمصر نابع من حسٍّ وطني، أما حبه للخلافة والخليفة فنابع من حسٍّ ديني إسلامي." فعندما يهتف شوقي ومَن في نمطه بتلك القصائد الرنانة إمًا في مدح عزيز مصر أو في مدح الخليفة الأعظم فإنما هو في الحقيقة يشيد باستقلال مصر في وجه الأجانب الطامعين المستأثرين بالأمر، وعندما يرسل كلماته الخالدة في مديح السلطان الخليفة فإنما يقدس مقام

[94] الشوقيات، 1/ 307

الخلافة العزيز على المسلمين الناظم لشملهم القائم في وجه عدوهم. فليس في هذا المذهب ما يدل على سلوك طريق التزلف كما يظن مَن لا يدقق في أسرار الأمور ولكنها الصارخة القومية والنزعة الإسلامية والنصح عن حوض الخلافة والذود عن بنيان السلطنة"[95]

ولم يكتف شوقي بذلك، بل كرر هذا المعني ذاته في أبيات أخرى أكثر وضوحًا وتأكيدًا للعلاقة الدينية الروحية التي ربطته بدولة الخلافة، فيقول:[96]

عَهدُ الخِلافَةِ فِيَّ أَوَّلُ ذائِدٍ عَن حَوضِها بِبَراعَةٍ نَضّاحِ
حُبٌّ لِذاتِ اللهِ كانَ وَلَم يَزَلْ وَهَوًى لِذاتِ الحَقِّ وَالإِصلاحِ
حَتّى أَكونَ فَراشَةَ المِصباحِ إِنّي أَنا المِصباحُ لَستُ بِضائِعٍ

فهو يصرّح تصريحًا لا لبس فيه أنه المدافع الأول عن الخلافة والخليفة، وأنه يكنّ لهم من الحب الكثير، حبٍّ في الله دائم غير منقطع، غرضه إظهار الحق والرغبة في الإصلاح. وشوقي لا يقف عند حدود الحب والميل القلبيّ فقط، بل يتعدى ذلك إلى الاستعداد للتضحية بنفسه في سبيل الحق وإنارة طريق الحق للخلافة.

كما يهيب شوقي بالمسلمين أن يحافظوا على وحدتهم تحت راية الخلافة، وأن يتمسكوا بها بكل السبل، فهي سبيل نجاتهم ومكمن عزهم، فيقول: [97]

أمّا الخلافة فهي حائط بيتكم حتى يُبين الحشر عن أهواله
أُخذت بحدّ المِشرفيّ وحازها لكم القنا بقصاره وطواله
لا تسمعوا للمرجفين وجهلهم فمصيبة الإسلام من جهاله

[95] شوقي أو صداقة 40 سنة، شكيب أرسلان، ص 25
[96] الشوقيات، 1/ 152
[97] المصدر السابق ، ص238

فالخلافة عند شوقي كحائط البيت المنيع، يحمي أهله ويحفظ من يلوذ به حتى يوم القيامة. والخلافة غالية ثمينة لأنها أُخذت بالدم والروح والحياة. ثم يتجه بالنصح للمسلمين جميعهم بألا يستمعوا للمشككين المرجفين الذين يسعون لتشكيك المسلمين في خلافتهم وزعزعة ثقتهم بها.

## المبحث الثاني: ذكر آل عثمان والعنصر التركي:.

إن أمير الشعراء أحمد شوقي- شاء أم أبى، تعمد أم لم يكن متعمدًا —كان يميل كثيرًا إلى العنصر التركي. وربما يرجع ذلك الميل إلى أصوله التركية، التي تنتزعه انتزاعًا وتدفعه دفعًا إلى البوح بهذا الحب، وذلك من خلال قصائده وأشعاره. بيد أننا لا نستطيع القول بأن أصوله التركية فقط هي ما جعلت للعنصر التركي تلك المكانة الخاصة في قلبه، بل إنه —كغيره من الشعراء الملتزمين — يرى أن الخلافة هي سبب قوتهم ومكمن عزهم. والترك هم معدن الخلافة العثمانية، وعمود خيمتها، وبتضحياتهم وجهودهم الجبارة قامت الدولة وحكم الإسلام بها الدنيا من مشرقها إلى مغربها. فالعلاقة إذن علاقة دينية إسلامية في المقام الأول، يخالطها أحيانًا ميلٌ مردُّه الدم والنسب. " ولكنك قد يدهشك مع تجلي الإيمان في هذه القصائد وغيرها أن يكون شوقي أكثر تحدثًا عن الترك وعن الخليفة منه عن العرب وعن الرسول، فهذا الجزء الأول من ديوانه يشتمل على ثلاث قصائد عن العرب وعن مكة وعن الرسالة، ويشتمل على ثماني عشرة قصيدة عن الخلافة وعن الترك. وأنت تلمس في هذه القصائد الثماني عشرة جميعًا حسًّا أدقّ من العاطفة، وفيضًا أغزر من الشعر، وقوة تكاد تعتقد معها أن شوقي إذ يتحدث عن الترك إنما يُملي ما يكنه فؤاده، وإنما يندفع بقوة كمينة هي قوة دم الجنس، أو أن اتصاله بالبيت المالك في مصر كان قوي الأثر في نفسه إلى حدٍّ جعله يفيض من ذكر الترك"[98]

[98] ديوان الشوقيات، 1/ ص 20

ولم يكن شوقي وحده هو المغرم بالترك والعثمانيين، بل كان هذا تيارًا جارفًا يسري بين عموم أبناء الشعب المصري. فخلافة المسلمين – ومقرها الأستانة في بلاد الترك –كانت مهوى أفئدة المصريين، فضلاً عن العلاقات الرسمية بين الخديو والحكومة في مصر، والخليفة والخلافة في تركيا. " إن اتصال مصر بالصلة الرسمية مع السلطنة العثمانية، وغرام المصريين يومئذ بالعثمانيين والخلافة، دعا الشاعر إلى أن ينظم عدة قصائد في مدح السلطان عبد الحميد الثاني"[99] فمدائح شوقي في آل عثمان سببها غرام المصريين وولعهم بآل عثمان والخلافة، ولابد للشاعر أن يُلبي رغبات الجماهير، وهذا بالطبع إلى جانب حسه الديني وأصوله التركية.

قال شوقي الشعر في تمجيد آل عثمان خاصةً والترك عامةً، فلم يترك مناسبة إلا وأشار فيها إلى فضلهم وعلو شأنهم وجليل أعمالهم. فنجده يُفرِد قصيدة من قصائده للتغني بمآثر الترك وفضلهم، وحبه وحب المصريين لهم، فيقول في مطلعها:[100]

الدَهرُ يَقظانُ وَالأَحداثُ لَم تَنَمِ فَما رُقادُكُمُ يا أَشرَفَ الأُمَمِ

لقد بالغ شوقي مبالغة كبيرة في مدح الترك في بيت القصيدة الأول، فها هو يصف الترك بأنهم أشرف الأمم، ولكنه مدح يشبه الذم، فيه تبكيت ولوم وتقريع. إذ كيف يكونون أشرف الأمم وهم راقدون غافلون لاهون، والأمم من حولهم منتبهة متيقظة متأهبة للانقضاض عليهم. ثم يُعرّج في القصيدة نفسها لاستنهاض همة الترك وبعث الحماسة فيهم بقوله:[101]

يا فِتيَةَ التُركِ حَيّا اللهُ طَلعَتَكُم وَصانَكُم وَهَداكُم صادِقَ الخِدَمِ

أَنتُم غَدُ المُلكِ وَالإِسلامِ لا بَرِحا مِنكُم بِخَيرِ غَدٍ في المَجدِ مُبتَسِمِ

---

[99] ذكرى شاعرين، شاعر النيل وأمير الشعراء ، أحمد عبيدة، الجزء الثاني، المكتبة العربية في دمشق، ص 430

[100] ديوان الشوقيات، 1/ ص 319

[101] المصدر السابق، ص 320

تُحِلُّكُم مِصرُ مِنها في ضَمائِرِها وَتُعلِنُ الحُبَّ جَمّاً غَيرَ مُتَّهَمِ

فهو هنا يصرح ولا يلمح، يشرح ولا يواري، فيتوجه بالتحية والدعاء إلى الترك، ليس طلبًا للعطايا أو الإكرام، بل لأنهم بيت الملك ومستقبل الإسلام. ثم يشير إلى ما أشرنا إليه من قبل وهو حب المصريين للترك حبًّا بلا غرض، حبًّا في الله وفي الإسلام.

ثم يستطرد شوقي في هذا المنحى فيقول بعدها مباشرةً:[102]

فَنَحنُ إِن بَعُدَت دارٌ وَإِن قَرُبَت جارانِ في الضادِ أَو في البَيتِ وَالحَرَمِ

ناهيكَ بِالسَبَبِ الشَرقِيِّ مِن نَسَبٍ وَحَبَّذا سَبَبُ الإِسلامِ مِن رَحِمِ

شَمَلُ اللُغاتِ لَدى الأَقوامِ مُلتَئِمٌ وَالضادُ فينا بِشَملٍ غَيرِ مُلتَئِمِ

فَقَرِّبوا بَينَنا فيها وَبَينَكُمُ فَإِنَّها أَوثَقُ الأَسبابِ وَالذِمَمِ

وَكُلُّنا إِن أَخَذنا بِالفَلاحِ يَدٌ وَسَعَينا قَدَمٌ فيهِ إِلى قَدَمِ

نجد أمير الشعراء هنا يعدد أسباب القرب بين الترك والمصريين، فالأمتان قريبتان جارتان مكانًا ولغةً وديناً وحرمًا تهوي إليه أفئدة المسلمين بهما. كل هذا بالطبع إضافة إلى النسب والمصاهرة بين الشعبين، ولعل شوقي هو أبرز وأوضح نتائجها وأدلتها. ويتابع شوقي قائلاً:

فَلا تَكونُنَّ تُركِيّا الفَتاةِ وَلا تِلكَ العَجوزَ وَكونوا تُركِيا القِدَمِ

فَسَيفُها سَيفُها في كُلِّ مُعتَرَكٍ وَعَدلُها طَوَّقَ الإِسلامَ بِالنِعَمِ

ثم يستعمل شوقي تمكُّنه من بلاغة اللغة وأدوات الشعر فيوجه النصح للترك بصورة لطيفة وشكل فُكاهي بأن تعود تركيا إلى حالها القديم وقت مجد الدولة وعظمتها وقوتها، وألا تستسلم لحالتها الراهنة التي تشبه العجوز وهنًا وضعفًا وخورًا، بيد أنه لا يريدها أن تكون فتاةً، في إشارة لطيفة منه منه إلى حزب تركيا الفتاة، الذي قاد ثورة تركيا الفتاة في 1908 وألغى تعليق البرلمان العثماني من قِبل

[102] المصدر السابق، ص 320

السلطان عبد الحميد الثاني، وقد أشّر ذلك بداية العهد الدستوري الثاني. وكان ذلك علامة فارقة في حل الدولة العثمانية، فقد نشبت الثورة من اتحاد غير متوقع للمهتمين بالإصلاح من كل من القوميين الأتراك، والعلمانيين المتغربين، وأي شخص ينحى باللوم على السلطان على الحالة المتدهورة للدولة العثمانية.

ثم لا يكتفي شوقي بإفراد قصيدة عن الترك وحدهم، بل نجد ذكرهم مبثوثًا في غير قصيدة، كما نجد في قصيدة له معنونة بـ" صدى الحرب" وهي ملحمة طويلة عن الحروب والمعارك التي خاضتها الخلافة، وشوقي فيها لا يفتأ يذكر الترك وأيامهم، فيذكر لهم موقعة مضيق ملونا قائلاً:[103]

جبالَ (ملونا)، لا تخوري وتجزعي إذا مال رأسٌ، أو تضعضع منكب
فما كنتِ إلا السيفَ والنارَ مركبًا وما كان يستعصي على الترك مركَب
عَلَوْا فوق علياءِ العدوَّ، ودونه مَضيقٌ كحلق الليث، أو هو أصعب

فالترك هنا لا يستعصي عليهم شيء، ولا يقف أمامهم حائل ولا مانع من فتوحاتهم، وهم قوم قد علوْا فوق كل علياء لأعدائهم.

ولا ينتهي ذكر الترك في هذه الملحمة الشعرية الرائعة، إذ يروح شوقي ويغدو من معركة إلى معركة، ومن ظفر إلى ظفر، لكنه لا ينسى أبدًا أن يردد فضائل الترك ويكرر التغني بهم وبمآثرهم. ففي القصيدة نفسها نجده يقول:[104]

للترك ساعات صبر يوم نكبتهم كتبْن في صحف الأخلاق بالذهب
.....
تَلمّس الترك أسبابا فما وجدوا كالسيف من سلم للعز أو سبب

[103] المصدر السابق نفسه، ص 67
[104] المصدر السابق، ص 89

وهنا تظهر عدالة شوقي في الترك، فهو لا يقدسهم أو ينزههم عن الزيغ والخطأ، بل نجده يُقر بنكبات تصيبهم ومصائب تحدث فيهم، لكنه يعطيهم صفة الصبر في الكرب، ويلصق بهم مكارم الأخلاق كلها مكتوبة في صحف من ذهب، ثم يذكرنا شوقي بأيام الترك الأولى، حين شرعوا في بناء مجدهم وتشييد عزهم، فكان السيف والجهاد والفتح هو وسيلتهم الأثيرة لنيل تلك المنزلة السامقة في تاريخ الإنسانية، حيث لا ينازعهم فيها منازع.

ولا يُهمل أمير الشعراء ذكر السواحل التركية وقوتها ومنعتها، فيذكرها بذكر الترك في " صدى الحرب" أيضًا، فيقول:[105]

فقُمتُ أُجيلُ الطرف حيران قائِلا أهذى ثُغورُ التُركِ أم أنا أحسبُ

فمِثل بِناءِ التُركِ لم يبنِ مُشرِق ومِثل بِناءِ التُركِ لم يبنِ مغرِبُ

وكأن لفظة الترك لها من العذوبة والجمال في فم شوقي وعلى لسانه ما يدعوه إلى تكرارها ثلاث مرات في بيتين. وهذا بجانب كونه دليلاً على اعتزاز شوقي بالترك وحبه الكبير لهم، فإنه يُعد ملمحًا أسلوبيًّا من الصعب إغفاله في شعر شوقي.

ولا يقتصر ذكر الترك على هذه اللفظة فقط، بل إنه قد يُخصّص أحيانًا فيذكر آل عثمان أو العثمانيين، بوصفهم آل الملك وبيت الخلافة،وحق لآل عثمان أن يذكرهم التاريخ والأدب بالفخر والإكبار، وهم من جاهدوا وضحوْا حتى يكون للمسلمين دولة، وبالفعل"سيتمكن أحفاد عثمان، وهو أحد غزاة الحدود ومؤسس السلالة العثمانية، من تأسيس إمبراطورية تمتد من الدانوب إلى الفرات"[106] ولهذا حرص الأدباء والشعراء أن يذكروا آل عثمان بالمدح والثناء في أعمالهم عرفانًا بما قدموه من

[105] السابق نفسه، ص 63

[106] تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، خليل إينالجيك، ترجمة محمد. م . الأرناؤوط، دار المد الإسلامي، ط1، 2002، ص 13

تضحيات للإسلام والمسلمين،و" لا ريب أن الدولة العثمانية قامت بدور هام وبارز في نشر الإسلام في أوربا، رغم ما تعرضت له من تكتلات صليبية حاقدة ضد الإسلام والمسلمين، وتبادلت الدولة مع أعدائها الهزائم والانتصارات، إلا أنها قدمت خدمات جليلة للمسلمين والعرب، وقامت بحماية الشرق العربي والإسلامي من الغزو الاستعماري"[107] هذا أولاً، ثم إرضاءً لآل بيت الخلافة، فهذا أحمد شوقي يصف آل عثمان قائلاً:[108]

إلى أُفقٍ فيهِ الخَليفَةُ كَوكَبُ أَخوضُ اللَيالي مِن عُبابٍ وَمِن دُجىً

إلى مُلكِ عُثمانَ الَّذي دونَ حَوضِهِ بِناءُ العَوالي المشمَخِرّ المطَنَّ ُب[109]

.....

هُنالِكَ غالى في الأَماديحِ مَشرِقٌ وَبالَغَ فيكُم آلَ عُثمانَ مَغرِبُ

فآل عثمان هنا لازمة لغوية كما هي لازمة معنوية، فالافتخار والاعتزاز بآل عثمان في المآثر والمحاسن يستتبعه – في شعر شوقي – تكرار ذكرهم والإصرار على وضعهم في ثنايا الشعر في أعز مكان وأجمل شكل. فالشاعر وحده لا يمدح، فالشرق يمدح، والغرب يمدح، بل ويغاليان في مدح آل عثمان، ولا شيء أكبر مما بين الشرق والغرب. ولا يفتأ شوقي يعترف بمآثر آل عثمان وأفضالهم على التاريخ الإسلامي كله بجهادهم وفتوحاتهم، فسيقول شوقي:[110]

بَني عُثمانَ إِنّا قَد قَدَرنا فُتوحَكُمُ الكِبارَ وَقَد شَكَرنا

سَأَلنا اللَهَ نَصراً فَانتَصَرنا بِكُم وَاللَهُ خَيرُ الناصِرينا

---

[107] الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، إسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكات، ط1، 1996، ص 235

[108] الشوقيات، الجزء الأول ، ص 63

[109] المشمخر: العالي ، المطنب: المشدود بالأطناب أي الأوتاد

[110] الشوقيات، 1/ ص 398

فالمسلمون قاطبةً يقدرون ويشكرون لآل عثمان فتوحاتهم الكبار، وهذا السياق الديني الإسلامي يستدعي بالضرورة اقتباسًا من القرآن الكريم في السياق ذاته، فلا يجد أمير الشعراء أنسب من الاقتباس من قوله تعالى( بل الله مولاكم وهو خير الناصرين)[111]

ثم يعمل شوقي على تقوية الأواصر بين جموع المسلمين وآل عثمان، فبعد أن جاهد شوقي للوصل إلى آل عثمان مادحاً إياهم، وبعد أن شكرهم المسلمون على جليل خدماتهم للإسلام والمسلمين، فها هو يؤكد رضا المسلمين عن خلفائهم من آل عثمان في صورة الخليفة الحالي عبد الحميد الثاني، ويتلذذ شوقي بتكرار ذكر آل عثمان مرةً بعد مرةٍ حتى لَيمكن للباحث أن يعد ذلك سمة أسلوبية ظاهرة ومتحققة في أسلوبياته الكثيرة. قال شوقي:[112]

رضيَ المسلمون والإسلامُ فَرْعَ عثما َن[113] ، دُمْ، فِداك الدوامُ

.....

وأساسٌ من عهدِ عثمان يُبنى في ثمانٍ ومثلهن يُقام

.....

وبدا الملكُ ملكُ عثمانَ من عَلْ ياكَ في الذَّرْوَة التي لا تُرام

وكما يذكر أمير الشعراء آلَ عثمان في الرخاء، يذكرهم في الشدة. ومثلما يتناول مآثرهم أيام غلبتهم وقتهم، لا ينسى الوقوف معهم ومشاركتهم أتراحهم أيام محنتهم فيقول:[114]

يا آل عثمانَ أبناءَ العمومةِ. هل تشكون جرحًا ولا نشكو له ألما؟

إذا حزِنتم حزَنًّا في القلوب لكم كالأمِّ تحملُ من همِّ ابنها سَقما

---

[111] سورة آل عمران، الآية 150
[112] الشوقيات، 1/ ص 339
[113] فرع عثمان: أي السلطان عبد الحميد الثاني
[114] الشوقيات، 1/ ص 306

يتضح مما سبق أن شوقي كان شديد التعلق بالعثمانيين والخلافة الإسلامية، فقد كان بصدق " إسلامي الروح عثماني الهوى، فكانت قصائده التي يؤازر بها العثمانيين من أجمل الأصوات وأعذبها، فدوّت في الآفاق يقرؤها القاصي والداني. ومن ذلك الحين، يستطيع الباحث أن يقرر بطمأنينة أن الشعر الذي أسهم به شوقي في الدفاع عن قضية العثمانيين ذو أثر مزدوج بالنسبة للرأي العام العربي وبالنسبة للأداء الفني أيضًا"[115]

## المبحث الثالث: وصف المعارك:.

خاضت الدولة العثمانية منذ نشأتها الكثير من المعارك والحروب دفاعًا عن الإسلام والمسلمين، وتوسيعًا لرقعة الدولة، ونشرًا لدين الله. وقد انتصر العثمانيون في كثير من حروبهم وهُزموا في بعضها.

يقول شوقي في ملحمته الشهيرة " صدى الحرب" المعروفة ببائية أحمد شوقي، واصفًا الجيش العثماني في معركة مضيق ملونا: [116]

جبالَ (ملونا)، لا تخوري وتجزعي ... إذا مال رأسٌ، أو تضعضع منكب

فما كنتِ إلا السيفَ والنارَ مركبًا ... وما كان يستعصي على الترك مركَب

عَلَوْا فوق علياءِ العدوَّ، ودونـــه ... مَضيقٌ كحلق الليث، أو هو أصعب

فكان صراط الحشر، ما ثَمَّ ريبةٌ ... وكانوا فريـــقَ الله، مـــا ثَمَّ مُذنِب

يَمُرُّونَ مَرَّ البرقِ تحت دُجُنّـــةٍ ... دُخانًا، به أشباحُهم تتجلبـــــب

حثيثين من فوق الجبال وتحتهـا ... كما انهارَ طَوْدٌ، أو كما انهال مِذنَب

تُمِدُّهُمُ قُذَّافُهم ورُمـــــــائُهم ... بنارٍ كنيران البراكـــــين تدأب

تُذرَّى بها شُمُّ الذُّرا حين تعتلي ... ويسفحُ منها السفْحُ إذ تتصبـــب

---

[115] الشعر وحروب الخلافة، العثمانية، عبد الله بن إبراهيم بن يوسف الزهراني، ص 96

[116] الشوقيات، 1/ 67

تُسمَّر في رأسِ القِلاع كُراتُها ويسكن أعجازَ الحصونِ المذَنَّـــب

فالجيش العثماني هنا سيف ونار تلظّى على أعدائه، وهم الصراط في دقته وحدته، وهم جند الله وفريقه ينافحون للحق وعن الحق، حركتهم كالبرق الخاطف حثيثة من كل جانب، من فوق الجبال ومن تحتها، ثم إن رُماة الجيش وقُذّافه لا يرمون النبل أو السهام، بل يرمون الأعداء بنار كنار البراكين، هذا القذائف ترفع قمم الجبال وذُراها وتنسف سفوح الجبال وتهدها.

رؤية حربية تقرأها وكأنك ترى المعركة رأي العين، وبها ضجيج كضجيج المدافع والسلاح، وحركة دائبة حثيثة يكاد القارئ يلهث من فرط تسارعها، وما إن ينتهي القارئ حتى يشعر أنه كان جنديًا في تلك المعركة من لهيب الحماسة التي يبثها شوقي في السامع أو القارئ على حدٍّ سواء.

ولا يتوقف شوقي عند وصف الجيش العثماني المنتصر، بل ينعطف إلى وصف جيش الأعداء وهو منهزم، فمتعة رؤية جيش الأعداء منهزمًا لا تقل عن متعة رؤية جيش الخلافة منتصرًا. قول شوقي عن جيش الأعداء حال انهزامه:[117]

ورُدَّت على أعقابها الرومُ، بعد ما تناثر منها الجيش، أو كاد يذهـــب

جناحين في شِبه الشبَاكيْن من قنا وقَلْبًا على حَرَّ الوغى يتَقلَّـــــب

على قُلَل الأجبالِ حَيْرَى جموعُهم شواخصُ، ما إن تهتدي أين تذهب؟

إذا صعدت فالسيفُ أبيضُ خاطِفٌ وإن نزلتْ، فالنارُ حمراءُ تَلهـــب

تطوَّعَ أسرًا منهـمُ ذلك الـــذي تَطَوَّع حربًا، والزمـــانُ تَقلُّب

فجيش الأعداء المنهزم المتراجع، وجناحا الجيش ممزقان كالشباك، والجنود على قمم الجبال لا يعرفون طريقًا للفرار، فهم إن نزلوا تخطفتهم سيوفنا، وإن بقوا أحرقتهم كرات النار. ثم يبدع شوقي في

[117] المصدر السابق، ص 67

البيت الأخير فوصفه جند الأعداء حين يتطوعون ليصبحوا أُسارى في يد جند الخلافة، فهم حين تطوعوا لحرب جند خلافة، أصبحوا الآن يتطوعون ليكونوا أسرى بدلاً من القتل. وهذا فعل الزمان وتقلبه على يد الجيش العثماني المجاهد.

ثم للتوضيح أكثر ومزج الصورة بالكلمات، يعقد شوقي مقارنة بين جيش الخلافة وجيش الأعداء من الروم، ويوضح الفرق بينهما من خلال المقابلات اللطيفة، والضد يُظهر حسنَه الضد، فيقول في ذلك شوقي:[118]

وَفِرسالُ إِذ باتوا وَبِتنا أَعادِياً عَلى السَهلِ لُدّاً يَرقُبونَ وَنَرقُبُ
وَقامَ فَتانا اللَيلَ يَحمي لِواءَهُ وَقامَ فَتاهُم لَيلَـــهُ يَتَلَعَّـــبُ
تَوَسَّدَ هَذا قائِمَ السَيفِ يَتَّقي وَهَذا عَلى أَحلامِـــهِ يَتَحَسَّبُ
وَهَل يَستَوي القِرنانُ هَذا مُنَعَّمٌ غَريرٌ وَهَذا ذو تَجاريـــبَ قُلَّبُ
حَمَينا كِلانا أَرضَ فِرسالَ وَالسَما فَكُلُّ سَبيلٍ بَينَ ذَلِكَ مَعطَبُ
وَتَشمُلُ أَرواحُ القِتالِ وَتَجنُـــبُ وَرُحنا يَهُبُّ الشَرُّ فينا وَفيهِـــمُ

فيصف شوقي موقعة سهل فرسال التي خاضها الجيش العثماني في البلقان ضد الروم( اليونانيين) . واستخدام المقابلة هنا لوصف المعركة لم يأت من قبيل المصادفة، بل إن له هدفًا دلاليًا لطيفًا لا تدركه إلا العين الناقدة النافذة، تلك الحركية التي يكتسبها الشعر ، والحيوية التي تسرى في جنباته جرّاء استخدام المقابلة البلاغية، فالمتلقي يقابل اللفظة ويعي معناها – معجميا ، ومجازيا ، وسياقيا – ثم تبغته لفظة أخرى هي ضد الأولى، " فيتحرك " مسرعًا ليعى معنى الثانية – بكل جوانبها

[118] المصدر السابق نفسه، ص 77

– ويحاول الربط بينها وبين الأولى داخل السياق ، واستكناه السبب الذي حدا بالشاعر إلى الإتيان بتلك المطابقة .

كل هذه الحركة بين اللفظين المتطابقين من جهة ، وبينهما وبين المتلقى من جهة أخرى ، تخلق جوًا ممتلئًا بالحيوية والنشاط فى القصيدة التي تصف معركةً مشحونة بالنشاط والحرة والقوة. شيء آخر لافت للنظر هنا هو استخدام ضمير المتكلمين "نحن و نا" وكأن شوقي قد صرف نظره تلقاء الأمة الإسلامية كلها ونسي نفسه في خضم المعركة ووصف المعركة. فهو هنا فرد عادي من أفراد الأمة وواحد من عموم المسلمين، لا فرق بينه وبين الجندي في ساحة القتال. فشوقي قد ترك ذاته الشاعرة ونسي شخصه المشهور وأخذ يتكلم بصيغة الـ" نحن".

يقول شوقي إننا بتنا نترقب ونرصد كذلك هم، ولكن الجندي منا كان يحمي لواء الإسلام ورايته أما الجندي منهم فيبيت يلعب ويلهو. والجندي منا قائم بالليل يتوكأ على سيفه، أما الجندي منهم فيبيت ليلته نائمًا يحلم. ولا يستوي الجنديان؛ فالجندي المسلم مجرِّب ذو خبرة، والجندي الرومي ما زال فتى لاهيًا غريرًا بلا تجربة في أمور الحرب والطعان.

ثم تأتينا بعد ذلك سمة بلاغية أسلوبية لا يمكننا تجاهلها في شعر شوقي عامةً، وفي بائيته خاصةً، وهي سمة التكرار. ففي تلك القصيدة ظهرت سمة التكرار بشكل واضح، فلكي يُقيم شوقي مقارنته بين الجيشين عمد إلى تكرار التشبيه بالأداة نفسها في ستة عشر بيتًا، على النحو الآتي:[119]

كَأَنّا أُسودٌ رابِضـــــاتٌ، كَأَنَّهُم قَطيعٌ بِأَقصى السَهلِ حَيرانَ مُذئِبُ
كَأَنَّ خِيامَ الجَيشِ في السَهلِ أَينَقٌ نَواشِزُ فَوضى في دُجى اللَيلِ شُزَّبُ
كَأَنَّ السَرايا ساكِناتٍ مَوائِجاً قَطائِعُ تُعطى الأَمنَ طَوراً وَتُسلَـــبُ

[119] المصدر السابق، ص 77، 78

كَأَنَّ القَنا دونَ الخِيامِ نَوازِلاً جَداوِلُ يُجريها الظَلامُ وَيُسكَبُ

كَأَنَّ الدُجى بَحرٌ إِلى النَجمِ صاعِدٌ كَأَنَّ السَرايا مَوجُهُ المُتَضَرِّبُ

كَأَنَّ المَنايا في ضَميرِ ظَلامِهِ هُمومٌ بِها فاضَ الضَميرُ المُحَجَّبُ

كَأَنَّ صَهيلَ الخَيلِ ناعٍ مُبَشِّرٌ تَراهُنَّ فيها ضُحَّكاً وَهيَ نُحَّبُ

كَأَنَّ وُجوهَ الخَيلِ غُرّاً وَسيمَةً دَرارِيُّ لَيلٍ طُلَّعٌ فيهِ ثُقَّبُ

كَأَنَّ أُنوفَ الخَيلِ حَرّى مِنَ الوَغى مَجامِرُ في الظَلماءِ تَهدا وَتَلهُبُ

كَأَنَّ صُدورَ الخَيلِ غُدرٌ عَلى الدُجى كَأَنَّ بَقايا النَضحِ فيهِنَّ طُحلُبُ

كَأَنَّ سَنى الأَبواقِ في اللَيلِ بَرقُهُ كَأَنَّ صَداها الرَعدُ لِلبَرقِ يَصحَبُ

كَأَنَّ نِداءَ الجَيشِ مِن كُلِّ جانِبٍ دَوِيُّ رِياحٍ في الدُجى تَتَذَأَّبُ

كَأَنَّ عُيونَ الجَيشِ مِن كُلِّ مَذهَبٍ مِنَ السَهلِ جُنَّ جُوَّلٌ فيهِ جُوَّبُ

كَأَنَّ الوَغى نارٌ كَأَنَّ جُنودَنا مَجوسٌ إِذا ما يَمَّموا النارَ قَرَّبوا

كَأَنَّ الوَغى نارٌ كَأَنَّ الرَدى قِرىً كَأَنَّ وَراءَ النارِ حاتِمَ يَأدِبُ

كَأَنَّ الوَغى نارٌ كَأَنَّ بَني الوَغى فَراشٌ لَهُ مَلمَسُ النارِ مَأرَبُ

فقد تكررت أداة التشبيه "كأن" في الستة عشر بيتًا إحدى وعشرين مرةً، والتكرار ليس عبثًا أو مجرد حشو يملأ به الشاعر فراغات البيت الشعري بل إن له وظيفة ودورًا دلاليًّا مهمًّا إن أحسن الشاعر استخدامه " فالمتكلم إنما يكرر ما يثير اهتمامًا عنده ، وهو يحب في الوقت نفسه أن ينقله إلى نفوس مخاطبيه"[120] والتكرار بوصفه أداة مهمة من أدوات التأكيد، فإنه أيضًا وسيلة مهمة من وسائل سبك

[120] التكرير بين المثير والتأثير ، عز الدين على السيد ، عالم الكتب ، ط2 ، 1986 ، ص 136

النص وإشاعة التماسك والترابط بين أجزائه " ومثل هذا التكرار يعد ضربًا من ضروب الإحالة إلى سابق"[121] وهذه الإحالة إلى السابق تشيع جوًّا من الربط والتماسك بين أجزاء النص.

ولا بد أن القارئ سيلاحظ هذا التلاحم وذلك الترابط القوي بين أجزاء القصيدة وأبياتها بفعل سمة التكرار الذي أجاد أمير الشعراء استعمالها بلا تكلف أو تصنع.

ولم يتوقف شوقي عند وصف الجنود والجيوش على البر فقط، بل تعدى ذلك إلى وصف السفن. فلم ينس الأسطول العثماني القوي الذي فرض سيطرته على البحر المتوسط أزمانًا طويلة، وكان رمزًا للهيمنة والسيطرة العثمانية في شتى أرجاء الإمبراطورية المترامية الأطراف. كما أن للأسطول دوره المهم في حسم الكثير من الحروب بما له من القدرة على حصار الأعداء وقطع خطوط الإمداد عنهم. يقول شوقي- خلال زيارته الأستانة ورؤيته قطعتين بحريتين جديدتين في الأسطول الحربي العثماني:[122]

عَرشُ النَبِيِّ مُحَمَّدٍ جَنَباتُـــهُ نورٌ وَرَفرَفُهُ الطَهورُ غَمامُ
لَمّا جَلَستَ سَما وَعَزَّ كَأَنَّما هارونُ وَابناهُ عَلَيهِ قِيامُ
البَحرُ مَحشودُ البَوارِجِ دونَهُ وَالبَرُّ تَحتَ ظِلالِهِ آجامُ

فعرش الخلافة في عظمته يشبه مقام النبي محمد صلى الله عليه وسلم فجوانبه نور، وأجزاؤه طاهرة كالمطر. ولما جلس الخليفة على عرشه ارتفع وسما (العرش) بجلوس الخليفة عليه، وكأنما جلس عليه الخليفة العباسي الكبير هارون الرشيد وبجانبه ابناه الأمين والمأمون. وعرش الخلافة هذا محميّ من جهة البحر المملوء عن آخره بالبوارج والسفن الحربية، ومن جهة البر بجنود كالأسود في آجامها.

ثم يمضي أمير الشعراء في حديثه عن الأسطول العثماني قائلاً:[123]

---

[121] البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ، جميل عبد المجيد ، ص 79
[122] المصدر السابق، ص 323
[123] المصدر السابق نفسه، ص 324

يا بَربَروسُ عَلى ثَـــراكَ تَحِيَّةٌ وَعَلى سَمِيِّكَ في البِحارِ سَلامُ

.....

خَصّوكَ مِن أُسطولِهِم بِدَعامَةٍ يُبنى عَلَيهـــــــا رُكنُهُ وَيُقـــام

فيُرسل التحية إلى خير الدين بربروسا أمير البحار العثماني الشهير، وسميّه فخر الدين بربروسا، ثم يُرجع الفضل في قوة الأسطول العثماني إلى رجال الحكومة الذين دعموا أسطولهم ببارجتين حربيتين.وعَوْدً إلى بائية شوقي الملحمية التي لم ينس ذر الأسطول والسفن العثمانية فيها فيقول:[124]

وَهَل عاصِمٌ مِنهُنَّ إِلّا التَنَكُّبُ وَسَلِ الرومَ هَل فيهِنَّ لِلفُلكِ حيلَةٌ

تَذَبذَبَ أُسطولاهُمُ فَدَعَتهُمـــــا إِلى الرُشـــدِ نارٌ ثَمَّ لا تَتَذَبذَبُ

فَلا الشَرقُ في أُسطولِهِ مُتقى الحِمى وَلا الغَربُ في أُسطـــولِهِ مُتَهَيَّبُ

فمحور الأبيات يدور حول الحروب البحرية، بأساطيلنا وأساطيلهم، فأشار إلى الأسطول العثماني بالفلك، التي تعني السفن وتعني أجرام السماء وكلا المعنيين موجودان ومحتملان. وهذا من بديع صنعة شوقي في اللعب ببديع اللغة العربية وألفاظها.

## رابعًا: دور المرأة والشيوخ في الحروب:

يحفل التاريخ الإسلامي بالكثير من النماذج المضيئة لنساء فضليات كنّ مشعل نور في طريق الحضارة، في العلم السيدة عائشة رضي الله عنها، وفي الزهد والورع كرابعة العدوية، وفي الشعر والبلاغة كولادة بنت المستكفي. ولم تقف المرأة المسلمة عند تلك الأدوار، بل خاضت غمار الحرب الذي ليس للمرأة طاقةٌ به عادةً، ولكنه الإيمان الذي يدفع بعض النساء لأداء أدوار الرجال في الحروب والمعارك.

---

[124] نفسه، ص 63

فمن هاتيك النسوة نجد أم عمارة نسيبة بنت كعب بن عمرو، التي شهدت " ليلة العقبة، وشهدت أحدًا، والحديبية، وحنين، ويوم اليمامة، وجاهدت وفعلت الأفاعيل"[125] ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في فضلها أحاديث صحيحة.ومن الأمثلة المشهورة على الدور العظيم الذي تقوم به المرأة المجاهدة نجد السيدة صفية بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان لها دورٌ مهمٌ " في حماية المسلمين، ولقد فُهم بأن النساء في الحصون يمثلن ظهر المسلمين من الخلف، وربما صارت مقدمةً لهم إذا همت بنو قريظة بمحاولةٍ لتطويق المسلمين من الخلف"[126]

وإذا انتقلنا إلى العصر العثماني، والدولة العثمانية، فلن نجد فارقًا كبيرًا، فالمرأة التركية كانت تقوم بأعباء البيت وواجباتها كأم وزوجة. وعلاوة على كل ما سبق كانت" المرأة تمتطي الحصان وتستعمل السلاح"[127] فلم تترك النساءُ الرجال في ميادين الحرب وحدهم، بل كانت لهن مشاركات فعالة في المعارك والقتال.

ولعل أبرز مثال يتبادر إلى الذهن هو " نينة خاتون" تلك المرأة التي تركت طفلتها الرضيعة وحملت الفأس والبندقية، وذهبت إلى أرضروم أثناء الحرب التركية الروسية وشاركت في المعارك كالرجال، بل فاقت بعضهم أحيانًا في الشجاعة والإقدام والتضحية، فضربت أروع الأمثلة على قيام المرأة التركية بواجباتها تجاه الدين والوطن.

وإذا استعرضنا ديوان شوقي فسنجد ذكر المرأة المجاهدة حاضرًا وبقوة، ولا أشهر ولا أبرز من اسم " زينب" في ذلك الموضوع. وزينب هذه فتاة مجهولة الهوية، فهل هي شخصية حقيقية أو هي رمز

---

[125] سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط11، الجزء 2، ص 275

[126] دور المرأة الجهادي في الإسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الدولة الأموية، أحمد محمود الجدي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، 2005، ص 89

[127] تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ترجمة: عدنان محمود سليمان، المجلد الأول، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، 1988، ص 18

لكل فتاة تركية مجاهدة؟ ولم يأت شوقي على ذكر ذلك. ورغم ذلك فقد احتل ذكرُ تلك الفتاة مكانة مرموقة في ديوان شوقي عامةً، وفي ملحمته البائية خاصةً. ونتعرف على زينب في ثنايا الأبيات، فهي تلك "الفتاة المسلمة التي تُظاهر الجنود وتخوض المعارك معهم"[128] يقول أمير الشعراء في بائيته الخالدة:[129]

وَتُعجِمُ في وَصفِ اللُيوثِ وَتُعرِبُ ... تُحَذِّرُني مِن قَومِها التُركِ زَينَبُ
وَتُكثِرُ ذِكرَ الباسِلينَ وَتَنثَني ... بِعِزٍّ عَلى عِزِّ الجَمالِ وَتُعجَبُ
وَتَسحَبُ ذَيلَ الكِبرِياءِ وَهَكَذا ... يَتيهُ وَيَختالُ القَوِيُّ المغَلِّبُ
وَزَينَبُ إِن تاهَت وَإِن هِيَ فاخَرَت ... فَما قَومُها إِلّا العَشيرُ المحَبَّبُ

فتلك الفتاة تنتمي بكيانها كله للترك كما تنتمي للإسلام، وتحب الترك حبًّا لا يخفى، فهي تشرح وتستفيض في شرح بطولات قومها وإقدام جنودهم في المعارك كالأسود. وهي بهم تتيه وتفتخر، ولا غرو ولا لوم عليها، فبمثل هؤلاء الليوث يتفاخر القوي الغالب. ويستطرد شوقي في سرد علاقته بزينب فيقول:[130]

يُؤَلِّفُ إيلامُ الحَوادِثِ بَينَنا ... وَيَجمَعُنا في اللَهِ دينٌ وَمَذهَبُ
نَما الوُدُّ حَتّى مَهَّدَ السُبلَ لِلهَوى ... فَما في سَبيلِ الوَصلِ ما يُتَصَعَّبُ
فَلَم يَبقَ إِلّا الأَرضُ وَالأَرضُ تَقرُبُ ... وَدانى الهَوى ما شاءَ بَيني وَبَينَها

تلك العلاقة بين شوقي وزينب لم تكن علاقة قرابة أو دم، بل علاقة قائمة على المشاركة في الأحداث الجسام في تلك الحقبة، وما جمعهما إلا رابط الدين والمذهب.

---

[128] الشعر وحروب الخلافة الإسلامية، عبد الله بن إبراهيم بن يوسف الزهراني، ص 111
[129] الشوقيات ، 1/ 59
[130] المصدر السابق نفسه، ص 59

وقد قويت تلك العلاقة الروحية الصافية على الرغم من كل المصاعب التي اكتنفتها، والمشاق التي واجهتها، إلا أن الحب في الله وفي الدين يسهل كلَّ صعب ويقرّب كلَّ بعيد.

ولعل في تلك الأبيات ردًّا على من ادّعى أن أحمد شوقي إنما يمدح الترك بدافع من التعصب العرقي لبني جنسه، أو لطمع في نوال وهبات أولي الأمر منهم. فقد وضح شوقي وصرّح أنّ ما يجمعه بالترك – زينب في الأبيات – هو الدين والمذهب، لا العِرق أو الطمع.

ولا يفتأ أمير الشعراء يدهشنا ويبهرنا بشاعريته التي تناطح القمم من فحول الشعر، فيقدم لنا صورة شعرية نادرة يتعانق فيها الفرح بنصر دين الله والعرفان والقيم العائلية مع الخيال البديع والسبك الشعري المتين في مزيج جميل لا يقدر عليه إلا أمير الشعراء. انظر ماذا يقول شوقي:[131]

وَتَمَّ لَنا النَصرُ المبينُ عَلى العِدا ... وَفَتحُ المعالي وَالنَهارُ المذَهَّـــــــبُ

فَجِئتُ فَتاةَ التُركِ أَجزي دِفاعَها ... عَنِ المُلكِ وَالأَوطانِ ما الحَقُّ يوجِبُ

فَقَبَّلتُ كَفّاً كانَ بِالسَيفِ ضارِباً ... وَقَبَّلتُ سَيفاً كانَ بِالكَفِّ يَضـــرِبُ

وَقُلتُ أَفي الدُنيا لِقَومِكِ غالِبٌ ... وَفي مِثلِ هَذا الحِجرِ رُبّوا وَهُذِّبـــوا؟!

فبعد أن تم النصر لجيوش الخلافة الإسلامية على أعدائها، وفُتحت الأسوار والقلاع العالية، كان حقًّا وواجبًا على شوقي أن يأتي زينب ليشكر لها دفاعها عن مُلك الآباء وعن الوطن، وهذا الشعر هو أبسط مظاهر العرفان لفتاة مسلمة مجاهدة. فماذا فعل شوقي؟ انحنى بكل تواضع وقبل يد زينب التي كانت تضرب الأعداء بسيفها. إلى هنا قول يمكن لأي شاعر أن يعبر عنه، إلا أن شاعرية شوقي تأبى أن تحدها حدود القدرة أو الإمكان. فيصوغ شوقي صورة فنية بديعة تخطف الأبصار وتخلب الألباب، فهو يقبّل اليد التي تحمل السيف، ثم يلعب شوقي في ترتيب الكلمات في الجملة، ويقدّم

[131] المصدر السابق، ص 67، 68

ويؤخّر ليقدّم لنا استعارة طريفة، فهو يقبّل السيف الذي كان باليد يضرب ويطعن، ليترك القارئ في حيرة وتساؤل؛ أيهما أقوى وأمضى؟! كفّ زينب أم سيفها؟! تساؤل ممتع وحيرة لذيذة ولّدتْها شاعرية شوقي وعبقريته.

ويُنهي شوقي تلك اللوحة الفنية الرائعة بتساؤل بلاغي تعجبي مفاده أن لا غالب للترك وقد رُبّوا في حِجْر أمّ مثل تلك الأم المحاربة المجاهدة التي تقدّم لكل أمهات الدنيا القدوة والمثل في القيام بواجبات البيت والزوج بالتوازي مع واجبات الدين والوطن.

ويمضي شوقي في إبراز المشاركة الفعالة للمرأة التركية في الحرب فيقول:[132]

هُنالِكَ يَحميهِ بَنـانٌ مُخَضَّـــــــبُ وَما راعَني إِلّا لِواءٌ مُخَضَّـــــبٌ
فَقُلتُ مَنِ الحامي أَلَيثٌ غَضَنفَرٌ مِنَ التُركِ ضارٍ أَم غَــزالٌ مُرَبَّبُ؟!
أَمِ الملِكُ الغازي المجاهِدُ قَد بَــدا أَمِ النَجمُ في الآرامِ أَم أَنتِ زَينَبُ؟!
رَفَعتِ بَناتَ التُركِ، قالَت: وَهَل بِنا بَناتِ الضَواري أَن نَصولَ تَعَجُّــبُ
إِذا ما الدِيارُ اِستَصرَخَت بَدَرَت لَها كَـرائِـمُ مِنّا بِالقَنـا تَتَنَقَّـــــــبُ
تُقَرِّبُ رَبّاتُ البُعـــــــولِ بُعــولَها فَإِن لَم يَكُن بَعلٌ فَنَفسـاً تُقَـــرِّبُ

فما أدهش شوقي بطولاتُ الأبطال ولا صولاتُ الصناديد منهم، فهذا مألوف ومنتظَر من الجنود الأتراك الشجعان، بل وواجب عليهم، ولكن ما يدهشه حقًا أن يرى امرأة أصابعها مُخضّبة بحناء العرس ممسكة باللواء المخضب بدماء الشهداء. فكلاهما مخضب، اللواء مخضب بالدماء، وبنان المرأة المخضب بالحناء، والبوْن بينهما شاسع والمفارقة صادمة، بيد أنها تعرض كم ضحّت المرأة التركية في سبيل دينها ووطنها. فبادرها شوقي بالسؤال عنها، أهي أسد هصور أم غزال رقيق أم ملك مجاهد أم

[132] الشوقيات، 1/ 65

النجم المرسوم على الراية العثمانية أم أنها زينب؟!! فعرض شوقي خمسة احتمالات لصاحب تلك اليد المخضبة الأصابع، ثم عرف في النهاية أنها زينب، بطلة الحروب العثمانية في قصائد شوقي. فأجابته زينب بجواب مسكت أنه ليس عجيبًا على بنات الأسود والليوث أن يخضن غمار الحروب. وكما يُقال: هذا الشبل من ذاك الأسد. فمن كانت من آباء وأجداد أسود ليوث فلا ريب أن شجاعتها من شجاعتهم وإقدامها من إقدامهم. صورة معبرة غاية التعبير عن حال امرأة تركية مجاهدة جعلت همها كله فداء دينها ووطنها بل ما تملك.

وإلى جانب المرأة، يتواجد العجوز في الحروب والمعارك. فمن المعروف أن الرجال الأقوياء الأشداء هم من يشهدون الحروب ويشاركون في المعارك، ومن غير المعتاد أن ترى امرأة أو شيخًا عجوزًا يخوض غمار الحرب.

لكن شوقي يريد أن يتسع بصورة المجاهد في صفوف الجيش العثماني، فهي لا تشمل المحارب الصنديد فقط، بل تتسع لتشمل المرأة الفَتيّة القوية، وربما قُبِل منه هذا، فالمرأة القوية قد يكون عندها طاقة للقتال، أمّا أن تشمل تلك الصورة شيخًا عجوزًا طاعنًا في السنّ قد ذهب الزمان بقوته وقدرته، فهذا من لطيف شعر شوقي وبلاغته.

يقول شوقي عن ذلك العجوز المجاهد:[133]

يَسيرُ بِهِ في الشَعبِ أَشمَطُ أَشيَبُ ... وَأَشمَطَ سَوّاسِ الفَوارِسِ أَشيَبُ
رَفيقاً ذَهابٍ في الحُروبِ وَجيئَةٍ ... قَدِ اِصطَحَبا وَالحُرُّ لِلحُرِّ يَصحَبُ
إِذا شَهِداها جَدَّدا هِزَّةَ الصِبا ... كَما يَتَصابى ذو ثَمانينَ يَطـــــرُبُ
فَيَهتَزُّ هَذا كَالحُسامِ وَيَنثَني ... وَيَنفُرُ هَذا كَالغَـــــزالِ وَيَلعَـــبُ

[133] المصدر السابق، 1/69- 70

تَوالى رَصاصُ المطلِقينَ عَلَيهِما يُخَضِّلُ مِن شَيبِهِما وَيُخَضِّبُ
فَقيلَ أَنِل أَقدامَكَ الأَرضَ إِنَّها أَبَرُّ جَواداً إِن فَعَلتَ وَأَنجَبُ
فَقالَ أَيَرضى واهِبُ النَصرِ أَنَّنا نَموتُ كَمَوتِ الغانِياتِ وَنُعطَبُ
ذَروني وَشَأني وَالوَغى لا مُبالِياً إِلى الموتِ أَمشي أَم إِلى الموتِ أَركَبُ
أَيَحمِلُني عُمراً وَيَحمي شَبيبَتي وَأَخذُلُهُ في وَهنِهِ وَأُخَيِّبُ؟!
إِذا نَحنُ مِتنا فَادفِنونا بِبُقعَةٍ يَظَلُّ بِذِكرانا ثَراها يُطَيِّبُ
وَلا تَعجَبوا أَن تَبسُلَ الخَيلُ إِنَّها لَها مِثلُ ما لِلناسِ في الموتِ مَشرَبُ
فَماتا أَمامَ اللَهِ مَوتَ بَسالَةٍ كَأَنَّهُما فيهِ مِثالٌ مُنَصَّبُ

يتفنن أمير الشعراء في رسم صورة فنية مركبة فيها من عناصر الترادف والتضاد الكثير، وفيها من أوجه الاتفاق والاختلاف وطُرق السبك ووسائله الكثير أيضًا.

فالعجوز أشيب الشعر من فعل الزمن، وليس هو وحده من شاب شعره، وإنما حصانه أشيب كذلك، وهذا يبرز الضعف المركّب الذي عليه العجوز، ضعفٌ فيه وضعفٌ في حصانه، وهما رفيقا دربٍ من زمن طويل خاضا فيه الحروب معًا، ولهذا فالعجوز يأبى أن يترجل عن حصانه الذي طالما شاركه جهاده وقتاله فيخذله ويخيّب أمله بذلك . ثم يقدم العجوز صورة نادرة للوفاء فيُوصي بأن يدفنا هو وحصانه معًا في قبر واحد ليظلا معًا بعد الموت كما كانا في الحياة.

صورة فنية فيها من الإخلاص والتضحية والحكمة ما يجعل القارئ يقف احترامًا لصاحبها.

## المبحث الخامس: وصف المدن والمعالم المشهورة:.

لقد برع أمير الشعراء في كافة الفنون الشعرية والأدبية التي أدلى فيها بدلوه، بل ووصل فيها إلى الغاية التي لا تُدرك والذُّرا التي لا تُرام، بل نجده قد ابتدع فنونًا شعرية جديدة لم يسبقه إليها أحد من

الشعراء العرب، مثل ريادته فن المسرح الشعري، الذي كان صاحب قصب السبق في ميدانه بلا منافس أو مثيل.

وفي ميدان الوصف نجده الأمير كما كان الأمير في كافة أغراض الشعر الأخرى، بما حباه الله من عين فاحصة ترى الدقائق والتفاصيل التي تمر على الآخرين مرورًا عابرًا. زد على ذلك قدرةً جبارة على تطويع إمكانات اللغة العربية من كلمات وتراكيب وصور بلاغية لرسم الصور المعبرة واللوحات الفنية الناطقة. " ولا شك أن الموهبة الحقّة تتجلى في قدرة الشاعر على التعبير عن تفاصيل الشعور الذي يستعيده الشاعر بالتأمل والذكرى والتفكير، وفي اختيار الصورة الممثّلة والمشبّهة الجديدة المبتدعة، التي يُروض فيها الشاعر ذهنه وخياله على الابتكار الذهني"[134] وكلّل ذلك كله زيارات شوقي لكثير من بلدان العالم – بما فيها الأناضول – ورؤيته لمعالمها بعيني رأسه، مما مكّنه من وصفها وتصويرها بمنتهى الدقة والجمال.

## 1- إسطنبول:.

لكي نعرف مكانة اسطنبول وقدرها لدى العالمين، يكفي أن نقرأ ما قاله نابليون بونابرت – الإمبراطور والقائد الفرنسي المشهور – في حق هذه المدينة التاريخية: " مَن مَلَك القسنطينية أمكنه أن يسود الدنيا"[135] جملة تلخص لنا كيف ترى الدنيا اسطنبول، بتفردها وأهميتها وتاريخها العريق، فضلاً عن سحرها وجمالها وبهائها.

ولقد قام أحمد شوقي بزيارة اسطنبول عدة مرات، فهي عاصمة أجداده الأتراك، وهي حاضرة الخلافة العثمانية، فضلاً عن أنها مدينة زاخرة بالمكتبات العامرة، والقصور الباهرة، والحدائق الزاهرة.

---

[134] مدارس النقد الأدبي الحديث، محمد عبد المنعم خفاجي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1995، ص 25

[135] الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، ط1، 2004، ص 40

فكانت اسطنبول تجذب شوقي إليها كل حين حتى أغرم بها ونظم في وصفها ووصف قصورها وحدائقها ومعالمها القصائد. وله في ديوانه قصائد شتى، كما ورد ذكرها بشكل عابر في قصائد أخرى. فكان لاسطنبول نصيب الأسد من شعر شوقي في باب وصف المدن.

واسطنبول عند شوقي ليست مجرد مدينة كبيرة أو حاضرة لخلافة زاهرة، بل كانت أعلى وأسمى من ذلك. يقول شوقي عن السلطان عبد الحميد وعاصمة ملكه:[136]

سكن (الثريا) مستقر جلاله ومشت مكارمه إلى الأمصار

فاسطنبول في عين شوقي هي الثريّا بهاءً وجمالاً وعظمةً وعلوًّا. لا تضاهيها مدينة ولا تضارعها عاصمة. ويتمادى شوقي في عشقه لاسطنبول، فكأنه لا يكفيه أن تطاول اسطنبولُ الثريا، بل رام أن تطاول السماوات العلا، حتى تكون جنةً، يقول شوقي:[137]

تجلَّد للرحيل، فما استطاعا وداعًا جَنَّةَ الدنيا وداعا
عسى الأيامُ تجمعني، فإني أرى العيشَ افتراقًا واجتماعا
ألا ليتَ البلادَ لها قلوبٌ كما للناسِ تنفطرُ الْتِياعا
وليتَ لدى (فروقٍ) بعضَ بَثِّي وما فعل الفراقُ غداةَ راعا

فهي عنده جنة الدنيا، ليس جمالاً فقط، فقط بل سموًّا وعلوًّا. ومعلوم أن فروق اسم من أسماء اسطنبول لأنها تفرق بين البر والبحر. وتأتي عبقرية شوقي الشعرية كالعادة لترسم لنا صورة فنية بديعة، تمتزج فيها ألوان البيان والبديع في تناغم بديع.

---

[136] الشوقيات، 438/1
[137] الشوقيات، 1/ 215

فشوق شوقي إلى اسطنبول لا يضاهيه شوق، حتى إنه يتمنى أن يكون للبلاد قلوب لتحس اسطنبول بما يقاسيه ويكابده من شوقه إليها. فليت " فروق " تحس بما يفعله "الفراق". بمزج شوقي بين الاستعارة المكنية والجناس الناقص بشكل لطيف.

ثم تأتينا سمة أسلوبية من أسلوبيات شوقي المشهورة في ديوانه وهي الحوار. فالشوقيات مليئة بألوان من الجمل الحوارية التي يسوقها شوقي ببراعة ليبعث الروح والحياة في الشعر. فالحوار بين الشخوص في الشعر يبعث نوعًا من الحركية والإثارة، فبدلاً من أسلوب الحكيْ أو الإخبار المعتاد، يعمد الشاعر إلى استعمال جمل حوارية فيها انتقال من المتكلم إلى المخاطب مما يجعل المتلقي في حالة تفاعل مع الحدث الحواري الجديد. وهنا أبدع شوقي في صياغة حوار تجريدي، فقد أقام من قلبه مخاطبًا يحاوره عن اسطنبول وحبه لها. يقول شوقي:[138]

سَأَلتُ القَلبَ عَن تِلكَ اللَيالي أَكُنُّ لَيالِياً أَم كُنَّ ساعا؟
فَقالَ القَلبُ بَل مَرَّت عِجالاً كَدَقّاتي لِذِكراها سِراعا

فالسؤال من شوقي والجواب من قلبه في محاورة تجريدية لطيفة. ثم ينتقل شوقي في خفة ورشاقة من أسلوب الحوار إلى أسلوب النداء، ليربط اسطنبول بالمقدسات الإسلامية كلها. فهي دار محمد صلى الله عليه وسلم وثراث عيسى عليه السلام، كما أنها بمثابة الحصن المنيع للمسجد الحرام والمسجد النبوي، وفي النهاية هي ركن شديد في الكعبة المشرفة وعمود راسخ للمسجد الأقصى. يقول أمير الشعراء في ذلك:[139]

أَدارَ مُحَمَّدٍ وَتُراثُ عيسى لَقَد رَضِياكِ بينَهُما مَشاعا [140]

---

[138] المصدر السابق، ص215
[139] المصدر السابق، ص 215
[140] المشاع: (بفتح الميم وضمها) المشترك غير المقسوم

فَهَل نَبَذَ التَعصُّبُ فيكِ قَومٌ يَمُدُّ الجَهلُ بَينَهُمُ النِزاعا
أَرى الرَحمَنَ حَصَّنَ مَسجِدَيهِ بِأَطوَلِ حائِطٍ مِنكِ اِمتِناعا
فَكُنتِ لِبَيتِهِ المحجوجِ رُكناً وَكُنتِ لِبَيتِهِ الأَقصى سِطاعا [141]

وقد كانت لاسطنبول مكانة خاصة في قلب أمير الشعراء، ففيها الكثير من ذكريات شبابه، حين كان يتنزه في حدائقها الغنّاء مع أترابه. ومن الصعب حقًا نسيان مدينة في جمال وسحر اسطنبول، فما بالك بنفس شاعرة كنفس شوقي؟ ومثلما كان الحب كبيرًا وطاغيًا، جاء الألم شديدًا غاية الشدة، فعندما سقطت الدولة العثمانية انتقلت العاصمة من اسطنبول إلى أنقرة. فلم يبقَ لشوقي من اسطنبول إلا اجترار الذكريات الجميلة التي ما زالت تملأ قلبه، وتسلّيه وتصبّره عن فراق فروق. يقول شوقي:[142]

كَعُيونِ مائِكِ أَو رُبى واديكِ مِنّي لِعَهدِكِ يا فُروقُ تَحِيَّةٌ
أَو كَالنَسيمِ غَدا عَلَيكِ وَراحَ مِن فوفِ الرِياضِ وَوَشيِها المحبوكِ
أَو كَالأَصيلِ جَرى عَلَيكِ عَقيقُهُ أَو سالَ مِن عِقيانِهِ شاطيكِ
تِلكَ الخَمائِلُ وَالعُيونُ اِختارَها لَكِ مِن رُبى جَنّاتِهِ باريكِ
قَد أَفرَغَت فيكِ الطَبيعَةُ سِحرَها مَن ذا الَّذي مِن سِحرِها يَرقيكِ
خَلَعَت عَلَيكِ جَمالَها وَتَأَمَّلَت فَإِذا جَمالُكِ فَوقَ ما تَكسوكِ
تَاللَهِ ما فَتَنَ العُيونَ وَلَذَّها كَقَلائِدِ الخُلجانِ في هاديكِ
عَن جيدِكِ الحالي تَلَفَّتَتِ الرُبى وَاِستَضحَكَت حورُ الجِنانِ بِفيكِ
إِن أَنسَ لا أَنسَ الشَبيبَةَ وَالهَوى وَسَوالِفَ اللَذّاتِ في ناديكِ
وَلَيالِياً لَم تَدرِ أَينَ عِشاؤُها مِن فَجرِها لَولا صِياحُ الديكِ
وَصَبوحَنا مِن بَندِلارَ وَشَرشَرٍ وَغَبوقَنا بِتَرابِيا وَبُيوكِ

[141] السطاع : عمود البيت
[142] المصدر نفسه، ص 232

لَو أَنَّ سُلطانَ الجَمالِ مُخَلَّدٌ لِمَليحَةٍ لَعَذَلتُ مَن عَذَلـــــوكِ

فنرى أمير الشعراء يرسل لاسطنبول تحية جميلة كجمال خمائلها ورباها وعيونها، ويصف شوقي اسطنبول وطبيعتها في اثني عشر بيتًا، وهذا ليس كثيرًا على جمال اسطنبول وسحرها ولا على اشتياق شوقي لها. وقد أخذ ينتقل من وصف عيون الماء إلى الرُّبى إلى الأزهار إلى الشواطئ والخلجان وليالي السمر مع أصدقاء الشباب.

تفاصيل وذكريات لم يملّ شوقي من وصفها بدقة، فهو لم يبق له إلا هذه الذكريات. ولم ينس شوقي أن يذكر بعض الأماكن بأسمائها لما لها من ذكريات خاصة، أما ( البندلار) فهي أودية ذات سدود تشكلت منها بحيرات يذهب ماؤها إلى الأستانة . وشِرشر هي عين ماء وترابيا هي قرية على ضفة البسفور وكذلك (بيوك دره)[143]

ثم يتوجه شوقي بالخطاب إلى اسطنبول ليُسلّيها عن نقل مقر الحكم منها فيقول:[144]

أَمِنَ القُلوبِ وَمُلكِها خَلَعوكِ؟! خَلَعوكِ مِن سُلطانِهِم فَسَليهِمُ

فأهل الحكم إنْ استطاعوا إبعاد اسطنبول عن كونها مقر الحكم وحاضرة الخلافة، فإنهم لن يستطيعوا خلعها من قلوب الناس أو محو حبها من قلوبهم.

أبيات يظهر فيها الحزن والحسرة والألم الشديد على اسطنبول وحالها بعد سقوط الخلافة، بقدر ما يظهر فيها شوق الشاعر الجارف لمدينةٍ طالما شهدتْ أمجادًا وانتصارات.

---

[143] شوقي أو صداقة 40 سنة، شكيب أرسلان، ص 245

[144] الشوقيات، 232/1

ولم يترك شوقي اسطنبول دون أن يتجول بنا في معالمها المشهورة، فانتقل شوقي من العام – اسطنبول – إلى الخاص – المعالم المشهورة – لسابق زياراته المتكررة هناك. فشوقي يصف عن علم ومعرفة وعن خبرة بأحياء اسطنبول ومعالمها، وهذا شيء لا يتأتى لكثير من الشعراء.

## 2– البسفور:.

ومن المعالم المشهورة في اسطنبول التي يحرص الكثيرون على زيارتها والاستمتاع بها نجد مضيق البسفور[145]. ولقد أكثر أحمد شوقي من وصف البسفور كأنك تراه. ويأتي ذكر البسفور صراحةً أو إشارة،:[146]

أَخَذَت عَلى البوسفورِ زُخرُفَها دُجًى وَتَلَألَأَت كَمَنازِلِ الأَقمارِ

فزخرف اسطنبول وزينتها بادية على البسفور ليلاً حين يلمع كالقمر، ويتابع شوقي فيذكر البسفور باسمه صراحة في قصيدة كاملة له بعنوان" البسفور كأنك تراه" يقول في مطلعها:[147]

عَلى أَيِّ الجِنانِ بِنا تَمُرُّ وَفي أَيِّ الحَدائِقِ تَستَقِرُّ

رُوَيداً أَيُّها الفُلكُ الأَبَرُّ بَلَغتَ بِنا الرُبوعَ فَأَنتَ حُرُّ

فالبسفور جنان وحدائق وربوع، جمال لا يقاربه جمال، وسحر لا يدانيه سحر. ويمضي شوقي في القصيدة نفسها قائلاً:

وَبَعدَ الأَرخَبيلُ وَما يَليهِ وَتيهٍ في العَيالِمِ تيهِ[148]

بَدا ضَوءُ الصَباحِ فَسِرتَ فيهِ إِلى البُسفورِ وَاِقتَرَبَ المِقَرُّ

---

[145] البسفور: مضيق يمتد لقرابة 32كم، ويصل عرضه إلى 500م، وهو يفصل قارتي آسيا وأوربا، ويعد من أهم مزارات اسطنبول

[146] الشوقيات،439/1

[147] المصدر السابق، ص440

[148] الأرخبيل: مجموعة من الجزر المتقاربة - العيالم: واحده عيلم أي البحر

فمقر إقامة شوقي في اسطنبول قريب من البسفور، حرصًا منه على الاستمتاع برؤية البسفور كل يوم.

ويداعب شوقي البسفور ويربط شكله بحروف اللغة، فالبسفور في حقيقته يشبه حرف النون، فيقول:

ونونٌ دونَها في البحرِ نونٌ من البسفور نقَّطها السَّفين

فالبسفور جغرافيًّا يشبه حرف النون، والسفينة فيه هي النقطة أعلى الحرف. وكما ذكر شوقي البسفور تصريحًا فقد ذكره إشارةً بوصفٍ أو كنايةٍ، كما نرى في القصيدة نفسها حيث يقول:

لِتَلقى مَنفَذاً لَلَقينَ حَيْنـــــا وَلَمّا يَمسَسِ البوغازَ ضُرُّ [149]

تَسيرُ مِنَ الفَضاءِ إلى المضيقِ فَآناً أَنتَ في بَحرٍ طَليقِ

فالبوغاز والمضيق في البيتين إشارة إلى البسفور.

ثم يختم الشاعر قصيدته البديعة تلك بلطيفة من اللطائف التي يتعرض فيها شوقي مقدرته على تطويع اللغة واستخراج قدراتها على التعبير بأشكال شتى، فيقول:

فيا مَن يطلب المرْأَى البديعا ويعشقه شهيدًا أو سميعـــا

رأيتَ محاسنَ الدنيا جميعـــا فهُنّ الواو، والبسفور عمرو

فهو يخاطب من يريد أن يرى الجمال سماعًا بأذنه أو عيانًا بناظريه أن يبادر بالذهاب إلى البسفور، فالجمال كله محاسنه ومظاهره مقترنٌ بالبسفور كما أن حرف الواو مقترن باسم عمرو، فالواو لا تفارق عمرو لكن بخفةٍ ورشاقة، كالجمال في البسفور تمامًا.

---

[149] الحيْن: الموت

## 3– قصر يلدز:.

يقع قصر يلدز في مدينة إسطنبول، وتحديداً يقع في حديقة يلدز، وسُمّي القصر بها لأنه أول بناء تم بناؤه في تلك الحديقة، وكلمة يلدز تعني النّجمة أي قصر يلدز هو قصر النّجمة، ويرجع تاريخ بناء هذا القصر في نهاية القرن الثامن عشر أي فترة عام 1790م، في عهد السّلطان سليم الثّالث كهدية إلى والدته السّلطانة مهري شه. ثم اتخذ مقرًا لحكم السلطان العثماني عبد الحميد الثاني وحكومته منذ عام 1853م، بدلًا من قصر (دولما باهجه)، وظل السلطان عبد الحميد الثاني يستخدمه مقرًا للحكم على فترات إلى عام 1909م، حيث كان قصر السلطان العثماني على مدى أكثر من ثلاثين عامًا.

ولأن القصر كان مقر الخلافة العثمانية زمنًا طويلاً، فقد بلغ الغاية في الجمال، فكان حقًّا لشوقي أن يهيم به في زيارته الأولى له، فقد " نزل صاحب الديوان( شوقي) بالأستانة فبُلّغ أنه ضيف أمير المؤمنين ما أقام بها"[150] أي أن شوقي قد زار قصر يلدز، بل أقام به مدةً، فخبره وعرف من أمره الكثير، فجاء وصفه صادقًا معبّرًا:[151]

إنّ في يلدز الهوى لَخلال أنا صَبٌّ بلطفها مستهام

قد تجلت لخير بدر أَقَلّت في كمال بدت له أعلام

فشوقي عاشق صب هائم بجمال قصر يلدز وسحره، فذاك القصر قد تجلّى جماله للخليفة في حالة من الكمال كبدر التمام.

---

[150] الشوقيات1/339(الهامش)

[151] المصدر السابق1/343

ويلدز رمز القوة والسلطة والسلطة كما أنه رمز السحر والجمال. ففي الحرب تخرج قيادة الجند والجيوش من قصر يلدز متوجهة إلى ساحات الوغى:[152]

وتُثني على مُزْجي الجيوش ببلدز ومُلهمها فيما تنال وتكسب [153]

وكما كان هذا القصر مقر الحكم ورمز الهيمنة والسلطة، فإنه بعد سقوط الخلافة وعزل الخليفة صار محلاً للحسرة والحزن على ملك ضاع وخبا نوره. وكما تغنّى شوقي بحبه لذلك القصر وافتنانه به نجده يبكيه بالدمع الهتون على تبدل أحواله وزوال سلطانه. وقد جاء رثاء شوقي لسقوط الدولة العثمانية في صورة قصر يلدز؛ الرمز والعلَم الأشم. فقال شوقي قصيدة من أشهر قصائده وأذيعها صيتًا عنْونها باسم القصر ( سل يلدزا) يقول في مطلعها:[154]

هَل جاءَها نَبَأُ البُـدورْ سَلْ (يلدِزًا) ذاتَ القُصور

لَو تَستَطيعُ إِجابَةً لَبَكَتكَ بِالدَمـــعِ الغَزيرْ

أَخنى عَلَيها ما أَنا خَ عَلى الخَورنَقِ وَالسَديرْ [155]

يتوجه الشاعرُ إلى سلطانه المعزول أن يسأل حديقة يلدز وقصرها عما جرى وما حدث، وكأنك تسمع أنين شوقي وبكاءه حين يستفسر من وليّ نعمته المخلوع عن قصره المطرود منه. حسرة وألم وبكاء. ليس من شوقي فقط بل من السلطان ومن يلدز إنْ استطاع جوابًا.

---

[152] المصدر السابق، ص 57

[153] أزجى الجيش: ساقه

[154] الشوقيات 169/1

[155] أخنى: أتى عليه وأهلكه – الخورنق والسدير: قصران بالحيرة لملوك المناذرة، كانا مضرب المثل في الجمال والعظمة.

ولكي تزيد الحسرة ويتضاعف الألم يتناول شوقي ذلك القصر بالوصف الدقيق، وكلما كان المكان أجمل وأبهى، كان الحزن على فقده وضياعه أمرّ وأقسى. ولأن شوقي قد أقام في قصر يلدز زمنًا فإنه خير من يصف القصر بقاطنيه وأثاثه وحدائقه. فيقول:[156]

أين الأوانس في ذرا ها من ملائكة وحور
المترَعاتُ مِنَ النَعيـ ـمِ الراوِياتُ مِنَ السُرورْ
العاثِراتُ مِنَ الدَلا لِ الناهِضاتُ مِنَ الغُرورْ
الآمِراتُ عَلى الوُلا ةِ الناهِياتُ عَلى الصُدورْ
الناعِماتُ الطَيِّبا تُ العَرفِ أَمثالُ الزُهورْ
الذاهِلاتُ عَنِ الزَما نِ بِنَشوَةِ العَيشِ النَضيرْ
المشرِفاتُ وَما انتَقَد ـنَ عَلى المَمالِكِ وَالبُحورْ
مِن كُلِّ بَلقيسٍ عَلى كُرسِيِّ عِزَّتِها الوَثيرْ [157]
أَمضى نُفوذًا مِن زُبَيـ ـدَةَ في الإِمارَةِ وَالأَميرْ [158]
بَينَ الرَفارِفِ وَالمِشا رِفِ وَالزَخارِفِ وَالحَريرْ
وَالرَوضُ في حَجمِ الدُنا وَالبَحرِ في حَجمِ الغَديرْ
وَالدُرِّ مُؤتَلِقِ السَنا وَالمِسكِ فَيّاحِ العَبيرْ
في مَسكَنٍ فَوقَ السِما كِ وَفَوقَ غاراتِ المغيرْ
بَينَ المَعاقِلِ وَالقَنا وَالخَيلِ وَالجَمِّ الغَفيرْ
سَمَّوهُ يَلدِزَ وَالأُفو لُ نِهايَةُ النَجمِ المغيرْ

[156] المصدر السابق، ص 169
[157] بلقيس: ملكة اليمن
[158] زبيدة: هي زبيدة بنت أبي جعفر المنصور، وزوجة هارون الرشيد، وأم الأمين.

ولأنه رجل مسلم شرقي غَيور فقد وجّه بؤرة الوصف على أميرات القصر وحال الرفاه الذي كنّ يرفلن في نعيمه، والمتلقي سيقارن بشكل تلقائي هذه الحالة الناعمة بحالهن بعد مغادرة القصر وترك النعيم. وينتقل من وصف أميرات القصر إلى وصف حدائقه الغنّاء الفيحاء.

وقد استخدم شوقي في هذا الرثاء العبقريّ بعض الأدوات الفنية البلاغية نذكر منها:

- استخدام الرمز التاريخي، كاستخدام أسماء نسوة مشهورات مثل بلقيس وزبيدة وهما من هما في العز والجاه والنفوذ والسلطان، لإجراء مقارنة تلقائية دون يسوق المتلقي إليها بشكل محسوس لا ملموس، وهذا ملمح بلاغي لطيف.

- التبادل بين القافيتين؛ المضمومة والمكسورة ولذلك قصدٌ بلاغي لطيف. فحركة الكسر في نهاية الصوت لها دور أساسي في "الإيحاء بجو الحزن ومعنى الانكسار والحسرة"[159] فصوت الكسرة هو معادل الشعور بالحزن والحسرة. أما الضمة فإن "خروج الحرف المضموم من الفم لا يمكن إلا باقتراب الشفتين من بعضهما فتقل كمية الهواء الخارج من الرئتين فيصعب النطق بشكل ما ويسبب ثقلا على المتكلم ورغبة ملحة فى إخراج وتنفيس ما هو مكتوم بداخله"[160]. والتبادل الذي استعمله الشاعر في قافيته بين صوتي الضمة والكسرة خاصةً له آثاره البلاغية والدلالية التي لا تخفى كما أن هناك "وجوه شبه بين الضمة والكسرة في طريقة تكون كل منهما وسُمي كل منهما صوتًا ضعيفًا ، وذلك لضيق مجرى الهواء معهما

[159] إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، مدخل لغوي أسلوبي، محمد العبد، دار المعارف، ط1، 1988،ص 29

[160] أسلوبيات التغزل العذري، دراسة في بنية القصيدة، محمود مصطفى محمد علي، رسالة ماجستير، جامعة المنوفية، 2013، ص 64

"[161] وأيضًا "كلاهما صوت ضيق"[162]. فالقافية ذات جرْس ضعيف، ومن مخرج ضيق، وأيّ ضعف وأيّ ضِيق مثل ضعف شوقي وضِيقه في تلك القصيدةّ؟!!

- استعمال روافد الثقافة الأجنبية لدى الشاعر في البيت الأخير. فمَن منّا يعلم أن كلمة يلدز yıldız في اللغة التركية تعني النجم؟ بالطبع لا يعرف ذلك إلا من يعرف اللغة التركية ويفهم الثقافة التركية. وقد أحسن شوقي استعمال معرفته باللغة التركية بإجراء " حسن التعليل" بشكل ثقافي بلاغي لطيف، حيث عزا سبب ذهاب ذِكر قصر يلدز وزوال سلطانه إلى الاسم نفسه، فاسم يلدز يعني النجم، والنجوم مهما طال عمرها وبقاؤها فمآلها إلى الأفول والانطفاء.

## 4– أنقرة:.

بسقوط الدولة العثمانية وزوال الخلافة انتقل مقر الحكم وعاصمة البلاد من اسطنبول إلى أنقرة، وهنا يبرز دور شوقي، الذي لم يتخلّ عن دوره في كبريات الحوادث، ليُقدّم التهنئة إلى أنقرة، الحضرة الجديدة للدولة الوليدة. يقول أمير الشعراء:[163]

مُلكٌ بَنَيتِ عَلى سُيوفِ بَنيكِ ... قُم نادِ أَنقَرَةً وَقُل يَهنيـــــكِ

أَعطَيتِهِ ذَودَ اللُباةِ عَنِ الشَرى ... فَأَخَذتِهِ حُرّاً بِغَيرِ شَريـــــــ ـكِ[164]

وَأَقَمتِ بِالدَمِ جانِبَيهِ وَلَم تَـــزَل ... تُبنى المَمالِكُ بِالدَمِ المِسفـــــوكِ

وَحَلَلتِ عَرشَكِ مِن قَناً مَشبوكِ[165] ... فَعَقَدتِ تاجَكِ مِن ظُبىً مَسلولَةٍ

[161] موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1988،ص 265
[162] المصدر السابق، ص 268

[163] الشوقيات231/1
[164] الذود: مصدر ذاد أي دفع ودافع، اللباة: أنثى الأسد، الشرى: مكان في جانب الفرات تكثر فيه الأسود ويضرب به المثل في ذلك.

فكما كانت الأستانة(اسطنبول) عنوان العز والمنعة العثمانية، فإن أنقرة صارت عنوانًا للقوة والعزم في الدولة التركية الوليدة.

ثم يعمد شوقي في القصيدة نفسهاإلى استخدام الكناية للإشارة إلى أنقرة فيقول:[166]

شُمُّ الجِبالِ رُؤوسَها لِأَبيكِ يا بِنتَ طوروسَ المِمَرَّدِ طَأطَأَت

فأنقرة (بنت طوروس) وهي سلسلة من الجبال الشاهقة القريبة من أنقرة، وفي ذلك كناية عن القوة والمنعة والبأس الشديد.

ولكن تلك القوة وذلك البأس لا يعني الظلم والطغيان، بل هو رمز العدالة الأبيّة والسلام الأشمّ:[167]

تدرّعتْ للقاء السِّلم أنقرةٌ ومهّد السيفُ في لوزان للخُطب

إن أنقرة حين ترتدي الدروع وتتدرع بها فإنها لا تريد الحرب، بل إنها دائمًا تريد السلام، لكن سلام القوي، سلام المنتصر، لا سلام الضعيف المنهزم.

## 5- إزمير:.

تُعرف مدينة إزمير بأنّها ثالث أكبر المدن التركيّة بعد اسطنبول وأنقرة، وتقع هذه المدينة في الجهة الغربيّة من تركيا وتحديداً على سواحل بحر إيجه، وهي من أكبر المراكز الصناعية في البلاد، كما أنها وجهة سياحية عالمية.

ولأنها مدينة لها أهميتها الوطنية الكبرى، فلم ينسها شوقي حيث ينشد قائلا:[168]

---

[165] الظبى: جمع ظبة وهي حد السيف والسنان ونحوهما. والقنا: الرمح
[166] الشوقيات231/1
[167] المصدر السابق88/1
[168] المصدر السابق، ص91

سل الظلام بها أي المعاقـــل لم تطفر وأي حصون الروم لم تشب
آلت لئن لم ترد «أزمير» لا نزلت ماء سواها ولا حلت على عشب
والصبر فيها وفي فرسانها خلـق توارثوه أبا في الـــروع بعـــد أب
كما ولدتم على أعرافها ولدت في ساحة الحرب لا في باحة الرحب
حتى طلعت على «أزمير» في فلك من نابه الذكر لم يسمك على الشهب

فالجيش التركي العظيم قد أقسم ألا يعود إلا بعد تحرير إزمير من الاحتلال اليوناني (أثناء حرب الاستقلال سنة 1922م) فهي الأرض الغالية والمدينة الكبيرة في الوطن.

## 6- أيا صوفيا:.

أيا صوفيا " اسم شهير لأغرب بناء في العالم، والسبب في ذلك أن البناء يأخذ طابعين مختلفين دينيًا وتاريخيًا، حيث إن أيا صوفيا كنيسة ومسجد في آن واحد. وبسبب هذا الاختلاف أصبحت أيا صوفيا متحفًا للمسيحيين والمسلمين في العالم كافةً"[169]

لقد بُنيت أيا صوفيا سنة 425م لتكون مركز الأرثوذكسية في العالم، ومن هنا اكتسبت أهميتها لنصارى العالم. فقد كانت المركز الروحي لهم وفيها مقر بابا النصارى الأرثوذكس. وعند فتح القسطنطينية عام 1453م " دخل السلطان محمد الثاني القسطنطينية من البوابة الرئيسية، وصلى صلاة الظهر في كاتدرائية القديسة صوفيا إيذانًا بتحويلها إلى مسجد"[170]

ومن هنا جاءت أهمية أيا صوفيا وحساسية موقعها في نفوس المسلمين والنصارى. فالمسلمون يرون أنها رمز انتصار الخلافة الإسلامية العثمانية على الدولة البيزنطية، بينما يرى النصارى أنها كانت المركز الروحي لأرثوذكس العالم.

---

[169] مجلة تراث، العدد 3، يوليو 2010
[170] الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، إسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكات، ط1، 1996، ص 49

وأحمد شوقي شاعر، وجمهوره عريض يشتمل على كل ناطق بلغة الضاد سواء أكان من المسلمين أم من النصارى أو من اليهود. ويهمه أن يكسب وُدّ جميع قرّائه وألا يخسر أيًّا منهم بدافع من تعصب لدين من الأديان. وعندما فكر شوقي في تأليف قصيدة عن أيا صوفيا، كان شاغله ألا يُغضب منه المسلمين ولا النصارى، بل يجب أن يستخدم الحكمة واللباقة في القول، وشوقي من أئمة الحكمة وأساطين اللباقة. فاستفتح قصيدته في وصف أيا صوفيا بقوله:[171]

كنيسةٌ صارت إلى مسجد هدية السيّدِ للسّيد
كانت لعيسى حَرمًا فانتهت بنُصرة الرُّوح إلى أحمد

وهنا يتحير المتلقي، هل هذا كلام شاعرٍ حكيم، أم كلام حكيم شاعر؟! فقد صيّر شوقي أيا صوفيا هديةً من المسيح عيسى عليه السلام إلى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، فقد كانت لعيسى وأصبحت لمحمد. حُسن تصرّف يُحسد عليه شوقي." من أدلّ ما يكون على كياسة الشاعر ولباقته، لأنه لم يجعلها اغتصابًا بل هدية من سيد لسيد"[172]

ثم أردف شوقي يقول:

شيّدها الرومُ وأقيالُهُم على مثالِ الهَرَمِ المخلّد [173]
تنبئ عن عز وعن صولة وعن هوىً للدين لم يخمد

وهكذا يُراعي شوقي مكانة أيا صوفيا في نفوس الفريقين؛ المسلمين والنصارى. فالروم قد بنوها، وهذا حق لا مراء فيه، وأن فيها هوى لا ينطفئ من متديني الفريقين. ومضى شوقي في القصيدة التي يبلغ عدد أبياتها خمسة وثلاثين بيتًا يصف ما في أيا صوفيا من صور ونقوش ترمز للعذراء مريم ولعيسى

---

[171] الشوقيات، 1/428- 429- 430
[172] الشعر وحروب ا لخلافة العثمانية، عبد الله بن إبراهيم بن يوسف الزهراني، ص 326
[173] أقيال: جمع قيْل وهو من ملوك اليمن في الجاهلية. والمراد بالأقيال الملوك

عليه السلام، وغير ذلك من أشكال ترمز للملائكة. كل هذا في دقة بالغة وكأن شوقي سيُلام إن أغفل التفاصيل الدقيقة على جدران أيا صوفيا.

ولا ينسى شوقي فاتح اسطنبول العظيم وجنوده البواسل، فيمدحهم ويلصق به كل مكرمة في التضحية والجهاد إرضاءً لدينه وغيْرته على الإسلام ولذوي قرابته من أحفاد محمد الفاتح من الأتراك العثمانيين، فنجده يقول:[174]

قد جاءها الفاتحُ في عصبةٍ من الأسُود الرُّكَّع السُّجَّد
رمَى بهم بُنيانَها، مثلما يصطدم الجلمدُ بالجلمد
فكبَّروا فيها وصلَّى العِدا واختلط المشهدُ بالمشهد
وما توانَى الروم يفدونها والسيف في المِفْدِيّ والمفتدِي
فخانَها من قيصرٍ سعدُه وأُيِدتْ بالقيصر الأسعد
بفاتحٍ غازٍ عفيفِ القنا لا يحمل الحقدَ ولا يعتدي
أجار من ألقَى مقاليدَه منهم، وأصفى الأمن للمرتدي
وناب عما كان من زخرف جلالة المعبود في المعبد

وما زال شوقي يُظهر قوة جيش العثمانيين وبسالته وفي الوقت نفسه يبيّن تسامحهم وقبولهم لمن يمد يده بالسلام. فمشهد المسلمين وهم يكبّرون ويُصلون قد اختلط بمشهد النصارى وهم يؤدون صلاتهم في المكان ذاته، ولِمَ لا؟ فالفاتح عفيف ليس بغادر ولا حقود.

[174] الشوقيات 429/1

# الفصل الثاني

# الآثار التركية في ديوان حافظ إبراهيم

## المبحث الأول: الخليفة والخلافة العثمانية:.

لقد كان موقف حافظ إبراهيم من مسألة الخليفة والخلافة شبيهًا بموقف أحمد شوقي منهما، فكلاهما كان يرى أن الخلافة هي الحبل الوثيق الذي يربط المسلمين كلهم معًا، ويجمع أجزاء الأمة الإسلامية في جسد واحد، والخليفة في اسطنبول بمثابة القلب النابض لهذا الجسد. ولذلك نجد حافظًا في أشعاره يمجد من مقام الخلافة ومنزلة الخليفة، لا طمعًا في نوال أو عطايا، بل حرصًا على وجود الخليفة بوصفه رمز للوحدة الإسلامية في كل العصور. وكان حافظ إبراهيم من هؤلاء الشعراء الذين تغنوا بالخلافة وأمجادها مثل صنوه شوقي، وإن اختلف الشاعران في طريقة التناول من حيث الكم والكيف، فكان شوقي متفوقًا على حافظ في تغنّيه بتركيا من حيث الكم حيث إن شوقي قال فيها ثمان عشرة قصيدة بينما لم يقل حافظ سوى6 قصائد فقط.

ومن حيث الكيف، فقد ظل شوقي شاعر البلاد زمنًا طويلاً، كما كان ربيب القصر منذ نعومة أظفاره. فكانت علاقته بالخليفة علاقةَ شاعر بوليّ نعمته. أمّا حافظ فكان من عامة الشعب، ومن عموم المسلمين. فكانت علاقته بالخليفة علاقةّ فرد من أفراد الرعية بخليفته وسلطانه فقط. ويكفينا بيتٌ واحدٌ من ديوان حافظ ليُبيّن لنا فلسفته في مدح الخليفة، ويُوضح لنا الدافع وراء تلك المدائح السلطانية، إذ يُنشد حافظ قصيدته المشهورة في تهنئة السلطان عبد الحميد الثاني بعيد جلوسه على العرش، فيقول فيها:[175]

خَلَعوا الشَبابَ عَلى البَشيرِ وَأَخلَقوا بِاللَثمِ عَهدَ خَليفَةِ الرَحمَنِ

[175] ديوان حافظ، ص 47

فالخليفة عند حافظ إبراهيم ما هو إلا خليفة الله في الأرض، وهذا مقام ديني، لا منصب سياسي. تلك هي رؤية حافظ إبراهيم في الخليفة العثماني. " والواقع أن الصلات التي كانت تجمع الشرق والإسلام في ذلك الظرف، والتي كانت تتمثل في دولة الخلافة قد أتاحت لهذا الذي تمثلت مصر في فؤاده أن يحيط نفسه بهذه الهالة التي تتكلم العربية، وإنْ كان على رأس أمة الخلافة دولة لا تعرف غير التركية. وإنك لتقرأ قصائده في الدستور العثماني وفي فتنة الأستانة وخلع عبد الحميد وتولية رشاد فتقرأ عباراتٍ صادرةً من أعماق النفس والفؤاد"[176] فجاء موقف حافظ من الخلافة مختلفًا، حيث لم يذكر حافظ الخلافة لسابق معرفة أو علاقة شخصية بينهما – كما هو الحال عند أحمد شوقي – بل إنه كان يذكر الخلافة – في أغلب الأحيان – مادحًا. لكنه مدح من نوع خاص، ليس مثل مدائح شوقي.

و "إن حافظ حلقة وسطى بين النمط الذي سنّه البارودي في إبان النهضة القومية وبين الأنماط المبتَدعة التي يدعو إليها الشعور بالحرية الشخصية والمزايا الفردية، فهو رجل يدل بشعره على زمنه وعلى نفسه"[177]

فحافظ إذ يقول الشعر لم يكن يعبّر عن رأي السلطة أو الخليفة، بل كان يعبّر عن نفسه هو وعن رأيه ونظرته للأمور، كما يعبر عن زمنه وعن جموع المسلمين. فقد كان المسلمون يرون في الخليفة الأب الروحي لهم جميعًا، وحاميهم وجامعهم تحت لواء الإسلام، ولم يختلف حافظ في شعره عن هذا التصور، بل واكبه وسايره، ليس رياءً ونفاقًا، بل عن عقيدة صادقة وحب حقيقي، يظهر في شعره بلا تكلف أو تصنّع. فنراه يخاطب الخليفة وحاضرته قائلاً:[178]

---

[176] ذكرى الشاعرين- شاعر النيل وأمير الشعراء، أحمد عبيد، المكتبة العربية في دمشق، ص43

[177] شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، عباس محمود العقاد، مطبعة حجازي بالقاهرة، 1937، ص 20

[178] ديوان حافظ إبراهيم، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه: أحمد أمين – أحمد الزين – إبراهيم الإبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، ص49

مِنّي على دارِ السلامِ تحيةٌ وعلى الخليفةِ مِن بَنِي عثمانِ

فيبدأ التحية هنا بشبه الجملة التي تفيد التخصيص، وكأن تلك التحية منه هو فقط، إشارةً إلى إخلاصه وولائه للخلافة والخليفة. ثم إنه كنّى عن الأستانة حاضرة الخلافة العثمانية بقوله "دار السلام" ومعروف أن دار السلام اسم من أسماء الجنة قد ورد في القرآن الكريم كثيرًا، مثلما جاء في قوله تعالى (لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)[179] وقوله تعالى (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)[180] وقد ورد " في شعر حافظ شواهد كثيرة تدل على تأثره بالقرآن الكريم، فمن توظيف لقصصه وتمثل بما جاء فيها، إلى استعانة بتعبيراته وألفاظه، يضع ما يأخذه بلطف في نسيجه الشعري فلا يكاد يَبين"[181].

وكأن حافظًا يقول إن الأستانة حاضرة الخلاف العثمانية هي بمثابة الجنة في الدنيا. وقد كان حافظ مُوفّقًا في هذا الاقتباس الذي يتماشى مع القيمة الإسلامية التي تمثلها الخلافة العثمانية في نفوس المسلمين.

ثم ينعطف حافظ ليؤدي التحية للخليفة الذي ينحدر من السلالة العليّة، سلالة بني عثمان التي قامت الخلافة بهم وعلى أكتافهم. وفي ديوان حافظ قصائد عدة في مدح السلطان عبد الحميد وتمجيده والثناء عليه، لعل من أشهرها قصيدة طويلة تبلغ من الأبيات سبعين بيتًا، أنشدها تهنئةً للسلطان بعيد جلوسه على العرش، وذلك في اليوم الأول من شهر سبتمبر سنة ثمانٍ وتسعمائة وألف للميلاد. يقول في مطلعها:[182]

---

[179] سورة الأنعام، الآية 127
[180] سورة يونس، الآية 25
[181] حافظ إبراهيم دراسة تحليلية لسيرته وشعره، السعيد محمود عبد الله، دار الفارابي للنشر والتوزيع، ص 153
[182] ديوان حافظ إبراهيم، ص 44

أَثنى الحَجيجُ عَلَيكَ وَالحَرَمان وَأَجَلَّ عيدَ جُلوسِكَ الثَقَلانِ

أَرْضَيْتَ رَبَّكَ إِذ جَعَلتَ طَريقَهُ أَمناً وَفُزتَ بِنِعمَةِ الرِضوانِ

فكان حافظ حريصًا على أن تكون تهنئته الخليفةَ ذات مسحة دينية، ليؤكد على القيمة الروحية الإسلامية التي حازها الخليفة في قلوب رعيته. فالثناء قد جاء من حجاج بيت الله، ومن الحرمين الشريفين بمكة والمدينة، ومن الثقلين جميعًا؛ الإنس والجن.

ثم إن حافظًا أراد أن يعبّر عن ثقة الرعية بخليفتهم، وإيمانهم بنزاهته وصدقه فقال في القصيدة السابقة نفسها:[183]

ثَلِجَت صُدورُهُمُ وَقَرَّ قَرارُهُم لَمّا حَلَفتَ بِأَوثَقِ الأَيمانِ [184]

تَاللَهِ ما شَكّوا بِصِدقِكَ دونَها هُم يَعرِفونَ شَمائِلَ السُلطانِ

فحين يُقسِم السلطان على احترام الدستور فإن المسلمين تثلج صدورهم، ويقرّ قرارهم، وتطمئن قلوبهم، لا لشيء إلا لمعرفتهم بأخلاق السلطان وشمائله الكريمة التي تمنعه من أن يحنث بقسمه أو يُخلف وعده.

ويتوالى السلام التحيات من حافظ على الخليفة السلطان عبد الحميد الثاني، فيقول في معرض حديثه عن الترك:[185]

فَسادوا وَشادوا لِلهِلالِ مَنازِلاً عَلى هامِها سَعدُ الكَواكِبِ يُنثَرُ [186]

تَجَلّى بِها عَبدُ الحَميدِ بِوَجهِهِ عَلى شَعبِهِ وَالشاهُ خَزيانُ يَنظُرُ [187]

سَلامٌ عَلى عَبدِ الحَميدِ وَجَيشِهِ وَأُمَّتِهِ ما قامَ في الشَرقِ مِنبَرُ

---

[183] ديوان حافظ إبراهيم، ص 45

[184] ثلج صدره بالشيء: برد واطمأنّ وسكن إليه. ويريد بـ" أوثق الأيمان" اليمين التي حلفها السلطان على احترام الدستور.

[185] ديوان حافظ إبراهيم، ص 353

[186] سادوا: من السيادة. وشادوا: أي بنوا. الهام: الرؤوس.

[187] الشاه: ملك الفرس، ووصفه بالخزي لأنه لم يعط أمته الدستور أسوة بالترك.

فالسلام والتحية هذه المرة للسلطان وجيشه وأمّته. ونلحظ من تحيات حافظ للخليفة أنه يُلصق بها من المسوح الدينية والصبغة الإسلامية ما يؤكد للسلطان زعامته الدينية للعالم الإسلامي كله.

وعندما يسمع حافظ بالمؤامرة التي يدبرها حزب تركيا الفتاة، وجماعة الاتحاد والترقي لعزل السلطان عبد الحميد، فإنه يغضب للسلطان ويثور، ويهجو أولئك اللئام الذين لم يراعوا حرمة مقام الخلافة وقدسيتها. فنراه يقول:[188]

فدًى لك يا (عبد الحميد) عصابةٌ عصتْ أمرَ باريها وحِزبٌ مُذَبْذبُ[189]

ملكتَ عليهم كل فجٍّ ولجَّة فليس لهم في البرِّ والبحرِ مَهرَبُ[190]

تَقاذَفهم أيْدي اللَّيالي كأنّهم بها مَثَلٌ في القول للناس يُضرُب

وكم سألوها لَثْمَ أذْيالَها التي لها فوقَ أَجْرامِ السمواتِ مَسْحَب

فما بلغوا قصدًا ولا أدركوا مُنى كذلك يشقَى الخائنُ المتقلّب

فيا صاحب العيدين لا زلت سالمِا يُهَنِّيك بالعيدين شرقٌ ومغرب

فشاعر النيل يصم معارضي السلطان عبد الحميد الثاني بأقسى الصفات وأقبحها، فهم العُصاة المذَبذَبون كالألعوبة في أيدي الناس الأشقياء الخائنون المتقلّبون. بينما يدعو للخليفة بالسلامة من كيدهم ومكرهم، ولا ينسى بالطبع تهنئة الخليفة بعيد جلوسه على عرش الخلافة.

وحافظ – بحسه الإسلامي ووازعه الديني في قلبه – لا يُثني على الخليفة الحاليّ فقط، بل نجده لا يفتأ يذكر الخلفاء السابقين الذين كان لهم دور ونصيب في تأسيس الدولة العثمانية وتثبيت أركانها. وله قصيدة مشهورة في عيد تأسيس الدولة العثمانية العليّة، سنة ست وتسعمائة وألف، يقول فيها:[191]

---

[188] ديوان حافظ إبراهيم، ص17

[189] يقصد هنا حزب تركيا الفتاة. مذبذب: أي متردد لا يثبت على رأي ولا مبدأ

[190] الفجّ: الوادي. واللّجة: البحر

[191] ديوان حافظ إبراهيم، ص 331- 332

لَقَد مَكَّنَ الرَحمَنُ في الأَرضِ دَولَةً لِعُثمانَ لا تَعفو وَلا تَتَشَعَّبُ[192]

فيستهل ذكر الخلفاء المؤسسين بدايةً طبيعية منطقية بذكر عثمان بن أرطغرل، أبو الخلفاء العثمانيين وإليه ينتسبون، بل ويذكر ذلك صراحةً في بيت تالٍ له يقول فيه:

إِذا ضاءَتِ الأَحسابُ يَوماً لِمُعرِقٍ فَعُثمانُ خَيرُ الفاتِحينَ لَهُم أَبُ [193]

فعثمان هو الأب الأول والمؤسس الحقيقي، كما أنه خير الفاتحين المجاهدين. إذا انتسب الأبناء والأحفاد وافتخروا بعظيم أصلهم وكريم محتدهم فلا خير ولا أعظم من عثمان .

ثم ينثني حافظ ويذكر بعض خلفاء آل عثمان ممن لهم أثر بيّن وأيادٍ بيضاء لا تُنسى في تاريخ الدولة العليّة، فيقول:

فَهَذا سُلَيمانٌ وَقانونُ عَدلِهِ عَلى صَفَحاتِ الدَهرِ بِالتِبرِ يُكتَبُ [194]

فتاريخ سليمان القانوني معروف للقاصي والداني، وحريٌّ أن يُكتب بالتبر لا بالحبر.

ولا ينسى التاريخ ولا ينسى حافظ السلطان محمد الثاني "الفاتح" فيقول فيه:

وَذاكَ الَّذي أَجرى السَفينَ عَلى الثَرى وَسارَ لَهُ في البَرِّ وَالبَحرِ مَركَبُ [195]

عَلى بابِهِ العالي هُناكَ تَأَلَّقَت سُطورٌ لِأَقلامِ الجَلالَةِ تُنسَبُ

هُنا فَاخفِضوا الأَبصارَ عَرشُ مُحَمَّدٍ هُنا الفاتِحُ الغازي الكَمِيُّ المِدَرَّبُ [196]

وفي معرض ذكر السلاطين من آل عثمان وعدّهم، يأتي حافظ على ذكر سلطان آخر فيقول:

---

[192] لا تعفو: لا تندثر، لا تتشعب: لا تتفرق، وعثمان بن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية وإليه تُنسب، وُلد سنة656هـ، وتولى السلطنة سنة 699هـ، وتُوفي سنة 726هـ

[193] المُعرق: الذي له عرق وأصل في الكرم

[194] سليمان: هو سليمان القانوني، السلطان العاشر من سلاطين آل عثمان، وهو ابن السلطان سليم. وُلد سنة 900هـ ، وتولى الملك سنة 926هـ، ومات سنة 974هـ. وقد لُقب بالقانوني لأنه وضع قانونًا للدولة تسير على مقتضاه.

[195] يشير إلى الطريقة التي اتبعها محمد الفاتح في مهاجمة القسطنطينية وفتحها.

[196] الكميّ: الشجاع، ومحمد هو محمد الثاني الملقب بالفاتح، السلطان السابع من سلاطين آل عثمان، وُلد سنة 833هـ، وتولى الملك سنة 855هـ وهو في الحادية والعشرين من عمره. فبادر بالتأهب لفتح القسطنطسنية، وفي سنة 857هـ تمّ له فتحها. وتُوفي فجأة سنة 886هـ

وَما كانَ مِن عَبدِ المجيدِ إِذِ اِحتَمى بِأَكنافِهِ كوشوطُ وَالخَطبُ غَيهَبُ[197]

يُناديهِمُ أَمّا نَزيلي فَدونَهُ حَياتي وَأَمّا صارِمي فَمُشَطَّبُ[198]

فَإِن كانَتِ الحُسنى فَإِنّي سَماؤُها وَإِن كانَتِ الأُخرى فَشُدّوا وَجَرِّبوا

ولهذا السلطان "عبد المجيد" حادثة مشهورة تشي بأخلاق الفرسان المسلمين الأوائل، حين أجار أميرًا مجريًّا هاربًا قد استجار به من ظلم النمساويين والروس وتهديدهم بقتله. فما كان من السلطان عبد المجيد إلا أن أجاره ورفض تسليمه للروس أو المجريين حتى كادت تنشب الحرب بينهم وبين الدولة العثمانية.

صفحات مشرقة ناصعة في تاريخ الدولة العثمانية تلك التي عدّها حافظ إبراهيم في قصيدته تلك. ولكن سرعان ما تتغير الأحوال وتتبدل الأمور، ففي السابع والعشرين من أبريل سنة تسع وتسعمائة وألف عُزل السلطان عبد الحميد بتدبير ومكر من حزب الاتحاد والترقي- حسب رأي حافظ – فلم يتمهل حافظ ولم يتريث، بل سارع إلى كتابة قصيدة يرثي بها أيام السلطان عبد الحميد، ويُذكّر الناس بفضائل الخليفة وأياديه البيضاء على المسلمين جميعًا. والقارئ حين يقرأ تلك القصيدة يشعر وكأن حافظًا يبكي وينتحب من فرط الصدق الفني والمشاعر العميقة التي تشيع في أبيات القصيدة كلها.

شعور صادق غاية الصدق من شاعر مسلم تجاه خليفته المعزول المحبوس. وهذه نقطة مركزية لمن يدرس شعر حافظ فحافظ من الشعراء الذين يُعلون من قيمة الصدق والحس أثر من الشكل والزينة، فالشاعر الحق "لا يكون مجرد صانع يلعب بالألفاظ والمعاني ويعبث بها وبالناس، فتتناثر هذه

---

[197] الغيهب: الشديد السواد، وعبد المجيد: هو السلطان الحادي والثلاثون من سلاطين الدولة العثمانية، وُلد سنة 1237هـ، وتولى السلطنة سنة 1255هـ، وتُوفي سنة 1277هـ. و"كوشوط" أمير مجري استغاث بالسلطان عبد المجيد واستجار به من تهديد النمساويين والروس له.

[198] الصارم: السيف الصلب، المشطب: الذي فيه شطب، وهي الخطوط والطرائق التي في نصله.

الرغوة البراقة وتتلاشى على مرّ الأجيال كما حدث لشعر كثير لم تسانده العاطفة الصادقة والإيمان الصحيح"[199]

وقد قام حافظ بنشر تلك القصيدة في الثاني عشر من شهر مايو سنة تسع وتسعمائة وألف، أي بعد أسبوعين فقط من عزل الخليفة، مما يؤكد انفعال حافظ وانشغاله بالأحداث الجارية ومواكبته لها يومًا بيوم. يقول حافظ:[200]

لا رَعى اللهُ عَهدَها مِن جُدودِ كَيفَ أَمسَيتَ يا ابنَ عَبدِ المَجيدِ[201]

مُشبِعَ الحوتِ مِن لُحومِ البَرايا وَمُجيعَ الجُنودِ تَحتَ البُنودِ [202]

كُنتُ أَبكي بِالأَمسِ مِنكَ فَمالي بِتُّ أَبكي عَلَيكَ عَبدَ الحَميدِ؟!

قد تنوّعت أساليب مطلع القصيدة بين دعاء وإخبار ودعاء، وكأنها مشاعر حافظ وأفكاره مشتتةً متضاربة من هول الخطب وقسوة الحدث الأليم. فقد بدأ قصيدته بدعاء ألا يحفظ الله ذلك الحظ السيء الذي أدى بالسلطان عبد الحميد" بن عبد المجيد". ويُثَنّي بمدح السلطان بطباق جميل بين مُشبِع الحوتِ و وَمُجِيع الجُنودِ. يُثلّث بسؤال استنكاريّ تعجبيّ؛ إذ كيف يبكي أمسِ خشيةً من السلطان وبأسه، بينما يبكي اليوم رحمةً به شفقة عليه. مقابلة فيها من المفارقة ما يوحي بالخطب العظيم الذي حلّ بخليفة المسلمين. إلا أنّ الخليفة يظل محتفظًا بمكانته في نفس حافظ ، فهو الخليفة وهو السلطان دائمًا أبدًا حتى وهو في محبسه:[203]

أَنتَ عَبدُ الحَميدِ وَالتاجُ مَعقو دٌ وَعَبدُ الحَميدِ رَهنَ القُيودِ

---

[199] شعراء العرب المعاصرون، أحمد زكي أبو شادي، دار الطباعة الحديثة، ط1، 1958، ص 24

[200] المصدر السابق، 357

[201] الجدود: الحظوظ، واحدها جَدّ

[202] مُشبِع الحوت: كناية عن انتصارات الخليفة الذي كان يُطعِم الحيتان في البحر من لحوم أعدائه. ومجيع الجنود: كناية عن كثرة حروبه وطول مدتها حتى يجوع الجنود من طول زمن الحرب.

[203] ديوان حافظ إبراهيم، 357

خالِدٌ أَنتَ رَغمَ أَنفِ اللَيالي  في كِبارِ الرِجالِ أَهلِ الخُلودِ

وغني عن الذكر أن تكرار اسم السلطان ليس للتأكيد فقط كما هو شائع مشهور، وإنما استعمله حافظ هنا لبيان حسرته وحزنه الشديد على سلطان طالما ذكر اسمه سابقًا في معرض المدح والثناء. ولأنه حافظ فإنه يحفظ الجميل، ولا ينسى فضائل السلطان على الأمة كلها، فينبري في أبيات طويلة يذكر الجماهير بتلك الفضائل وهذه المآثر، علّهم يثوبون إلى رشدهم، ويندموا على خطأهم الفادح، فيقول:[204]

حاوَلوا طَمسَ ما صَنَعتَ وَوَدّوا  لَو يُطيقونَ طَمسَ خَطِّ الحَدي ِد[205]

ذاكَ عَبدَ الحَميدِ ذُخرُكَ عِندَ اللَ  هِ باقٍ إِن ضاعَ عِندَ العَبيدِ

أَكرِموهُ وَراقِبوا اللَهَ في الشَي  خِ وَلا تُرهِقوهُ بِالتَهديدِ

لا تَخافوا أَذاهُ فَالشَيخُ هاوٍ  لَيسَ فيهِ بَقِيَّةٌ لِلصُعودِ

وَلِيَ الأَمرَ ثُلثَ قَرنٍ يُنادي  بِاسمِهِ كُلُّ مُسلِمٍ في الوُجودِ

كُلَّما قامَتِ الصَلاةُ دَعى الدا  عي لِعَبدِ الحَميدِ بِالتَأييدِ

فَاِسمُ هَذا الأَسيرِ قَد كانَ مَقرو  ناً بِذِكرِ الرَسولِ وَالتَوحيدِ

فسكة حديد الحجاز من المآثر الكبرى التي ما زالت تُذكر للسلطان عبد الحميد الثاني، ويسعى حافظ لتليين قلوب حابسيه فيرفقوا به في شيخوخته، خاصة أن هذا الشيخ ظل الأئمة يدعون له من فوق المنابر لأكثر من ثلاثين عامًا، وكان محط رجاء كل مسلمي الدنيا طوال خلافته فلم يخذل أيًّا منهم، واسمه كان دائمًا مقرونًا باسم الله الواحد الأحد واسم الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، فحريّ بنا إذن توقيره واحترامه وإنْ أخنى عليه الدهر ودارت عليه الدوائر.

---

[204] المصدر نفسه، ص 357- 358

[205] خط الحديد: سكة حديد الحجاز التي بدأ العمل فيها سنة 1900 في عهد السلطان عبد الحميد لربط الأستانة بدمشق ثم بمكة والمدينة، وهي من مآثره الكبرى.

ثم يعقِد حافظ مقارنة بين السلطان عبد الحميد الثاني ونابليون بونابرت إمبراطور فرنسا المشهور، فيقول:[206]

يا أَسيراً في سَنتِ هيلينَ رَحِّب بِأَسيرٍ في سالُنيكَ جَديدِ [207]

قُل لَهُ كَيفَ زالَ مُلكُكَ لَم يَع صِمكَ إِعدادُ عُدَّةٍ أَو عَديدِ

لَم تَصُنكَ الجُنودُ تَفديكَ بِالأَر واحِ وَالمالِ يا غَرامَ الجُنودِ

قُل لَهُ كَيفَ كُنتَ كَيفَ اِمتَلَكتَ ال أَرضَ كَيفَ اِنفَرَدتَ بِالتَمجيدِ

فَتَلَلتَ العُروشَ عَرشاً فَعَرشاً وَصَبَغتَ الصَعيدَ بَعدَ الصَعيدِ

كُلَّما نِلتَ غايَةً لَم تَنَلها هِمَّةُ الدَهرِ قُلتَ هَل مِن مَزيدِ

ضاقَتِ الأَرضُ عَن مَداكَ فَأَرسَل تَ بِطَرفٍ إِلى السَماءِ عَتيدِ

قُل لَهُ جَلَّ مَن لَهُ المُلكُ لا مُل كَ لِغَيرِ المُهَيمِنِ المَعبودِ

تلك المقارنة لم تأت للتعبير عن عظمة الخليفة أو قوة الإمبراطور الفرنسي، وإنما هي لتعزية الخليفة ومواساته فيما حدث. فليس وحده مَن خُلع، وليس وحده مَن نُفي، بل إن واحدًا من أعظم أباطرة التاريخ قد فُعل به ما فُعل بالسلطان عبد الحميد من قبل، فلا ملك يدوم إلا لله.

ويُكمل حافظ ويستطرد في رثاء أيام السلطان وملكه الذي ضاع، فيتساءل تساؤلات مثيرة للحيرة وللدهشة في آن واحد، أيقف حافظ في صف السلطان أم يقف في صف معارضيه؟ أيتهمه أم يبرئه؟ أهو ناقم عليه أم هو مشفق رحيم به؟ تساؤلات عديدة يثيرها حافظ من خلال قوله:[208]

أَصَحيحٌ ما قيلَ عَنكَ وَحَقٌّ ما سَمِعنا مِنَ الرُواةِ الشُهودِ؟!

---

[206] المصدر نفسه، ص358

[207] يريد بالأسير في سنت هيلين: نابليون بونابرت إمبراطور فرنسا وقائدها المعروف، وقد أُسر في جزيرة سانت هيلانة، وظل أسيرًا بها حتى مات، ونُقلت رفاته بعد مدة إلى فرنسا – وسالونيك: مدينة معروفة بمقدونيا، وكانت من أملاك الدولة العثمانية، وهي الآن من أملاك اليونان، وقد اعتُقل فيها السلطان عبد الحميد بعد خلعه.

[208] ديوان حافظ إبراهيم، ص360

أَنَّ عَبدَ الحَميدِ قَد هَدَمَ الشَر ... عَ وَأَربى عَلى فِعالِ الوَليدِ[209]

إِن بَريئاً وَإِن أَثيماً سَتُجزى ... يَومَ تُجزى أَمامَ رَبٍّ شَهيدِ

أَصَحيحٌ بَكَيتَ لَمّا أَتى الوَف ... دُ وَنابَتكَ رِعشَةُ الرِعديدِ ؟[210]

وَنَسيتَ الآباءَ وَالمَجدَ وَالسُؤ ... دُدَ وَالعِزَّ يا كَريمَ الجُدودِ

يتوجه حافظ بالسؤال إلى السلطان عبد الحميد في دهشة واستنكار: هل حقًّا هدمت الشرع؟! ويُتبع سؤاله هذا بسؤال آخر: هل حقًّا بكيتَ وانتابتك الرعشة حين جاءك الوفد يبلغك بقرار الخلع من السلطنة؟!

سؤالان قد تغيب دلالتهما عن الكثير، فقد يظن ظانٌّ أن حافظًا يُبَكِّت السلطان ويلومه لما سمعه عن هدمه الشرعَ وبكائه لدى معرفته بقرار العزل؟ بيد أنَ المتتبع لشعر حافظ في الخليفة وفي الخلافة يستنبط أن هذه الأسئلة ما هي إلا تبرئة لساحة السلطان عبد الحميد مما يحاول البعض إلصاقه به من خيانة للشرع والدين ومن انتقاص من هيبته ورجولته. فهذه الأسئلة في حقيقتها ما هي إلا استنكار لتلك الافتراءات التي تقال عن السلطان، وما هي إلا جواب مُسكِت لأولئك الذين يتقولون عليه بما ليس فيه افتراءً وظلمًا وعُدوانًا. ودليلنا ما قاله حافظ نفسه بعد تلك الأسئلة مباشرة، وكأنه يرد عن السلطان الافتراء ويدفع عنه التُّهم، فيقول:

عَلَّها دَمعَةُ الوَداعِ لِذاكَ ال ... مُلكِ أَو ذِكرَةٌ لِتِلكَ العُهودِ

غَسَلَ الدَمعُ عَنكَ حَوبَةَ ماضي ... كَ وَوَقّاكَ شَرَّ يَومِ الوَعيدِ [211]

شَفَعَ الدَمعُ فيكَ عِندَ البَرايا ... لَيسَ ذاكَ الشَفيعُ بِالمَردودِ

دَمعُكَ اليَومَ مِثلُ أَمرِكَ بِالأَم ... سِ مُطاعٌ في سَيِّدٍ وَمَسودِ

---

[209] أربي: زاد. والوليد، هو ابن يزيد بن عبد الملك الخليفة الأموي المرواني المشهور بالفسق وشرب الخمر وتهاونه بالدين.
[210] يريد الوفد المبعوث بخلعه. والرعديد: الجبان
[211] الحوبة (بفتح الحاء): الخطيئة

فدموع السلطان وبكاؤه ليس من جزع حلّ به أو خوف انتابه، بل هي رحمة من الله للسلطان وشفيع يشفع له يوم القيامة.

ولكن حافظًا المسلم الملتزم بتعاليم دينه لا يستغرق في الحزن والتحسر على أيام الخليفة المخلوع، ولا ينسى أن يقدم فروض الولاء والطاعة للخليفة الجديد كما يأمره الشرع الحنيف، فيُنشد مبايعًا الخليفة محمد الخامس:[212]

حَيِّ عَهدَ الرَشادِ يا شَرقُ وَابلُغ ... ما تَمَنَّيتَ مِن زَمانٍ بَعيدِ[213]

قَد تَوَلّى مُحَمَّدُ الخامِسُ المِل ... كَ فَأَعظِم بِتاجِهِ المِعقودِ

وَتَجَلّى في مِهرَجانٍ تَجَلّى ... سَيفُ عُثمانَ فيهِ بِالتَقليدِ[214]

وَقَفَ الدَهرُ خاشِعاً إِذ رَأى السَي ... فَينِ في قَبضَةِ العَزيزِ المِجيدِ[215]

طَأطِئي لِلجَلالِ يا أُمَمَ الأَر ... ضِ سُجوداً هَذا مَقامُ السُجودِ[216]

عَلِمَ اللَهُ أَنَّ عَهدَ رَشادٍ ... خَيرُ فَألٍ بِرَدِّ عَهدِ الرَشيدِ[217]

فيطلب من الشرق ( بنوره وإشراقه وتفاؤله) أن يحيي الخليفة الجديد، ويُبدع حافظ في استعمال التورية في قوله "عهد الرشاد" فلهذا معنى قريب غير مراد وهو عهد الصلاح والهدى، ومعنى بعيد مراد وهو عهد السلطان محمد الخامس واسمه محمد رشاد، وهذا من جميل بلاغة حافظ وظرفه.

وكما استعمل حافظ الرمز التاريخي سابقًا باستدعائه لشخصية نابليون بونابرت حال نفيه إلى جزيرة سانت هيلانة، ثم استدعاء شخصية الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك، المعروف بلهوه وشربه الخمر وتهاونه بالدين، فإنه ( أي حافظ) يعود مرة ثالثة لاستدعاء رمز تاريخي هو الخليفة العباسي

---

[212] ديوان حافظ إبراهيم، ص361

[213] يريد بالرشاد: السلطان محمد رشاد الخامس وقد تولى الحكم سنة 1909 بعد خلع السلطان عبد الحميد.

[214] المهرجان: عيد الفرس، ويطلق على كل عيد. وعثمان/ هو ابن أرطغرل مؤسس الدولة العثمانية التي تُنسب إليه.

[215] السيفين: سيف عثمان مؤسس الدولة، وسيف الخليفة الجالس على العرش

[216] طأطأ رأسه: خفضه

[217] يريد بالرشيد: الخليفة العباسي هارون الرشيد الذي بلغت الأمة الإسلامية في أيامه من الرقي أقصاه.

الأشهر هارون الرشيد، تفاؤلاً منه بأن عهد الخليفة محمد الخامس سيُعيد للمسلمين عصر هارون الرشيد بقوته وثرائه وأمنه ورُقيّه.

ومن الواجب علينا هنا أن نشير إلى ملمح أسلوبي بارز في شعر حافظ إبراهيم، وهو استدعاؤه للرموز التاريخية واستعمالها في سياق القصيدة لتؤدي دورًا دلاليًّا يُغْني عن الشرح والتفسير. ففي الأبيات القليلة السابقة، وفي قصيدة واحدة، استدعى حافظ ثلاثةً من الرموز التاريخية المشهورة، واستعمل كل منهم في سياق مختلف تمامًا عن سياق صاحبه. فقد استدعى أولاً نابليون بونابرت حال خلعه ونفيه، ليواسي السلطان عبد الحميد ويُذكّره بأنه ليس وحده مَن عُزل ونُفي. ثم استدعى الخليفة الأموي الوليد بن يزيد بن عبد الملك، المعروف بلهوه وشربه الخمر وتهاونه بالدين، ليُبرئ ساحة السلطان عبد الحميد مما رُمي به من اتهامات باطلة بأنه قد خالف الشرع وعطل أوامر الدين. ثم جاء الثالثة ليستدعي رمزًا تاريخيًّا ربما هو الأشهر لدى المسلمين إذا ذُكرت قوة الدولة الإسلامية وثراؤها واتساع حدودها، وهو الخليفة العباسي الأشهر هارون الرشيد، ليُبشر الناس بأن عهد الخليفة الجديد سيكون امتدادًا لعهد الخليفة هارون الرشيد.

واستدعاء حافظ إبراهيم للرموز التاريخية في شعره، واستخدامها في سياقاتها الصحيحة المناسبة، لهو أبلغ ردٍّ على تهمةٍ رماه بها بعض النقاد حين قالوا: " وأمّا ثقافة حافظ التاريخية، فضحلة لو أردنا أن ندلل عليها من خلال ما ترك من شعر ..... و ..... أمّا حافظ فكانت ثقافته التاريخية الضحلة مظهرًا آخر من مظاهر حياته المضطربة وطبيعته الشخصية والنفسية، التي كان قوامها الفوضى وعدم الالتزام بمنهج واضح محدد في الحياة يعتمد الانضباط والتوازن

في كل شيء"[218] ويبدو من الكلمات أن هذا ليس بنقد عادي قد يُوجَّه إلى شاعر من الشعراء المبتدئين أو المغمورين، بل يظهر أنه تجريح في شاعر النيل واتهام له بالجهل بالتاريخ وعدم القدرة على الإفادة من الأحداث التاريخية في شعره. وقد تبيّن لنا بطلان هذه التهمة عن حافظ إبراهيم بعدما رأينا براعته ومهارته في استدعاء الرموز التاريخية وتطويعها لتصبح أداة أسلوبية لها دلالات متراكبة تُغني بحضورها الكثيف عن الشرح والتفسير والكلام الكثير.

## المبحث الثاني: تمجيد العنصر التركي:.

كسلفه شوقي، لم ينشغل حافظ إبراهيم بذكر الخليفة العثمانية والخلافة الإسلامية عن ذكر العنصر التركي. وكيف ينشغل عنه والدماء التركية تجري في دمائه من جهة أمه كما سبق وبيّنّا. لكن تناوُل حافظ للعنصر التركي يختلف تمامًا عن تناول شوقي إياه. فشوقي كان يذكر الترك تفاخرًا بانتسابه لهم، وتيهًا على الناس بالعرق التركي المجيد. أما حافظ فقد كان معتزًا بعروبته ومصريته أشد ما يكون الاعتزاز، ولا يتوانى عن الإفصاح عن انتمائه التام لوطنه مصر وقوميته العربية " فإذا عرضنا لشاعرنا حافظ إبراهيم وأشرنا إلى أنه اتخذ مكانه المرموق من إعزاز القومية العربية والإشادة بمجد وطنه والوقوف إلى جواره في أزماته ومتابعة العدو ومصاولته بالقدر الذي كان يتيسر له"[219] فالاعتزاز لدى حافظ هو بالقومية العربية، والإشادة هي بمجد وطنه وهذا مما لم يحاول حافظ إبراهيم إخفاءه أو إنكاره. ولعل في نشأة حافظ الفقيرة في أحضان الطبقة المتوسطة والفقيرة من الشعب المصري دورًا كبيرًا في ذلك. فلم يكن حافظ يومًا من الطبقة الأرستقراطية القريبة من الحكام والأمراء، بل كان دائمًا " أقرب

[218] حافظ إبراهيم دراسة تحليلية لسيرته وشعره، السعيد محمود عبد الله، ص152
[219] حافظ إبراهيم شاعر القومية العربية، محمد هارون الحلو، ص201

إلى روح الشعب ومشاعره، وأقدر على تصوير آلامه التي شاركه فيها"[220] فقد كان حافظ من الشعب المصري وشعره للشعب المصري الذي عاش بين أفراده يتيمًا فقيرًا.

لكن حافظًا ذكر العنصر التركي، لكنه لم يذكره في معرض الافتخار به، والتيه والتباهي بالانتساب له. بل كان ذكرًا من باب الولاء للخليفة العثماني التركي، ومدحًا لآل عثمان الأتراك. أي أن ذكر العنصر التركي كان مدحًا لا افتخارًا، وكان ثناءً لا تيهًا وانتسابًا. فحب مصر يملأ كيانه ويملك عليه فؤاده، لكنه لا ينسى الرابطة الإسلامية التي تربطه بالخلافة العثمانية. " الذي تمثلت مصر في فؤاده أن يحيط نفسه بهذه الهالة التي تتكلم العربية، وإنْ كان على رأس أمة الخلافة دولة لا تعرف غير التركية"[221] فالترك – وإن كانوا عنصرًا أجنبيًا عن المصريين – إلا أن الرابطة المشتركة التي تربط بينهم أقوى من رابطة الدم أو القومية أو العرق؛ إنها الرابطة الإسلامية التي كان يحرص عليها حافظ أيّما حرص. يقول حافظ في العنصر التركي الكريم:[222]

سَلوا التُركَ عَمّا أَدرَكوا فيهِ مِن مُنىً وَما بَدَّلوا في المشرِقَينِ وَغَيَّروا

في حديثه عن العام الهجري الجديد يطلب من الخلائق أن يسألوا الترك عن ما أنجزوا في العام الجديد من الأماني والآمال، ولمَ لا؟! وهم العنصر القوي القادر، وهم العرق القاهر الذي يبدل في الشرق والغرب كما يشاء. هذا مدح ليس افتخارًا. يمدح بأصول الخلفاء العثمانيين الذين يدين لهم بالولاء والطاعة، ولا يذكر انتسابه إليهم في شعره مطلقًا. وفي الأبيات الأخيرة من القصيدة نفسها يأبى حافظ إلا أن ينسب النصر والظفر كله إلى الترك، فالنصر حليفهم، والظفر في معيّتهم أينما حلّوا.

---

[220] شعراء الوطنية في مصر، عبد الرحمن الرافعي، دار المعارف، ط3،ص 95
[221] ذكرى الشاعرين- شاعر النيل وأمير الشعراء، أحمد عبيد، ص 43
[222] ديوان حافظ، ص 352

ونحن – المسلمين – نسير في ركابهم ونترسم خطاهم وآثارهم، فنصيب مما أصابوه من النصر. يقول شاعر النيل في ذلك:[223]

لَقَد ظَفِرَ الأَتراكُ عَدلاً بِسُؤلِهِم وَنَحنُ عَلى الآثارِ لا شَكَّ نَظفَرُ

ولنا أن نتساءل: كيف يتحقق النصر للترك في رأي حافظ إبراهيم؟ وكيف يظفرون دائمًا أبدًا بما يصبون إليه من فتوحات وانتصارات على الأعداء؟ يوجد – ولا شك – عند حافظ إشارة إلى سبب نصر الله للترك، يقول حافظ:[224]

رجالٌ مِنَ الإيمانِ مَلأى نُفوسُهُم وَجَيشٌ مِنَ الأَتراكِ ظَمأى قَواضِبُه[225]

فالجنود الأتراك إنما يُنصرون بشيئين؛ بإيمان يملأ نفوسهم، وسيوفهم العطشى إلى دماء الأعداء. وتلك حكمة من شاعر النيل، إذ يحدد لنا في بيت واحد طريق النصر والظفر على الأعداء، ألا وهو الإيمان القوي الراسخ في النفوس، والشجاعة والإقدام في المعارك.

وعلى هذا المنوال وذاك النمط يسير حافظ إبراهيم في ذكره التركَ، أبيات متفرقة قليلة، شعر فيه من مدح سلالة الخلفاء وأصولهم التركية أكثر من التيه والافتخار بهذا العِرق. ذكرٌ يحفظ به الولاء والانتماء للخليفة العثماني في الأستانة وللخلافة العثمانية بزعامتها الروحية، وفي الوقت نفسه لا ينفي وطنيته المصرية وقوميته العربية. ذكرٌ يؤكد على حبه للأب الروحي للمسلمين في العالم الإسلام كله، المتمثل في الخليفة، لكنه لا يؤثر على حبه الأول والكبر لوطنه الأم مصر.

---

[223] المصدر السابق، ص 356
[224] نفسه، ص 363
[225] القواضب: السيوف القواطع

## المبحث الثالث: وصف الجيش العثماني:.

قبل الخوض في تفاصيل هذا المبحث، تجب الإشارة إلى أن حافظ إبراهيم لم يسافر إلى اسطنبول أبدًا، بل ولم تطأ قدماه أرض الأناضول مطلقًا. إذن – والأمر هكذا فإن حافظًا يصِف ما تراه أذنه، لا ما تراه عينه. فحافظ سمع عن الجيش العثماني؛ جنوده وأسلحته وتشكيلاته، ويصف ذلك كله عن طريق السمع أو قراءة الأخبار في الصحف. وعلى العكس من ذلك تمامًا كان شوقي، فأمير الشعراء قام بزيارة اسطنبول مرارًا وتكرارًا ورأي الجنود العثمانيين وتشكيلاتهم وأسلحتهم وعتادهم. فكان وصفه لهم وصف مَن رأى، و"ليس مَن رأى كمَن سمع". فجاء وصف شوقي للجيش العثماني دقيقًا، مُلَمًا بالتفاصيل والأماكن واللوحات التصويرية. أما حافظ فلم يرَ بعينه وإنما رأى بأذنه، فهو قد سمع، أو قرأ من الصحف. ولكن ثمة شيء يمتاز به حافظ لم يتوفر لشوقي، ألا وهو عمله في وظيفة عسكرية، " حيث التحق بالمدرسة الحربية، وواصل الدراسة في هذه المرة حتى تخرج فيها برتبة الملازم سنة 1891وهو يومئذ في حوالي العشرين من عمره. وعُيّن حافظ بعد تخرجه في المدرسة الحربية ضابطًا بالجيش، فأمضى فيه نحو ثلاث سنوات، ثم نُقل لوزارة الداخلية وعُين ملاحظًا للبوليس في مركز بني سويف ثم في مركز الإبراهيمية"[226] ولعل تلك الحياة العسكرية والمعرفة الحقيقية بأمور الجيش والعسكر قد أهّلت حافظًا ليتخيل شكل الجيش العثماني مما سمعه أو مما قرأه. فلم تكن تعوزه الرؤية والمشاهدة للوصف، بل كان يكفيه أن يسمع فيصف، وتلك بلا شك مقدرة فنية عظيمة.

يقول حافظ:[227]

لَو أَنَّهُم وَزَنوا الجُيوشَ بِمَشهَدٍ رَجَحَت بِجَيشِكَ كِفَّةُ الميزانِ

[226] الخالدون من أعلام الفكر، الجزء الشرقي، أحمد الشنواني، دار الكتاب العربي، ط1، 2007، ص 6-7
[227] ديوان حافظ، ص 44-45

لَو شاءَ زَلزَلَها عَلى أَعدائِهِ أَو شاءَ أَذهَلَها عَنِ الدَوَرانِ

يَمشونَ في حَلَقِ الحَديدِ إِلى العِدا وَكَأَنَّهُم سَدٌّ مِنَ الإِنسانِ[228]

وَكَأَنَّ مَقدَمَهُم إِذا لَمَعَ الضُحى سَيلٌ مِنَ الهِندِيِّ وَالمِرّانِ[229]

يَتَواقَعونَ عَلى الرَدى وَصُفوفُهُم رَغمَ الوُثوبِ كَثابِتِ البُنيانِ

فَإِذا المَدافِعُ في النِزالِ تَجاوَبَت بِزَئيرِها وَتَلاحَمَ الجَيشانِ

وَإِذا القَنابِلُ دَمدَمَت وَتَفَجَّرَت تَحتَ الغُبارِ تَفَجُّرَ البُركانِ[230]

وَإِذا البَنادِقُ أَرسَلَت نيرانَها طُلُقاً وَأَسبابُ الهَلاكِ دَوانِي[231]

فحافظ لم يزُر الأستانة ولم تقع عيناه على جنود الخلافة العثمانية، إلا أنه بحكم خبرته العسكرية يعي شكل الجيش، ويتخيل الجنود وأسلحتهم. فجيش الخلافة يرجح بجيوش الدنيا قاطبة إذا وُضعا في ميزان القوة والبأس، وهذا مما لا يحتاج إلى رؤية بالعين. ثم يصف الجنود وهم يسيرون متراصين وكأن مقدمة الجيش من لمعان أسلحتها وعتادها سيوف ورماح تلمع في شمس الضحى. وهذا أيضًا تخيّل قد يكون لدى الجيش بشكله القديم، إذ لا سيوف ولا رماح في زمن حافظ، ولكنه تقليد القدماء في شعرهم ووصفهم، وهو من المحافظين المسرفين في تقليد القدماء، فهو يرى في جيوش القرن العشرين سيوفًا ورماحًا، لا لشيء إلا اتباعًا لمذهب القدماء. " ومن هنا نستطيع إن نقول إن "حافظ" كان قديمًا ل القدم في مذاهبه وشعره وفي أسلوبه وفي لفظه"[232] وسرعان ما يستدرك حافظ وكأنه قد أدرك

---

[228] حلق الحديد: الدروع

[229] الهندي: السيف، المران: الرماح القوية اللدنة مفردها مرانة

[230] دمدمت عليهم: أي أرجفت الأرض بهم وأطبقت عليهم العذاب.

[231] طلقا(بضم الطاء واللام): انطلاقا بلا احتباس ولا تقييد

[232] تقليد وتجديد، طه حسين، مؤسسة هنداوي، ص 57

أنه في القرن العشرين[233] فيذكر أسلحة الجيش الحديثة من مدافع وقنابل وبنادق. فحافظ شاعر محافظ يرنو إلى التقليد لكنه تقليد محدود ومحاصَر بتقاليد مدرسة شعرية ينتمي إليها حافظ الانتماء كله.

ولا ينسى حافظ – حين يذكر الجيش – أن يذكر الأسطول العثماني بقوته وسفنه التي سيطرت على البحر الأبيض أزمانًا طويلة. فنراه يقول:[234]

أَيُّها القائِمُ بِالأَمرِ لَقَد ... قُمتَ في الناسِ فَأَحسَنتَ القِياما
جَرِّدِ الرَأيَ فَكَم رَأيٍ إِذا ... سُلَّ مِن غِمدِ النُهى فَلَّ الحُساما
وَابعَثِ الأُسطولَ تَرمي دونَهُ ... قُوَّةُ اللَهِ وَراءً وَأَماما
يَكلَأُ الشَرقَ وَيَرعى بُقعَةً ... رَفَعَ اللَهُ بِها البَيتَ الحَراما
وَثُغوراً هِيَ أَبهى مَنظَراً ... مِن ثُغورِ الغيدِ يُبدينَ اِبتِساما
خَصَّها اللَهُ بِأُفقٍ مُشرِقٍ ... ضَمَّ في اللَألاءِ مِصرًا والشَآما
حَيِّ يا مَشرِقُ أُسطولَ الأُلى ... ضَرَبوا الدَهرَ بِسَوطٍ فَاِستَقاما
مَلَكوا البَرَّ فَلَمّا لَم يَسَع ... مَجدَهُم نالوا مِنَ البَحرِ المِراما
بِجَوارٍ مُنشَآتٍ كَالدُمى ... أَينَما سارَت صَبا البَحرُ وَهاما
كُلَّما أَوفَت عَلى أَمواجِهِ ... سَجَدَ المَوجُ خُشوعاً وَاِحتِشاما
كانَ بِالبَحرِ إِلَيها ظَمَأٌ ... وَعَجيبٌ يَشتَكي البَحرُ الأُواما
فَهيَ في السِلمِ جَوارٍ تُجتَلى ... تَبهَرُ العَينَ رُواءً وَنِظاما
وَهيَ في الحَربِ قَضاءٌ سابِحٌ ... يَدَعُ الحِصنَ تِلالاً وَرِجاما

[233] نُشرت هذه القصيدة في الأول من سبتمبر سنة 1908
[234] ديوان حافظ، ص 376- 377

تفاصيل كثيرة عن الأسطول العثماني؛ قوته وبأسه ودوره في حماية ثغور الدولة والدفاع عن السواحل العثمانية الممتدة. لكن العين الفاحصة المدققة تلاحظ نقطة مهمة في وصفه ذاك، ألا وهي أنه وصفٌ عامٌّ يصلح أن يُقال في كل أسطول، في كل زمان وفي كل مكان. فلا ترى تفاصيل دقيقة ولا تقرأ إشارات وعلامات في الأسطول تدلّ على رؤية حافظ له. فهو -كما أسلفنا – وصفٌ بالأذن، لا وصفٌ بالعين. لكن شاعرية حافظ وموهبته وقدراته اللغوية الفائقة تصرف أنظار السامعين بمهارة عن التفاصيل، وتُغرقهم في موجات من الانفعال والحماسة العاطفية الشعورية القوية

## المبحث الرابع: وصف المعالم التركية:.

بادئ ذي بدء يجب أن نشير في هذا المبحث إلى نقطتين مهمتين، قد تم التنويه عنهما من قبل، لكن التأكيد عليهما واجب في هذا المقام:

أولاً: لم يكن حافظ إبراهيم وصّافةً (يجيد الوصف) كأحمد شوقي. وما تفوّق حافظ إلا في فنين اثنين من فنون الشعر:

فأولهما: الرثاء، فقد كان "حافظ يرثي لأنه يحزن، وكان يحزن لأنه يحب، وكان يحب لأن الله قد وهبه نفسًا رضية مؤثرة لم تبرأ من شيء قط كما برئت من الأثَرة، وكما برئت من الضغينة والحقد ..... فكان إذا رثى علَمًا من أعلام مصر كأنما يرثي نفسه أولاً، وكأنما يرثي أمته ثانيًا"[235] وقد وصلت درجة إتقان حافظ إبراهيم لفن النثر أنْ "كان شوقي يرجو –كما قال – أن يرثيه حافظ"[236]

[235] حافظ وشوقي، طه حسين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ص 142

[236] المصدر السابق، ص 160، وذلك في إشارة إلى قول شوقي في مطلع رثائه لحافظ: قد كنت أوثر أن تقول رثائي ... يا منصف الموتى من الأحياء.

وثانيهما: وصف الكوارث: كانت نفس حافظ شديدة الحساسية لكل ما يصيب الشعب وكل ما يُلمّ بالناس " فليس غريبًا أن تقع الكوارث من نفسه أشدّ وقْع. وأن تثير فيها عواطف لذّاعةً من الألم والحسرة "[237] وقد كان حافظ إبراهيم من الشعب وشعره كان من الشعب وإلى الشعب، وكان خير متحدث بلسان المصريين وخير معبّر عن آمالهم وآلامهم. وقد كانت لحافظ قدرة عجيبة على التأثير في مستمعيه وتهييج جمهور متلقي شعره، فقد حبا الله حافظًا بالقدرة " على إثارة الانفعال بما يمتلك من عاطفة مشبوبة، ومن هدير الخواطر المتدفقة"[238]

أما الوصف فلا، لم يكن يبزّ شوقي في ميدان الوصف أبدًا. وقد "تطرق شوقي إلى كثير من الأغراض الشعرية، لكنه برع في فن الوصف"[239] وكانت لذلك أسباب تعود إلى فطرة شوقي وشخصيته وثقافته، فقد كان شوقي "أنفذ إلى معاني الشعر وإلى دقائقه الصغيرة من حافظ ، وليس في ذلك شيء من الإرادة، فقد أُتيح لشوقي من وسائل النمو الذهني ورقي الذهن ودقة الحس ما لم يُتَح لحافظ"[240]

إذًا فقد وهب الله شوقي القدرةَ على رؤية التفاصيل الدقيقة في المشاهد التي تمر أمام عينيه، ومن ثَم يستخدم أدواته اللغوية اللانهائية مع طاقته الشعرية الجبارة ليصوغ لنا لوحات شعرية تصويرية بزّ بها أقرانه من الشعراء، وناطح بها الفحول الأقدمين.

ومن هنا كان وصف حافظ للمدن والأماكن والمعالم أقلّ من وصف شوقي كثيرًا، في الكم والكيف. ففي ديوان حافظ تحتل القصائد الوصفية مكانًا ضيّقًا صغيرًا، مقارنةً بأشعاره الإسلامية أو

---

[237] السابق نفسه، ص 141

[238] البديع في شعر شوقي، منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط2، 1992،ص 42

[239] دراسة مقارنة بين الشاعرين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، عبد الرحمن حسن سدي مرسال، رسالة دكتوراه، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2017، ص 222

[240] تقليد وتجديد، طه حسين، ص55

الوطنية. كما تشعر أن وصفياته تنقصها التفاصيل الدقيقة، وذلك أنه لم ير ولم يشاهد، بل سمع أو قرأ فقط. وشتان شتان بين من سمع ومن رأى، وبين من قرأ عن الشيء ومن عاينه رأي العين.

## 1- اسطنبول:.

وإذا نظرنا إلى وصف حافظ للمدن التركية في ديوانه نرى النزر اليسير، أبياتًا معدوداتٍ لا تروي غليل الظمآن لمشاهدة تلك المدن البعيدة من خلال شعر حافظ وقدرته على التصوير. فحين يذكر اسطنبول لا يذكرها إلا بالاسم فقط، بلا وصف ولا تصوير، فيقول:[241]

هَذا يَطيرُ إِلى فَروقَ وَمَن بِها شَوقاً وَذاكَ إِلى رُبى لُبنانِ

وكما سبق أن عرفنا من شعر شوقي فإن فروق اسم يُطلق على اسطنبول، فهي تفرق بين البر والبحر. وهذا شيء يعرفه العامّة والخاصّة، ولم يأت حافظ بجديد بمجرد ذكر الاسم، فهو لم يصف، ولم يصور، ولم يقدم لنا لوحة فنية تصويرية تعيننا على تخيل المدينة الساحرة. وعندما يتوجه بالتحية لها يكتفي بالكناية عنها فقط، فيقول:[242]

مِنّي على دارِ السلامِ تحيةٌ وعلى الخليفةِ مِن بَنِي عثمانِ

وعلى الرغم من جمال تلك الكناية التي تنزل اسطنبول منزلة الجنة، فإنها تبقى مجرد كناية، ليس بها من مناظر، ولا وصف ولا رسم فني.

## 2- قصر يلدز:.

وكما كان ذكر اسطنبول خافتًا في ديوان حافظ، جاء ذكر قصر يلدز باهتًا. وقصر يلدز الذي يُعد أهم معالم اسطنبول، وأول ما يتوارد إلى الذهن حين تُذكر حاضرة الخلافة، وكيف لا؟ وهو مقرّ

---

[241] ديوان حافظ، ص 47
[242] المصدر السابق، ص 49

إقامة الخليفة ومركز دولة الخلافة كلها. فلا يذكره بنفسه، ولا يصف جماله وسحر حدائقه، بل يشير إليه إشارةً تسيء إلى سابق مكانته الجليلة ومنزلته العظيمة بوصفه مقر إقامة الخليفة، فيقول:[243]

هُنالِكَ فَاِنهَل وَاِتَّخِذ ثَمَّ مَربَطاً بِيَلدِزَ وَاِحمَد في الوَغى مَن تُصاحِبُه [244]

فهو يحث مَن قاموا بالانقلاب العثماني وخلعوا السلطان عبد الحميد على أن يتمّوا ما بدأوه من عمل، بأن يصلوا إلى مقر إقامة السلطان عبد الحميد في قصر يلدز، فيتخذوه مربطًا لخيولهم. وليس في هذا وصف ولا وصف ولو بالسلب.

ويتابع حافظ ويذكر قصر يلدز في معرض ذكره لحادثة الانقلاب وخلع السلطان عبد الحميد فيقول:[245]

فَمَن لَم يُشاهِد يَلدِزاً بَعدَ رَبِّها وَقَد زالَ عَنهُ المُلكُ وَاِندَكَّ جانِبُه

.....

فَما شَهِدَ الدُنيا تَزولُ وَلا رَأى بَلاءَ قَضاءِ اللهِ فيمَـــــن يُحارِبُه

نرى حافظ يقدم لنا صورةً ومثلاً على قضاء الله النازل بالظالمين، وصورة عقاب الله للمذنبين، بحال قصر يلدز بعد زوال مُلك السلطان عبد الحميد عنه، وكأن يلدز أصبح عبرةً ومثلاً لكل ظالم. ولن نجادل حافظًا في مفردات تلك الصورة، ولن نناقشه في إشاراته المسيئة للسلطان عبد الحميد وقصر الخلافة، فلسنا هنا في معرض مناقشة الشاعر في أفكاره أو آرائه السياسية، فهذا له مقام آخر. إنما يهمنا هنا كيفية تناوُله لصورة ذلك المعلم الأثري التاريخي المهم.

---

[243] المصدر السابق، ص 363
[244] انهل: اشرب، الوغى: الحرب
[245] ديوان حافظ، ص 364

وفي القصيدة نفسها يعود حافظ لذكر قصر يلدز قائلاً:[246]

وَأَخرَجَهُ مِن يَلدِزٍ رَبُّ يَلدِزٍ وَجَرَّدَهُ مِن سَيفِ عُثمانَ واهِبُه

وهنا لا يتكلم حافظ إبراهيم عن قصر يلدز أيضا، بل يستخدمه للتعريض بالسلطان عبد الحميد والسخرية منه بعد خلعه من السلطنة. فهو يتحدث بأن ربّ يلدز الجديد – مُنفذ الانقلاب – قد أخرج رب يلدز القديم – السلطان عبد الحميد – بل وجرّده من رمز الخلافة وهو سيف جده عثمان. أسلوب ساخر قاسٍ غاية القسوة. استخدم فيه حافظ أعزّ ما في السلطنة ليستهزئ بالسلطان.

الخلاصة في هذا المبحث –كسابقه – أن حافظًا لا يصف المعالم أو الأماكن كصنوه شوقي، بل كان يمرّ عليها مرور الكرام، مستخدِمًا إياها في معرض توضيح وبيان مسألة أخرى بعيدة عن الوصف والتصوير.

## 3– البسفور:.

القاعدة نفسها التي أرسيناها في مستهل الحديث عن شعر حافظ الوصفي، نكررها هنا؛ حافظ لم ينجح في تناول الآثار التركية بالوصف التفصيلي أو بالصورة الفنية البلاغية المعبّرة. بل كان ذكره لتلك الآثار كمرور الكرام، بأن يذكر الاسم لا الرسم، يشير من بعيد ولا يقترب لنرى من خلال وصفه التفاصيل. وهذا حال مَن يرسم شيئًا لم يره أبدًا ولم يطّلع على دقائقه مطلقًا. وليس هذا بعيب في حق حافظ إبراهيم ومقدرته الفنية الشعرية، لكنها ظروفه الاجتماعية والاقتصادية التي حالت دون زيارة اسطنبول والوقوف على آثارها ومعالمها بعيني رأسه.

---

[246] المصدر السابق، 365

نقول هذا لنستهل وصف حافظ للبسفور، والبسفور هو قبلة السائحين العاشقين لاسطنبول، المولَعين بسحرها وجمالها. فهو ذلك الفاصل المائي الضيق الذي يفصل بين قارتي آسيا وأوربا، فكأنه يفصل بين عالمين، أو يصل بينهما، كلاهما جائز ومعتبَر.

وحين يأتي حافظ على ذكر البسفور نجده يقول:[247]

أُسودٌ عَلى البُسفورِ تَحمي عَرينَها وَتَرعى نِيامَ الشَرقِ وَالغَربُ يَرقُبُ

وحافظ يقدم لنا هنا صورة للجنود لا صورة للبسفور، فالبسفور ليس في بؤرة الصورة ومركز الحدث، بل هو مجرد خلفية للصورة الرئيسية. خلفية ستمر سريعًا من عقل المتلقي ولا يبقى لها أثر. فهي مجرد جسر إلى هدفه الرئيسي فقط.

وعلى المنوال نفسه يسير حافظ في بيت له آخر في مطلع قصيدة له بعنوان " تحية الأسطول العثماني" فيقول:[248]

بِالَّذي أَجراكِ يا ريحَ الخُزامى بَلِّغي البُسفورَ عَن مِصرَ السَلاما [249]

فقد كنّى حافظ عن اسطنبول بالبسفور، وعن مصر بالنيل، فيُقسم على ريح الخزامى أن تبلغ السلام من مصر لاسطنبول. كناية لطيفة، لكنها في معرض الوصف لا تُسمن ولا تُغْني من جوع.

ويقول أيضًا:[250]

أَيُّها الحائِرُ في البَحرِ اِقتَرِب مِن حِمى البُسفورِ إِن كُنتَ هُماما

---

[247] المصدر السابق، ص 331
[248] المصدر السابق، ص 376
[249] الخزامى: نبات عطري زهره من أطيب الأزهار نفحةً.
[250] ديوان حافظ، ص 383

تهديد ووعيد لمن يجرؤ ويقترب مهاجمًا سواحل اسطنبول وشواطئها المنيعة القوية، التي يقف دونها الأسطول العثماني القوي. صورة حربٍ، ومدح أسطولٍ، وتهديد عدوٍّ. وما زال البسفور خلف الصورة يقف باهتًا خافتًا، ليس له تأثير أو حضور فاعل.

وعندما يمدح حافظ إبراهيم عزيمة وبطولة أول طيار عثماني، يحاول السفر من اسطنبول إلى مصر بطائرة وهو الطيار فتحي بك، نجده يشدو قائلاً:[251]

أهلاً بأوّلِ مُسلمٍ في المشرِقيْن عَلا وطَار
النّيلُ والبِسفُورُ فِيـ لكَ تَجَاذبا ذَيْلَ الفَخَار

وكما سبق – قبل قليل – فذكر البسفور هنا كناية عن اسطنبول فقط .

ولا نريد الإسهاب في تلك النقطة بلا جديد، ولا نريد التكرار بلا فائدة. فسمة حافظ في مسألة وصف المدن والمعالم هي الإشارة العابرة ومن بعيد، حيث تكون الرؤية خافتة، والتفاصيل الدقيقة غائبة عن المشهد وعن اللوحة الفنية، والمتلقي لا يرى الصورة بل يشاهد لمحة خاطفة لا تكفي ولا تُغني, ذلك هو وصف حافظ للآثار التركية وذكره إياها.

## 4- أيا صوفيا:.

في أعقاب الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية، اقتربت جيوش الحلفاء من مدينة اسطنبول، واحتلت تخومها، وكادت تلك الجيوش أن تملك المدينة العظيمة وتحتلها احتلالاً كاملاً. وتلك كانت من أكبر المآسي التي حلّت بدولة آل عثمان في تلك الحقبة التاريخية المظلمة، فحاضرة خلافتهم توشك أن تسقط بين أيدي الصليبيين، وصارت دولتهم ألعوبة بين أيدي الحلفاء المتآمرين على مستقبل الخلافة. لكن ثمة أمر آخر كان يشغل بال شاعر النيل في خضم تلك الأحداث المتلاحقة اللاهثة، وهو

[251] السابق نفسه، ص 390

مصير أيا صوفيا، المسجد الأعظم في عاصمة الخلافة، ورمز الفتح العثماني العظيم لعاصمة الدولة البيزنطية وإسقاطها إلى الأبد، وتحويل مركز الأرثوذكسية في العالم القديم إلى مسجد. قيمة وأي قيمة، أهمية وأي أهمية تلك التي نالها مسجد أيا صوفيا. لكنه الآن على وشك الوقوع بين أيدي الصليبيين، فماذا يا تُرى سيفعلون به؟ هل سيُعيدونه إلى كنيسة مثلما كان قبل فتح اسطنبول؟! تلك ستكون البليَّة الكبرى والكارثة العظمى التي قد تحلّ بالإسلام والمسلمين.

ولقد استبق حافظ الأحداث، فتخيل هذا المشهد القاتم، ورسم تلك الصورة المظلمة المخيفة فقال مخاطبًا أيا صوفيا:[252]

أَيا صوفِيا حانَ التَفَرُّقُ فَاذكُري ... عُهودَ كِرامٍ فيكِ صَلّوا وَسَلَّموا

إِذا عُدتِ يَوماً لِلصَليبِ وَأَهلِهِ ... وَحَلّى نَواحيكِ المَسيحُ وَمَريَمُ

وَدُقَّت نَواقيسٌ وَقامَ مُزَمِّر ... مِنَ الرومِ في مِحرابِهِ يَتَرَنَّمُ

فَلا تُنكِري عَهدَ المآذِنِ إِنَّهُ ... عَلى اللَهِ مِن عَهدِ النَواقيسِ أَكرَمُ

تَبارَكتَ بَيتُ القُدسِ جَذلانُ آمِنٌ ... وَلا يَأمَنُ البَيتُ العَتيقُ المُحَرَّمُ

أَيُرضيكَ أَن تَغشى سَنابِكُ خَيلِهِم ... حِماكَ وَأَن يُمنى الحَطيمُ وَزَمزَمُ

وَكَيفَ يَذِلُّ المُسلِمونَ وَبَينَهُم ... كِتابُكَ يُتلى كُلَّ يَومٍ وَيُكرَمُ

نَبِيُّكَ مَحزونٌ وَبَيتُكَ مُطرِقٌ ... حَياءً وَأَنصارُ الحَقيقَةِ نُوَّمُ

عَصَينا وَخالَفنا فَعاقَبتَ عادِلاً ... وَحَكَّمتَ فينا اليَومَ مَن لَيسَ يَرحَمُ

وقد سبقت الإشارة في المباحث السابقة إلى فقر شعر حافظ حين يتعرض للحديث عن معالم اسطنبول وأماكنها المشهورة. لكنه هنا وفي معرض بكائه على أيا صوفيا إذا وقع بين أيدي الصليبيين، قد أبدى مهارة فنية ومقدرة شعرية كبيرة، إذ أنه قد هرب وأفلت من وصف ما هو كائن – وهو مجهول

[252] ديوان حافظ، ص 402

له كما سلف ووضحنا، إلى وصف ما قد يكون، وهذا خيال يستوي فيه حافظ مع شوقي وغيرهما. فأيا صوفيا حتى ذلك الحين كان بأيدي المسلمين، وما زال مسجدًا تُقام فيه الصلوات والشعائر الدينية الإسلامية. ولكنه الخوف على مستقبل المسجد العظيم وما قد يحدث له في المستقبل القريب هو الذي دفع حافظ إبراهيم إلى رسم صورة مستقبلية للمسجد حال تحويله إلى كنيسة على أيدي الحلفاء الصليبيين. وهنا – هنا فقط – بدأ حافظ يرسم صورة لها أجزاء وبها تفاصيل. فالمسجد إذا حُوّل إلى كنيسة ستُرسم فيه صورٌ مزعومة للمسيح عيسى عليه السلام وأمه العذراء مريم، وستدق أعلاه الأجراس، وسيقوم فيه المزمّرون والمترنّمون من النصارى المتعبدين، ثم يرسم صورة لأيا صوفيا وقد دِيس بسنابك خيل الصليبين ودُنّس بنجسهم، والنبي الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم حزين والبيت الحرام قد أطرق رأسه حياءً وحزنًا. صورة حزينة كئيبة، لكنها مرسومة بمهارة ودقة للمرة الأولى، ربما لأنها لا تحتاج من حافظ إلى رؤيتها بالعين، بل فقط تخيُّلها بالحس والقلب.

# الفصل الثالث

## مقارنة فنية بين حافظ وشوقي

لقد كان الثلث الأخير من القرن التاسع عشر بداية النهضة الحديثة في الشعر العربي، بعد عصور من التدهور والانحطاط والركاكة في العصر العثماني. وكان من حسن الطالع أن جاءت هذه النهضة على يد شاعرين فحلين كبيرين من أفضل من أنجبت لغة الضاد من شعراء. وقد جاء شاعرانا إلى الدنيا والفارق بينهما يُقدّر بالعامين فقط، فقد وُلد شوقي سنة 1869م، بينما وُلد حافظ سنة 1872م. بينما قد غادرا دنيانا في السنة نفسها فـ" في أقل من ثلاثة أشهر فقدت مصر لسانيها الناطقين، وفقد الشرق العربي شاعريه العظيمين حافظًا وشوقي"[253]

وبين الميلاد والوفاة أحدث الشاعران ثورة في الأدب العربي، ثورةً نقلته من حالة الركود والضعف إلى عالم التجديد والقوة والفخامة في الأسلوب والخيال والأغراض. فالموهبة الشعرية التي تمتع بها شوقي وحافظ كانت من القوة والحضور بحيث كانت القاطرة التي سحبت الحياة الأدبية المصرية والعربية من أفق الجمود والتقليد، إلى آفاق أخرى من الصنعة الفنية أوسع وأرحب.

وقد التقى الشاعران في نقاط واختلفا في نقاط أخرى، كان بينهما تشابه كبير في الفن والذوق، واختلاف كبير أيضا في الثقافة والظروف التي مهدت لشاعريتهما." وإذا حاولنا شيئًا من الموازنة بين حافظ وشوقي فليس من شك في أن شوقي قد كان أعمق ثقافة من حافظ، وليس من شك في أن شوقي كان أخصب ذهنًا وأذكى قلبًا وأنفذ إلى معاني الشعر وإلى دقائقه من حافظ، وليس في ذلك شيء من الإرادة، فقد أُتيح لشوقي من وسائل النمو الذهني رقي الذهن ودقة الحس ما لم يُتَح لحافظ"[254] وكما كان الفرق بين جرير والفرزدق في العصر الأموي، كان الفرق نفسه موجودًا بين حافظ وشوقي في العصر الحديث، فيمكن القول إن شوقي كان يغرف من بحر وحافظ ينحت من صخر "

[253] حافظ وشوقي، طه حسين، ص 160
[254] تقليد وتجديد، طه حسين، ص 55

وحافظ يتحمل من بناء القصيدة رهقًا شديدًا، لأنه بلّدها فكرةً فكرةً، ويبضّ بها قطرة قطرة، ويتصيد المعاني فيقيدها في مفردات أو في مقطوعات ..... ثم أخطر ببالك بعد ذلك شوقي، تجده غير محدود بالصنعة ولا مقيد بالشكل، إنما هو فيض يسخر بالحدود، ونور ينفذ من الستور، وإلهام يتصل باللانهاية"[255]

ويمكننا البناء على هذا القول بأن نضم شوقي إلى فريق من الشعراء العباقرة زعيمهم المتنبي، ثم نضم حافظ إلى فريق آخر من أصحاب الحس والانفعال يتزعمه أبو نواس. "فشوقي شاعر العبقرية وحافظ شاعر القريحة. وتقرير الفرق بين الموهبتين هو تقرير الفرق بين الرجلين، فالقريحة ملكة يملك صاحبها الإبانة عن نفسه بأسلوب يقره الفن ويرضاه الذوق. ومن خصائصها الوضوح والاتساق والأناقة والسهولة والطبيعة والدقة. أما العبقرية فضرب من الإلهام يستمر استمرارًا تجدديًا فتلازم أحيانًا وتنفك حينًا. ومن أخص صفاتها الأصالة والإبداع والخلق"[256]

في شعر حافظ سهولة وحس ووضوح، فشعره نابع من حس مرهف وقلب نابض بحب الناس وانفعالاً بأحداث الحياة انفعالاً فطريًا لا تكلّف فيه. أمّا شوقي فصاحب الموهبة العبقرية الفخمة الضخمة، فيتسم شعره بالأصالة النابعة من اتصال وثيق بالموروث الشعري العربي القديم، كما يتسم بالإبداع الذي مهّد له اطلاعه على الثقافة واالآداب الأوربية الحديثة بحكم النشأة والتعليم.

فنحن أمام شاعرين، شاعر يملك الحس والذوق المرهف والقدرة على التفاعل اللحظي مع الحدث وهذا يمثله حافظ، وشاعر يملك العبقرية الفذة والموهبة الفطرية الخارقة إلى جانب روافد ثقافية لا

[255] ذكرى الشاعرين شاعر النيل وأمير الشعراء، القسم الثاني، أحمد عبيد، ص 682
[256] ذكرى الشاعرين، شاعر النيل وأمير الشعراء، القسم الثاني، ص 680

محدودة وهذا يمثله شوقي. وقد امتلك الاثنان أدوات اللغة كلها من ألفاظ وتراكيب وصور متجددة، وقدرا على تطويع تلك الأدوات بما يخدم التجربة الشعرية لكل منهما.

ولم تأت عبقرية شوقي وحس حافظ المرهف من فراغ، بل قدمت له وهيأته ظروف بيئية وظروف اجتماعية شكلت البوتقة التي انسبك فيها شعرهما، لأن" تربية الرجلين مختلفة وبيئتهما مختلفة، والظروف التي أحاطت بهما مختلفة أشد الاختلاف... فحافظ رجل نشأ نشأة شعبية خالصة هي إلى الفقر أقرب منها إلى الغنى، وهي إلى سذاجة الحياة المصرية الصرفة أقرب منها إلى التعقيد الذي ينشأ في مصر"[257] أما شوقي فكانت ظروفه ونشأته على العكس من ذلك تمامًا " فقد حظي منذ نعومة أظافره برضى الخديوي ونعيمه، الأمر الذي كان له عظيم الأثر في أعماله الأدبية"[258]

فقد بدأت الفروق بين الشاعرين إذاً من لحظة الميلاد، ومن ظروف النشأة والتربية، ومن الروافد الثقافية – العربية والأجنبية – التي أتيحت لكل منهما.

ثم كبر الشاعران، واختلفت معهما البيئة التي عملا وتعاملا معها؛ فشوقي ظل ملتصقًا بالبلاط، في معيّة الخديوي، وأضحى المتحدث الرسمي بلسان الخديوي. لسانه لسان القصر، ورأيه نابع من رأي رجالات الحكم والسلطان. شعره مُوّجه لأغراض محددة، بعيدة نسبيًا عن الشعب وأفراد الشعب. فجاء هذا الشعر به من فخامة القصر وأبهة السلطة الكثير. وحفل ديوانه بالمدائح والوصفيات التي تنبئ بشاعر من الطبقة العليا وإلى الطبقة العليا.

أما حافظ، فبقي بين أفراد الشعب، فقيرًا أحيانًا، ومتوسط الحال أحيانًا، لكنه لم يصل أبدًا إلى الطبقة العليا الأرستقراطية التي كان يصبو أن ينتمي إليها يومًا. ولعل ذلك ما جعل في شعره ميلاً إلى

---

[257] تقليد وتجديد، طه حسين، ص 55

[258] أحمد شوقي دراسة في أعماله الروائية، أصيل عبد الوهاب يوسف عطعوط، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية بنابلس فلسطين، 2010 ، ص7

الشكوى والتبرم من الحياة، وملأ ذلك الشعر بنغمة الحزن والأنين والحسرة. وبرع أيما براعة في الرثاء القائم على الحزن والألم، ووصف الكوارث المعتمد على تمثُّل آلام الشعب وأوجاعه.

ثم إن أحمد شوقي قد قُدّر له السفر إلى أوربا؛ إلى فرنسا وأسبانيا وتركيا، فأتقن اللغة العربية والتركية والفرنسية وعرف قدرًا لا بأس به من الأسبانية. واطّلع على الكثير والكثير من الأعمال الأدبية لكبار الأدباء الغربيين، وتأثر بهم تأثرًا ظهر جليا في شعره، مثلما نرى من تأثره بشكسبير وفولتير وموليير. كما كانت فترة النفي في أسبانيا أشبه بخلوة أو عزلة، أتى فيها على التراث الأدبي العربي كله، حفظًا وفهمًا وتمثُّلاً، حتى تكونت لديه ثقافة هي مزيج من ثقافتين، عربية تليدة أصيلة، وغربية جديدة طريفة.

أما حافظ فلم يسافر خارج مصر إلا مرة واحدة، بل ظل الابن البار بوطنه حقيقةً ومجازًا. فهو لم يفارق أرض مصر ولم يلتقِ بثقافات أخرى غير ثقافتها إلا بعد أن تشكلت هويته الأدبية وثبتت. غير أنه تعلم الفرنسية بعدما كبر. فكانت ثقافته نابعة من التراث العربي القديم ولا غير، مشوب بها القليل جدًا من الثقافة الفرنسية.

تلك الثقافات كان لها أكبر الأثر في شعر العلَميْن الكبيرين، فشوقي كان مجددًا محافظًا، أي أن التجديد كان الغالب على شعره في قالب من التقاليد المحافظة. فنزع إلى ابتكار فنون شعرية جديدة ما ألِفها الأدب العربي من قبل، فخاض غمار المسرح الشعري، وبرع فيه كبراعته في فنون الشعر التقليدية وأغراضه القديمة المعتادة.

أما حافظ فكان اسمًا على مسمى، كان محافظًا في أغراضه، وفي أفكاره، وظل وفيًا للشكل الكلاسيكي القديم ومخلصًا للتقاليد والأعراف الفنية التي درج عليها الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي.

# نتائج البحث

بعدما استعرضنا في هذا البحث الآثار التركية عند أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، ورأينا تناوُل كلٍّ منهما لتلك الآثار، وقمنا بتسجيل بعض الملامح الفنية والموضوعية والأسلوبية التي امتاز بها كل منهما على حدة، يمكننا الخروج ببعض النتائج التي يمكن سردها في نقاط محددة:

أولاً: أثبت أحمد شوقي أنه أعلى منزلة وأرفع مكانة من حافظ إبراهيم في ميدان الوصف. وقد اكتسب أحمد شوقي قدرته الفذة على الوصف بسبب عوامل شتى، بعضها فطري ذاتي، وبعضها الآخر خارجي مكتَسب. فالعوامل الذاتية تتمثل في قدرة شخصية حباه الله إياها مكّنته من ملاحظة التفاصيل الدقيقة في الأشياء، ثم الربط بينها بروابط جديدة بديعة غير مسبوقة، ثم القدرة على التعبير عن الصورة الكاملة في شكل فخم ضخم. والعوامل الخارجية تتمثل في ظروفه التي ساعدته على رؤية بلاد ومدن ومناظر لم يُقدّر لقرينه مشاهدتها والاطلاع عليها. فزيارة اسطنبول وفرنسا وأسبانيا وفّرت لشوقي مخزونًا ضخمًا من اللوحات الفنية والصور التعبيرية التي ظل ينهل منها متى شاء وكيفما تراءى له.

ثانيًا: الآثار التركية المكانية في شعر حافظ كانت خافتة باهتة، لم تكن في مركز الصورة كما هو الحال في شعر شوقي. بل كانت مجرد ظِلّ وخلفية للحدث الرئيسي. وربما قد فطن حافظ إلى هذه الحقيقة فأخذ يغطي على ذلك بفيض كبير من المشاعر والأحاسيس العميقة الصادقة، التي كانت تُلهب حماس الجمهور وتأسر لُبّهم. فتشغلهم عن الانتباه إلى غياب الوصف الدقيق للآثار التي يتناولها حافظ. لكن العين الناقدة المحللة لا تغيب عنها تلك الحقيقة أبدًا.

ثالثًا: كانت مدائح شوقي عامةً ومدائحه في الخلفاء خاصةً تتميز بالجزالة والفخامة والعظمة، بشكل يليق بشاعر وُلد ونشأ وعاش حياته كلها متنقلاً بين قصور السلاطين والأمراء والحكام، حتى انطبعت نفسه بتلك العظمة والفخامة. فكانت القصيدة المدحية لدى شوقي تشبه قصرًا مزخرفًا، أركانه راسخة، وحوائطه سامقة، وحليته زاهرة براقة. وكانت لدى شوقي نزعة دينية واضحة، وحب للرموز الإسلامية كالخليفة ومقام الخلافة، ويُقوّي تلك النزعة الدينية حب فطري في أعماقه للخليفة الذي يشترك مع شوقي في العرق والدماء التركية التي تجري في عروقهما.

رابعًا: كانت مدائح حافظ في الخلفاء متماشية مع نظرته للخليفة والخلافة. فحافظٌ مسلم محافظ أشد ما تكون المحافظة مع نزعة فيه إلى الحرية الشخصية. فكان يُجلّ مقام الخليفة كل الإجلال، ويقدسه أيما تقديس، فهو خليفة الله في الأرض، والرباط الوثيق الذي يجمع كل مسلمي العالم. وقد كان حافظ منتميًا بشدة إلى دينه وأمته الإسلامية الكبيرة. لكن ذلك الانتماء كان يقابله انتماء آخر إلى وطنه مصر وإلى قوميته العربية.

خامسًا: الحياة العسكرية التي عاشها حافظ أعطته القدرة على تصوير الحروب والمعارك كأنك تراها. أضف إلى ذلك الحماسة والانفعال المطبوع عليه حافظ، جعل قصائده الحماسية في المعارك والحروب لوحات فنية رائعة. أما شوقي – ربيب القصر المترف المنَعّم – فقد عوّض عدم معرفته بالحياة العسكرية مباشرةً، بقدرة إعجازية على التخيل والتمثُّل والوصف. فتساوت الكفتان في النهاية ولم يرجح أحدهما على الآخر.

## التوصيات

1- فتح المجال أمام الدراسات التحليلية في الجامعات التركية وعدم الاكتفاء بالدراسات الوصفية فقط.

2- الاهتمام بالدراسات المقارنة التي تجمع الثقافتين العربية والتركية، فذلك النوع من الدراسات يمثل شغفًا كبيرًا لدى الباحثين الأتراك أو العرب المقيمين بتركيا، لأنها تمثل تحديًا علميًا أدبيًا من نوع خاص.

3- تشجيع الطلاب والباحثين الأتراك على استخدام النظريات الأدبية والنقدية الحديثةفي أبحاثهم العلمية، وإطلاعهم على الجديد في حقل الدراسات الأدبية والنقدية.

4- إدراج تاريخ الأدب العربي في مختلف عصوره مادةً دراسية أساسية في جميع كليات الآداب والشريعة (الإلهيات) والعلوم الإسلامية في الجامعات التركية، ليتعرف الطلاب على تاريخ الأدب ومدارسه ومذاهبه، مما يقوي صلتهم بلغة القرآن.

5-إدراج النقد الأدبي بمدارسه القديمة والحديثة مادةً دراسيةً لطلاب الدراسات العليا، والإفادة منها في أطروحات التخصص والعالمية.

6- التوسع في الدراسات الأكاديمية التي تتناول الآثار التركية في الأدب العربي، والآثار العربية في الأدب التركي.

7- توجيه الباحثين الأتراك إلى استخدام مناهج نقدية كالمنهج التحليلي أو المنهج المقارن أو المنهج الأسلوبي، وعدم الاكتفاء بالمنهج الوصفي المسيطر على الدراسات الأكاديمية في تركيا بشكل كبير.

# TÜRKÇE ÖZET-8

Allah Mısır'a on dokuzuncu yüzyılın sonunda, yirminci yüzyılın başında edebiyat ve şiir alanında Mısır'ın yetiştirdiği şairlerin en iyisi sayılan iki büyük şair bahşetti. Onlar modern çağda şiirin öncüleri olan; şairlerin piri Ahmet Şevki ve Nil'in şairi Hafız İbrahimdir. Bu iki şairin aynı dönemde bulunması eşsiz bir tesadüftür. Bu tesadüf birkaç sebebin bir araya gelmesiyle olmuş ve nadiren tekrarlanan edebi ve şiirsel bir destan oluşturmuştur.

Bu sebeplerden bazıları şunlardır;

-Ber iki şair de şiir kahramanlarından birer kahraman, belagat ve fesahat önderlerinden birer önder sayılmaktadır. Eyyübiler döneminin sonundan beri Arap şiiri meydanına Ahmet Şevki ve Hafız İbrahim kadar yetenekli ve onların yüksek konumunda olan birisi gelmedi.

-İki şair yarış atı gibi yada aynı arenadaki iki rakip gibiydiler. Biri bir alanda öne geçer geçmez diğeri ona yetişirdi. Onlardan biri ancak diğeriyle anılırdı.Aralarında çözülmeyen bir bağ olan iki dost oldular.

-En önemli sebep ise, iki şairinde anne veya baba tarafından Türk asıllı olmasıdır.Türk kanı onların damarlarında birlikte akar. Osmanlı Devleti, İstanbul'daki hilafet ve Türk ırkı, bütün bunlar iki şairin ilgilendiği, şiirlerini etkileyen ve divanlarında hatırı sayılır bir yer tutan konulardır.

İki şairin bulunduğu dönem edebi açıdan son derece zayıf bir dönemdi. Arap şiiri daha önce benzerine şahit olmadığı bir zayıflık ve yetersizlik merhalesinden geçiyordu. Bu dönem- on sekizinci ve on dokuzuncu yüzyıllar- Mısır askeri güçlerini kuvvetlendirme ve yapılandırma dönemiydi. Edebiyat devletin veya yöneticilerin dikkatini çekmiyordu. Ayrıca Osmanlı Devleti edebiyata ve edebiyatçılara çok önem vermeyen askeri savaş devletiydi. Şairler yöneticilerden ve onların taraftarlarından uzakta yaşadılar. Çünkü onlarda dikkat kesilen kulaklar, idrak eden kalpler, başarılı bir edebi kalkınma arzulayan ruhlar bulamadılar. Şiir konumunu yükseltecek ve otoritesini güçlendirecek kalkınma araçları bulamadı.Nitekim ülkelerin resmi dili

Türkçe olunca halkın üst tabakaları Türkçe öğrenmeye yönelip Arapça'dan yüz çevirdiler. Böylece Arapça zayıfladı, güçsüzleşti. Pek çok Türkçe ve argo kelimeler Arapça içinde yaygınlaştı. Fakat bu dönemde Arapça'nın çok zayıflamış olmasına rağmen yetenekli olan iyi şairlerden bazı örnekler buluyoruz. Bazı yöneticiler şiirin ve şairin değerini bilip onları meclislerine yaklaştırmışlardır. Sultan birinci Abbas'ın şairi olan Seyyid Derviş ve Sultan İsmail'in şairi olan Leysi gibi. Bu şairler yöneticilere methiyeler diziyor ve şiirlerinde onları övüyorlardı. Bu dönemde şairlerin çoğu kendisinden öncekilerin şiirini taklit ediyordu yaratıcılık yoktu. Edebi yada sanatsal anlam ifade etmeyen yapmacık söz sanatlarına ilgi çoğaldı. Şairler eskilerin kavramlarını tekrarlayarak ve onları bilinçsizce, duygusuzca ve heyecansız şekilde taklit ederek yaşadılar. Mecazi süslere yöneldiler ve sanki şiirin amacı bu süslermiş gibi onları çoğalttılar.

Bir sanat reformunu yada şiirsel yaratıcılığı haber veren bu bulutlu havada, şiire ihtişamını ve parlaklığını geri veren iki şair ortaya çıktı ve edebiyat hayatında yeniden ruhu ve hayatı yaymaya çalıştılar. Her iki şairde edebiyatta gerçek bir devrim yapabilecek yeteneğe sahipti; durgunluğa ve kör taklide karşı devrim. Her ikisi de onlara dili araçlarıyla ve kelimeleriyle modern çağın yeniliklerini sağlam, güçlü, yapmacık olmayan ve taklitten uzak bir üslupla ifade etmeye hazırlamalarına yardım eden soylu fasih dile hakimdi.

İki şairin kültürel kolları birbirine benzemektedir. Asil Arap Kültürü, görkemi asaleti ve gücüyle eski şiir ve fasih Arapça sözlüklerini ezberlemek onların içinde muazzam bir edebi ve şiirsel enerji oluşturdu. Daha sonra ise iki büyük şairin modern Avrupa edebiyatından haberdar olması ve edebi kültür kollarından önemli bir kolu oluşturan büyük yabancı şairlerden ince okumalar yapmaları geldi. Fakat iki şair arasındaki sosyal koşullar son derece farklıydı. Şairlerin emiri Ahmet Şevki sarayların çocuğuydu. Çocukluğundan beri hakimler ve önderler arasında yetişti.Lüks ve refahla dolu bir hayat yaşadı. Nil'in şairi Hafız İbrahim ise çocukluğundan beri yetimlerin hayatını tattı ve son derece zor ekonomik koşullarda yaşadı. Uzun süre aynı işte devam etmedi. Sosyal hayatında büyük sıkıntılara katlandı.

İki şairin sosyal ve ekonomik şartlarındaki bu büyük farkın şiirlerinde ve yaratıcılıklarında gözle görünür bir etkisi oldu. Halkın arasında yaşayan, onların acılarını hisseden ve onlarla aynı arzu ve beklentileri paylaşan Hafız İbrahim'in aksine Ahmet Şevki saray şairi, yönetim ve yönetici adına konuşan resmi sözcü oldu. Hafız'ın şiiri milli halk şiiri olurken Ahmet Şevki'nin şiiri resmi otorite şiiri oldu.

O dönemde Mısır özerkliğe ve Osmanlı hilafetinin gölgesinde kısmi bağımsızlığa sahipti. Mısır isim olarak Osmanlı halifesine bağlıydı.Osmanlı halifesinin müslümanların halifesi sıfatıyla tüm İslam aleminde manevi otoritesi vardı. Dini manevi bağlantı idi ve o dönemde en yüce söz onundu. İstanbul'daki halife ümmetin atan kalbiydi ve ümmetin parçalarını birbirine çekiyordu. Onun müslümanlarında içinde çok kutsal ve yüce bir yeri vardı. Ahmet Şevki ve Hafız İbrahim bu halkanın dışında değildi. Her ikisi de Osmanlı halifesine olan sadakati ve başkent İstanbul'daki hilafete olan bağlılığı en iyi ifade edenlerdi. Özellikle Ahmet Şevki'nin ortaya çıkmasının haliçten okyanusa kadar, Arap memleketlerinin halkları arasındaki güçlü propagandada güçlü bir etkisi oldu. Şevki'nin ünü yayıldı, şöhreti ufuklara uzandı, kasideleri bütün Arapça gazetelerin ilk sayfalarında çıkıyordu.

Arap halkları arasında Osmanlı Devleti'nin resmi sözcüsü oldu. Hafız ise ilk milli şair olurken, şiiri doğruluk ve samimiyetle nitelendi. Topluluklar (halklar) farklı milli, sosyal ve islami meselelerde hafızın tutumunu bekliyordu. Hafız halkın dili, halkın nabzı ve halkın şairiydi. İki üslup arasındaki fark ve amaçlar ve konulardaki uyum bundan kaynaklanıyordu. Ciddi, muhafazakar resmi üslup ve içten, derin milli üslup. Konularda halifeye övgü ya da ona yergi, hilafet ordusuna, ordunun cesaretine ve askerlerinin cesaretine övgü vardı. Şehirlerin ve oradaki meşhur yerlerin tasviri vardı. Her iki şairde fesahat gücünde ve belagat netliğinde zirveye ulaştılar. Eski Arap şiirini asaleti ve gücüyle, ondaki maneviyatı yeniden yaymak üzere diriltecek olan yeni şiir ekolünün simgesi oldular.

Edebiyat tarihinde bu şiirsel ikiliklerin pek çok örneği var. Cahiliye döneminde en-Nabigha ve Züheyr, Emeviler döneminde Cerir ve Ferezdak, Abbasiler döneminde Ebu Temmam ve Buhturi vardı. Modern çağa gelince ise Şevki ve Hafız var. Okuyucu ve eleştirmen onların Arap şiirin altın çağındaki büyük

şairlerin bir uzantısı olduğunu hisseder.

Ahmet şevki modern çağ şairlerinin emiri. Arap dünyasının farklı bölgelerinden şairlerin oluşturduğu büyük bir kalabalık tarafından onun emirliğine biat edilmiştir. Bu şairlerinde başında da Ahmet Şevki'ye biat ederek büyük kalabalığa katılan Hafız İbrahim gelir.şöyle der Hafız:

Kafiyelerin emirine biat ederek geldim.

İşte bu doğu heyetleri de benimle birlikte biat etti.

Şevki'nin edebi ve sanatsal konumu bu dereceye kadar ulaşmıştır. Şayet mütenebbi olmasaydı Ahmet Şevki Arapların en iyi şairi olurdu denmiştir. Şevki çağdaş şairlerden akranlarını geçmiş ve eski Arap şairlerinin büyükleriyle yarışır olmuştur.Hatta bazı eleştirmenler, "Ahmet Şevki bütün Arap şiiridir.Arap şiirinin geçmişi ve şimdiki zamanı, eskisi ve yenisidir, geleceği ise Allah'tan başka kimsenin bilemeyeceği bir bilinmezdir." diyecek noktaya gelmişlerdir.

Hafız İbrahim'e gelince o Nil'in şairi, vatanın şairi ve halkın şairidir. Onun bütün lakapları farklı sınıf ve çevreleriyle Mısır halkının içindeki konumuna işaret ediyor. Şevki methiye, tasvir etme, şiirsel tiyatro sanatlarında diğer şairlere- onlardan biri de Hafızdır- üstün gelmiş olsa da Hafız da iki sanatta, ağıt ve felaketleri tasvir etmede Şevki'yi geçmiştir. Bunun sırrı onun faciayı ruhunun derinliklerinde hissetmesi ve ilk hayatında zamanın sıkıntılarına ve günlerin acımasızlığına katlanmış olmasıdır.

Bu iki şair birlikte geçmiş edebi çağlardan herhangi birinde zamanın nadiren bahşettiği sanatsal ve edebi bir fenomen oluşturdu. Onları eşsiz kılan son derece özel bir durumları vardı. Bu özel durum ve eşsizlik şunlardan kaynaklanıyordu;

1- Her iki şairde Mısır vatandaşıydı. Çoğu kimsenin sahip olmadığı milli duygulara ve Mısır'a karşı coşkuya sahiptiler. Fakat ikisinin soyu da bilinen Türk köklerine uzanıyor ve damarlarında Türk kanı akıyordu.

2-Her iki şair de Osmanlı hilafetine karşı özellikle sultan 2. Abdülhamid'e karşı, hilafetin İslam aleminin farklı bölgelerindeki tüm müslümanların içlerindeki temsil ettiği dini değer ve manevi otoriteden dolayı benzersiz bir coşku hissediyordu.

3-İki büyük şair uzun süre sağlam ve güçlü bir arkadaşlık ilişkisi kurdu.Aralarındaki fesahat ve şiir alanındaki büyük yarışa rağmen arkadaşlıkları saf ve berrak olarak kaldı. Akranlar arasındaki olağan kıskançlık onların arkadaşlığının saflığını bulandırmayı ve değerini azaltmayı başaramadı.

4- İki arkadaş uyum içindeydi. Kana kana içtikleri kültürel kaynaklarda birbirlerine benzediler. Bu kültürel kaynak eski Arap şiiriydi. Bu pınar uzun süre başvurdukları, bütün duyguları, düşünceleri, hayalleri ve kişisel kanaatlerini aldıkları kaynak oldu.

5- İki arkadaşın sosyal ve ekonomik durumları birbirinden çok farklıydı. Ekonomik açıdan Şevki, hastalık, cehalet ve fakirliğin sıkıntılarına katlanan işçi fakir halk tabakasından uzakta, lüks ve refah içinde yaşayan zengin aristokrat tabakayı temsil ediyordu. Şevki hayatının büyük bir kısmını halktan uzakta onun acılarını ve arzularını hissetmeden yaşadı. Hafız ise orta tabakayı temsil ediyordu. Çocukluğunu bir yetim olarak geçirdi. Onu kendisi gibi orta tabakadan olan dayısı büyüttü. Hafız halkın diğer fertlerini anlamayan lüks içinde yaşayan zenginlerden değildi. Bilakis Mısır halkının meseleleri ve ulusal sorunlarıyla kederlenenlerdendi. Sosyal açıdansa Şevki'nin istikrarlı bir evliliği, iki erkek bir kız olmak üzere üç çocuğu vardı. Çocukları evleninceye kadar yaşadı.

Hafızın sosyal hayatı ise düzensizdi. Evlenmek istemiyordu. Çünkü özgürlüğünü kısıtlayacak herhangi bir bağa tahammül edemiyordu. Ancak daha sonra annesinin baskısı ve ısrarı sonucu evlendi. Hafızın her türlü bağı reddeden tabiatı ve fıtratı bu evliliği bozdu. Hafız evlendikten bir kaç ay sonra eşinden boşandı.Geri dönmemek üzere ondan ayrıldı. Çocukları olmamıştı. Bundan sonra hafız evlenmeyi kesinlikle düşünmedi.

Bu sosyal ve ekonomik şartların onların sanatsal ve edebi eserlerinde büyük

etkisi oldu. Şevki hayatının büyük bir kısmının sultanların, emirlerin ve hakimlerin sarayında geçmesi sebebiyle methiye, tasvir etme ve şiirsel tiyatro alanlarında öne çıktı. Hafız ise hayatında uğradığı acılar ve kederler sebebiyle ağıt ve felaketleri tasvir etmede öne çıktı.

Bütün bu sebeplerden dolayı edebi hayatta kendilerini ispat eden bu özellik onlarda bulunmaktadır. Araştırmacıyı araştırmaya ve incelemeye yönelten cezbedici bir etken oluşturdu.

O halde karşımızda iki eşsiz şair var. Şiirde ve bazı edebi sanatlarda birisi, başka edebi sanatlarda da bir diğeri üstün geliyor. Bununla birlikte sanatsal deha ve şiirsel yeteneklerinin yanı sıra Türk kökleri de onları birbirine bağlıyor. Bu analistlerin, eleştirmenlerin ve edebiyatçıların uzun süre dikkatle düşünmelerini ve pek çok araştırma ve edebi incelemede ele almalarını gerektirecek nadir bir rastlantıdır.

Araştırma ve analiz konusu olarak Hafız İbrahim ve Ahmet Şevki şiirinde Türk izleri incelemesinin seçilmesinin kaynağı olan sebepler buradan gelmektedir. Bu sebepler şunlardır:

1- Farklı milli, dini, sosyal ve ekonomik meselelerdeki farklı etkileşimi haber veren, iki şairin sosyal ve ekonomik şartlarındaki birbirine benzememesi.

2- İki şairin birbirine benzeyen etnik kökleri.Onların her Arap'ın ve müslümanın önem verdiği meseleleri nasıl ele aldığını sorgulamaya iten şartlar.

3-Her iki şair arasındaki ortak kültürel kaynaklar.

4-Her iki şairin de Osmanlı hilafeti ve Türk ırkıyla alakalı konulara ve sosyal ve siyasi alandaki olaylara ilgili olması.

5- Her iki şairinde canlandırma ve yeniden diriltme ekolü olan yeni bir edebi ekole önderlik etmeleri ve ondokuzuncu yüzyılın sonu ve yirminci yüzyılın başında şiirdeki muhafazakar eğilime başkanlık etmeleri.

6- Sunulan tezlerin çoğunluğu iki şairin divanlarındaki şiirsel amaçları veya her şairi sahip olduğu sanatsal yönlerden biriyle, tek başına ele alan niteleyici çalışmalardı.

7-İki şairin divanlarında çokça bulunmasına ve güçlü sanatsal varlığına karşın Türk izlerini tartışan üniversite tezlerinin bulunmaması.

Sanatsal yaratıcılık konusu hakkında pek çok sorgulamaya iten bu araştırmanın önemi buradan gelmektedir.Birçok şair herhangi bir meseleyi şiirlerinde ele alır fakat bir şairi diğerinden öne çıkaran özellik nedir? Dilin araçlarını farklı şekilde kullanmak ya da terkipleri ve kelimeleri şairin amacına uyması için şekillendirmek midir? Yoksa şairin içinden gelerek yada yapmacık şekilde kullandığı belagat çeşitleri midir? Yoksa şairin en geniş ve ferah şiirsel uzayı oluşturmak için başvurduğu harici kültürel kollar mı?Yoksa bütün bu sebeplerin hepsi mi?

Modern edebiyat dönemlerinde yaratıcı lakabının kullanılacağı Nil'in şairi ve şairlerin emirinden daha layık birisi yoktur.Bu çalışmanın önemi buradan gelmektedir.

Bazı üniversite tezleri ve çalışmaları, Ahmet Şevki ve Hafız İbrahim'i farklı açılardan ele alarak araştırmış ve tahlil etmiştir.Bunlar farklı araştırma yolları ve metotları kullanılarak yapılmış olan bazıları niteliksel, bazıları analitik, bazıları karşılaştırma çalışmalarıdır. Aşağıda iki büyük şairin çalışmalarını tartışmış bazı üniversite çalışmaları var:

1-Hafız İbrahim'in şiirinde ahlak, bu tez Suudi Arabistan'daki Ümmü'l-Kura Üniveristesi Arap Dili fakültesinde edebiyat dalında yüksek öğrenim bölümünden yüksek lisans derecesi almak içindir.Bu tezi 2009-2010 eğitim öğretim yılında araştırmacı Fevziye Binti Abdullah Bin Ayad Al Münteşiri Al Şamrani hazırlamıştır. Bu tez Hafız İbrahim'in şiiri çerçevesinde ahlakı incelemeyi hedeflemiştir.Tez mukaddime, önsöz ve iki bölümden oluşmaktadır. Tanıtım konunun önemini ve bu konuyu araştırmaya neden olan sebepleri ele almıştır. Önsöz Hafız İbrahim'in hayatı, ahlak anlayışı ve şiir içerikleri hakkındadır. İlk bölüm iki konu çerçevesinde ahlaktan bahseden " Hafız İbrahim'in şiirinde ahlak" konusunu ele almıştır. Bu konulardan ilki

Hafız İbrahim’in şiirinde davet ettiği erdemli ahlak, "Erdemler" konusudur.İkinci konu ise Hafız İbrahim’in şiirinde savaştığı ahlaki bozulmalar, "Erdemsizlikler" konusudur. İkici bölümse " Sanatsal İnceleme"dir. Hafız İbrahim’in ahlaktan bahseden şiirini üç konu çerçevesinde incelemeye almıştır. İlk konu biçim, ikinci konu müzik, üçüncü konu dildir. Araştırmacı çalışmasında şair Hafız İbrahim’in divanında ahlakla ilişkili olumlu sanatsal yönleri tartışmayı hedefleyen niteliksel metodu kullanmıştır.

2-Ahmet Şevki’nin İslamiyetini onun şiirlerinden alıntı yaparak inceleyen metinsel çalışma, bu tez modern edebiyatta uluslararası doktora derecesi elde etmek için 2007-2008 eğitim öğretim yılında, Cezayir’in Tilimsan şehrindeki Ebu Bekr Belkaid Üniversitesi, Edebiyat ve Sosyal ve Beşeri Bilimler Fakültesi Arap Dili ve Edebiyatı bölümünde yazılmıştır. Bu tezi araştırmacı Abdurrahman Bağdat hazırlamıştır. Araştırmacı çalışmasında Ahmet Şevkinin İslamiyetinin metinsel ve sanatsal incelemesinde kullandığı niteliksel metoda başvurmuştur. Çalışma giriş, üç bölüm, sonsöz ve ekten oluşmaktadır. Çalışmanın hedeflerini, araştırma metodunu ve konunun seçilmesinin sebeplerini içeren bir önsöz bulunmaktadır. İkinci bölüm Ahmet Şevki’nin İslami şiirini içerirken birinci bölüm İslami şiir kavramını ve onun meselelerini tartışmıştır. Üçüncü bölümde ise araştırmacı Ahmet Şevkinin üç meşhur İslami metnini analiz etmiştir. Bu metinler; Nehcü-l Bürde, Arafata, Nebevi, Hemziyyetü-n Nebeviyyedir.sonsöz ise araştırmanın sonuçlarını içermiştir.

3- Hafız İbrahim divanında siyasi şiirin müziği, aruz ve kafiye konusunda analitik bir çalışma. Bu tez 2013 yılında Endonezya Sunan Kalijaga Üniversitesi Edebiyat ve Kültür Bilimleri Fakültesinde uluslararası doktora derecesi elde etmek için yazılmıştır. Bu tez araştırmacı Teşrife tarafından sunulmuştur. Araştırma bölümlere ayrılmıştır. İlk bölüm araştırmanın önsözünü, çalışmanın hedeflerini, çalışmada kullanılan metodu ve eski çalışmaları içermektedir. İkinci bölümse Hafız İbrahim tercümelerini, onun hayatını ve divanındaki en önemli amaçları içermektedir. Üçüncü bölüm ise Hafız İbrahim divanındaki siyasi şiirlerin kafiye ve vezin analizini içermektedir.

4- İki şairi Hafız İbrahim ve Ahmet Şevki’yi karşılaştırma çalışması. 2017

yılında Sudan Bilim ve Teknoloji Üniversitesi, Yüksek Öğrenim Fakültesi, Arap Dili bölümü Arap Dili ve Edebiyatı'nda uluslararası doktora derecesi elde etmek için sunulmuş bir araştırmadır. Bu araştırmayı öğrenci Abdurrahman Hasan Sadi Mersal hazırladı. Araştırmasını ele alırken araştırmacı niteliksek metoda başvurmuştur. Ayrıca gereken yerde tarihsel metottan da faydalanmıştır. Araştırma önsöz ve dört bölümden oluşmaktadır. İlk bölüm edebiyat, eleştiri ve mukayese kavramlarını ele almıştır.İkinci bölüm iki şairin hayatını ve şiirsel amaçlarını ele almıştır. Üçüncü bölüm iki şairin hayatını ve şiirini etkileyen faktörleri tartışmıştır. Dördüncü bölüm ise iki şairin şiirlerindeki beyanı suretleri araştırıyor ve onları karşılaştırıyor.araştırma en önemli sonuçların ve tavsiyelerin bulunduğu bir sonsözle son buluyor.

5- Nil şairi Hafız İbrahim ve siyasi şiirleri Ahmet Yıldız.

Bu tez Türkiye Necmettin Erbakan Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Arap Dili bölümünde uluslararası doktora derecesi elde etmek içindir. Araştırmacı tezi önsöz ve iki bölüm şeklinde yazmıştır. İlk bölüm Hafız İbrahim'in hayatını, kişiliğini, şiirsel amaçlarını ve edebi eserlerini ele alıyor. İkinci bölüm ise Hafız İbrahim'in divanındaki siyasi şiirin nitelemesini ve nesnel analizini ele alıyor.Araştırmacı Hafız İbrahim'in siyasi şiirini ele alırken analitik metodun bazı araçlarından yaralanmakla birlikte niteliksel yöntemi kullanmıştır.

Hafız İbrahim'in ve Ahmet Şevki'nin şiirindeki Türk izlerini tartışan elimizdeki bu araştırmanın önemi buradan kaynaklanmaktadır. Bu izler halifeyi nitelemek onu övmek, yermek, insanları Osmanlı hilafetini desteklemeye ve ona arka çıkmaya davet etmek, Osmanlı ordularını nitelemek ve Osmanlı hilafetinin kaynağı olan Türk ırkını övmek gibi Türk ırkı ve Osmanlı hilafetiyle ilgili her şeyi kapsamaktadır. İki şairin soylarının ve köklerinin doğrudan bağlı olduğu bu önemli açıdan bu iki büyük şairi karşılaştıran bir üniversite araştırması yoktu.

Araştırmacı bu araştırma üzerinde çalışırken eski Arap kaynakları, modern edebi kaynaklar, güvenilir bilimsel dergiler ve bilimsel süreli yayınlar, çevrilmiş ve çevrilmemiş yabancı kaynaklar gibi çeşitli kaynak ve referanslara başvurmuştur.

Kaynak ve referanslardaki bu zenginlik araştırmayı bilgi açısından çok zenginleştirmiştir.

Araştırma yöntemine gelince araştırmacı, karşılaştırmalı analitik metodu kullanmıştır. Bunun için analitik yaklaşımın üç aracını kullandı; açıklama, eleştiri, sonuca varma. Araştırmacı iki şairdeki Türk izleriyle ilişkili sanatsal olguları o zamandaki tarihi olaylara, Mısır toplumunun ve İslam ümmetinin şartlarına göre açıklamaya çalışacaktır. Açıklama aşamasından sonra sanatsal eleştiri aşaması gelmektedir.Araştırmacı bu sanatsal olguları bütün yönleriyle ele alıp; nesnel, belağı, tarihsel, metinsel vs. açılardan eleştirecektir. Daha sonra sonuca varma aşaması gelmektedir.Bu aşamada araştırmacı daha önceki iki aşamaya göre yeni sanatsal sonuçlar çıkarmaya çalışacaktır. Yenilik ve nesnellik ile nitelenen bu sonuçlar iki şairi konu edinecek olan gelecekteki eleştirel çalışmalar ve bilimsel araştırmalar için köşe taşı olmaya uygundur.

Burada analitik metod karşılaştırmalı metodla desteklenmektedir.Araştırma iki şairi tek bir sanatsal açıdan ele almaktadır.Mantıken iki şairin karşılaştırılması bu açıyı ele alış yöntemleri üzerinden olacaktır.Araştırma planı aşağıdaki gibidir;

1-Önsöz: Araştırmacı burada iki şairin ortaya çıktığı zamanda hakim olan ekonomik, siyasi, sosyal ve sanatsal şartları ve bu şartların temsil ettiği, onlardan her bir şairin nitelik ve özelliklerini ifade eden olağanüstü halleri sunar. Şair çevresinin çocuğudur. Çevresini ifade eder ve kendisini kuşatmış olan tüm dini, siyasi, ekonomik ve sosyal şartlardan etkilenir. O sebeple bu önsöz son derece önemlidir.

2-Birinci bölüm: İki kısımdan oluşur.

1-Birinci kısım: Ahmet Şevki'nin hayatı, kültürü, sosyal ve ekonomik şartları ve onun edebi ve sanatsal konumu ile şiir emirliği.

2-İkinci kısım: Hafız İbrahim'in hayatı ve Ahmet Şevki'nin şartlarından tamamen farklı olan sosyal ve ekonomik şartları, bu şartların Hafız İbrahim'in şiiri ve edebiyatı üzerindeki etkisi.Sonra Hafız İbrahim'in edebi ve sanatsal konumu.

3-İkinci bölüm: İki bölümden oluşmaktadır.

1- Ahmet Şevki'nin şiirinde Türk izleri, bu kısım birkaç konu içermektedir.Örneğin;

-Osmanlı hilafetinin ve halifesinin zikredilmesi.

-Türk kökeninin ve A'li Osman'ın zikredilmesi.

-Savaşların tasviri.

-Savaşlarda yaşlıların ve kadını rolü.

-Şehirlerin ve meşhur yerlerinin tasviri.

2-İkinci kısım: Hafız İbrahim'in şiirinde Türk izleri, aynı şekilde birkaç konu içermektedir.

-Osmanlı hilafeti ve halifesi.

-Osmanlı inkılabı.

-Osmanlı ordusunun tasviri.

-Türk nişanlarının yüceltilmesi.

Daha sonra araştırmadan çıkan en önemli sonuçları ve önermeleri zikrediyor ve iki şairin Türk izlerini ele alışlarını ve aralarındaki ittifak ve ihtilaf faktörlerini hızlı bir şekilde karşılaştırarak araştırmayı bitiriyoruz.

Bu araştırmayı şairlerin emiri Ahmet Şevki ve Nil'in şairi Hafız İbrahim gibi iki büyük ve yüce şaire yakışan surette yapmak için bütün çabamı sarf ettiğimi ifade etmeliyim. Onlar şiirlerindeki eşsizlik ve dehalarının gizli sebeplerini keşfedecek incelemelere layıklar. Ancak bu, eksikliklere maruz kalan ve incelenen konunun tüm yönlerine dikkat etme imkanı olmayan bilimsel bir araştırmadır. Allah'tan yüksek Arap edebiyatı sarayında bir tuğla olacak bir araştırma sunmaya beni muvaffak etmesini istiyorum. Ayrıca eksikliklerimi tamamlamasını ,bu ameli katında güzel bir kabulle kabul etmesini istiyorum. Ranya Abdülhamid Muhammed Ali Zidan

## İNGİLİZCE ÖZET

In the name of Allah , the Most Gracious , the Most Merciful.

All praises and thanks are Allah's , the Most Gracious. He has taught (you mankind) the Qur'an (by His mercy).He created man, He taught him eloquent speech.May the Peace and blessings of Allah be upon Mohammad, the fountain of fluency and eloquence , and His family and companions .

Having said that ,

At the end of the nineteenth century and the beginning of the twenteenth century , Lord has donated Egypt two great poets. They are considered of the most extraordinary in poetry and in literature in Egypt. They are pioneers of poetry in modern era. They are Ahmed Shawqi , nicknamed Amir al-Shuara (The Prince of Poets) and Hafez Ibraheem nicknamed the Poet of the Nile.The presence of these two great poets together in the same era is one of the lucky chances. They together formed unique poetry and liliterature rarely happens. Thathas happened for several reasons:

-Both of them are considered Knights in the the field of poetry.Besides, they are imams of eloquence and rhetoric.Since the Ayubi eas, the field of aic Poetry hasn't witnessed great and gifted poets like Ahamed Shawqi and Hafez Ibraheem . No one reached their heigh rank in poetry.

-The two poets are considered two racehorses or two rivals in the same ring. When one of them exceeded in one area of literature the other followed him. When we mention one of these two poets, we find ourselves mentioning the other poet. They became unseparated fellows.

- The most important reason is that both the two poets had Turkish origins,either paternal or maternal . Turkish blood flowed in their veins.Shawqi and Hafez were preoccupied by the caliphateand the Ottoman State and the Turkish

origin. All these elements ptheirrovoked their poetic talent and dominated A great deal of their collections of poetry.

- The time of the two poets was poetically and lierary extremely poor. Poetry was going through a period of weakness not seen before. At that time, in the eighteenth and the nineteenth century , Egypt was concentrating on enhancing and building the militarily powers.The state or rulers in Egypt did not paying any attention to literature besides the Ottoman Stare was a military one and did not even pay any attention to literature or it's figure."Poets lived away from princes and their followers. Princes were not listening. They did not even have mindful hearts. Princes did not have ambition to have any flourishing renaissance in literature .Poetry did not find any reason to flourish or to strengthen its power."*1 the Turkish language was the official language at that time. The upper class in the Egyptian society were concerned to learn Turkish not Arabic. As a result to all these circumstances Arabic became week and poor , full of slang and Turkish vocabularies. Although the weekness of poetry at that time , we could find good models of poets who were gifted. Some rulers knew the importance of poets and poerty such as Darweesh , the Poet of Khedive Abbas the First and Laithy , the poet of Khedive Isma'l. Those poets recorded merits of the rulers in their poetry , however , most poets at that time imitated the former poetry. There was not creativity. There was plenty of useless artificial embellishments which did not have any artistic function. "Poets were chewing the cud of topics from the former poetry without any conscious , sense or emotions . They concentrated on numerous embellishments as they were an aim of poetry." *2

That time was difficult. There was not any evidence to artistic arenaissance or creativity in poetry. In the meanwhile, two poets emerged. They regained the splendor and beauty of poetry. They managed to spread life and spirit in literature and artistic life again. Each poet of the two poets had the talent to make a real revolution in literature ; a revolution on dullness and blind imitation. Both of them were eloquent , capable of using the classic Arabic so they were able adapt the

vocabularies and styles of the Arabic langauge to express developments of the modern era using a strong thoughtful style without being fake or imitation.

The two poets had the same sources of culture ; the noble Arab culture , the classic poetry with its stength , nobility and authenticity , memorizing of Arabic lexicons.All these sources formed a great poetic power for them. They also drew their clutre from their knowledge of modern European literature as well as reading light poetry of great foreign poets and that was considered a major source of culture for the two outstanding poets. However, they had an extremely different rearing circumstances ; the Prince of Poets, Ahmed Shawqi , was brought up in palaces with princes and rulers from an early age. He lived a life full of luxury and ease. But the Poet of the Nile, Hafez Ibraheem , was an orphan from his early childhood. He lived a cruel life in difficult economic conditions. He could not continue in one job for a long time . The Poet of the Nile suffered very often in his social life .

The great differences in the social and economic circumstances has their effects on the poets' creativity and poetry. Shawqi was the Poet laureate. He was the official spokesman of the ruler and authority . On the other hand, Hafez lived among puplic. He felt their suffering and hopes and ambitions. Shawqi's Poetry was official and authoritarian but Hafez's poerty was public and patriotic .

.....

Egypt at that time was in a self-government and in a partial independence under the Ottoman caliphate . Egypt was dependency of the Ottoman caliphate by name. The Ottoman caliph had a spiritual authority as he held the title of Caliph of Muslims in the Islamic World. The spiritual religious bond had the upper hand at that time. The Caliph in Istanbul was the beating heart of the nation. He was the bond that tied the different parts of the nation together. He had great sacredness and glorification for Muslims including Ahmed Shawqi and Ibraheem Hafez. The two poets were of the best persons who expressed their loyalty to the Ottoman caliph and belonging to the caliphate and its capital in Istanbul. Especially Shawqi's

appearance had a great effect on the powerful publicity for adherence to the Ottoman State and its caliph for people in the Arab World from ocean to gulf. Shawqi's fame spread far and wide. His poems came in the front page in the Arabic newspapers.

He became the official spokesman of the Ottoman State for the Arab peoples. Hafez became the first poet of patriotism. His poetry was characterized by honesty and sincerity. Public aspired to listen to Hafez's views and attitudes towords different national , social and Islamic issues. He was the representative of public , public's pulse and the public's poet.They were different in styles and but had the same themes and topics ; an official sober conservative style and a public genuine profound one. Topics and themes were about caliph penegeric , caliph blaming, praising the army of caliphate and the courage of its soldiers or description of famous landmarks of cities. The two great poets reached the top of eloquence , fluency and power. They were the title a new school in poetry. It managed to the revival of the noble classic Arabic Poerty again. There were lots of poetic duos throughout the history of literature.The pre-islamic era has a famous poetic duo , Al-Nabigha and Zuhayr bin Abu Sulma , The Umayyad era had Jarir and Al-Farazdaq , Abu Tammam and Buhturi was a famous poetic duo in the Abbasid era. After these duos , there were Shawqi and Hafez, a famous duo in the modern era. Readers and critics feel that they were an extend to the great poets of golden ages of Arabic poetry.

Ahmed Shawqi is the Prince of Poets in the modern era. He was nominated for the princedom of poetry by a great deal of poets in the Arab World as well as Hafez Ibraheem himself was ahead of them in the ceremony who said :

Oh Prince of rhymes , I came nominating

And these are delegations of the east have nominated with me

Shawqi had a remarkable literary position and a great artistic rank . It was said : if it had not been for Al-Mutanabbi Shawqi was the greatest Arab poet. Shawqi exceeded his contemporary equals in poetry. He competed the great poets in

the former eras. He was a great poet as once a critic said " Shawqi is the poet of Arabic at all times ; current days, past times , the days of old and right now, but for the future of poet of Arabic it is Allah's prescience "*3

As for Hafez Ibraheem , He was the Poet of the Nile , the poet of patriotism and the poet of public. All these titles indicate that he had a great position for all the classes of the Egyptian people . While Shawqi was remarkable in penegeric , description and poetic epics ,

" Hafez exceeded in two genres in literature , Ritha (lament and elegy) and description of disasters. The reason for that is that he felt mmisfortunes inside himself when it happened because of what he had suffered cruel days in his former life" 4

These two great poets have formed a great artistic and literary phenomenon could not be found in the former eras in literature . They were a very special and unique case . The were some reason for this uniqueness :

First : They were both Egyptian poets.They had patriotic sentiment loving their nation more than lots of the other poets.They had Turkish origins and Turkish blood flowed in their veins.

Second: They both felt unequal enthusiasm towords the Ottoman Caliphate especially Sultan Abdulhamid II . Caliphate had a remarkable religious position and spiritual authority all over the Islamic World.

Third: The two poets were close friends for a long time. Although they were rivals in poetry and poetry eloquence , their friendship was clear and pure without any jealousy to spoil it.

Four: The had the same sources of culture especially the Classic Arabic poetry . It was an important reference for them . They quoted lots of imagination, ideas, emotions and personal opinions.

Fifth: They led an extremely different life socially and economically. Shawqi represented the rich aristocratic class who lived in ease and welfare. He was away from proletariat who suffered from poverty and diseases. Shawqi lived for along time of his life away from the public. He did not felt their sufferings or their hopes.On the contrary, Hafez represented the middle class. He was an orphan. His uncle , who was from the middle class breeded him . Hafez was not rich. He lived with the public. He was concerned with the national problems and affairs of the Egyptian people . Socially, Shwqi led a settled married life. He had three decendant , two sons and one daugher. He lived till they got married.

Hafez lived an unsettled social life. He did not want to get married as he did not endure any restricts which might limit his freedom . He got married after the insistence of his mother. That was against his nature and character which preferred freedom and refused any restricts so his marriage failed. He divorced his wife after few months of his marriage irreversibly. He did not get any children of his wife. Hafez did not even think of marriage again.

These social and economic circumstances affected the artistic production of the two great poets. Shawqi mastered many geners of poerty like penegeric , description and poetic epics as he lived in palaces of sultans , princes and rulers. On the other hand, Hafez mastered Ritha (lament and elegy) and description of disasters as he led a cruel and difficult life.

All these reasons led to uniqueness of the two poets which imposed itself in the literary life . It attracted the researcher to do a research and examination on their poetry.

Right now we are standing before two great poets. One of them has mastered some geners of literature and poetry and the other has mastered other geners. Nevertheless, they both had the Turkish origin as well as they were genius artists and talented in poetry. It is a great and rar coincidence before writers , critics and analysts. They discussed , researched and had critical studies on it.

Reasons for choosing the impact of Turkish language on Ahmed Shawqi's and Hafez Ibraheem 's poetry as a topic for researching and analysi :

1- Social and economic conditions of the two poets were extremely different which led to a diversity in interactions towords different political , social and national issues.

2- Their ethnic origin of the two great poets were the same which raised the questions why they discussed topics concerning Muslims and Arabs.

3-They had the same sources of culture.

4-They were concerned with the Ottoman Caliphate and Turkish ethnic and any related political and social topics .

5- They were pioneers of a new poetic movement called School of Revival and Ba'ath.They were heads of conservatives in poetryvat the end of the nineteenth century and the twentieth century.

6- Most dissertations presented about the two poets were descriptive ones.They discussed the purposes of poetry in their collections. They might discussed one artistic side of the the two poets.

7- There were no theses discussing the impact of Turkish language in their two collections of poems (book of verses) however they are numerous and powerful impacts.

.....

Hence we can find the importance of the research which provoke lots of questions around artistic creativity. Lots of poets may discuss some issues in their poetry but what distinguishes a poet from another? Is it the the different usage of language and harnessing vocabularies and structure to conform the purposes of the Poetry? Are they methods of rhetoric used by the poet skillfully or artificially?Are

they the external sources of culture which provide the poet with a wide and broad poetic space?or are they all the above mentioned reasons?

There are not throughout the different literary eras anyone we can give a tittle of the original except for The Prince of Poets and Poet of the Nile.That provided the study with its importance. Some theses and dissertations discussed and analyzed poetry of Ahmed Shawqi and Hafez Ibraheem .Some of them were comparative studies using different academic activities and methods.

Here are some theses which discussed the poetry of Ahmed Shawqi and Hafez Ibraheem:

1-*Ethics in the Poetry oh Hafez Ibraheem,* it was a thesis for a master specialization degree. It was presented in Post graduate studies Department (Literature Department) , Faculty of Arabic Language. Umm Al-Qur'a University. The mentioned thesis was prepared by a researcher called Fawziya Bent Abdullah Bin Ayed Almuntshri Ashamarani 2009-2010. This thesis aimed at discussing ethics throughout poetry of Hafez Ibraheem. It consisted of an introduction , a preface and two chapters.The introduction was about the importance of the topic and reasons for it.The preface was about a biography of Hafez Ibraheem , the concept of ethics and the contents of ethics in poetry.The first chapter discussed "Ethics in the poetry of Hafez Ibraheem " . He talked about ethics through two studies. The first study was about "virtues" which he called for in his poems. The second study was about "messages" which were the evil nature and he fought in his poems.The second chapter was an " artistic study". It discussed the poetry of Hafez Ibraheem through three studies ; the first study was about figure of speech , the second study was the music , the third study was the language. The researcher used the discrptive method which aimed at discussing artistic sides about ethics and virtues through the poetry of Hafez Ibraheem.

2- *The Islamics of Ahmed Shawqi* it was a study of the text .It was doctoral dissertation in modern literature, Department of Language and Arabic literature faculty of Arts and Humanities and Social Studies , at Abi Bakr Belqayied

University in the city Tlemcen in Algeria in 2006- 2007. The dissertation was prepared by the researcher Abdul Rahman Baghdad. He made use of the descriptive approach to discuss the artistic study of the Islamics of Ahmed Shawqi. The thesis contains a preface , three chapters, and a conclusion and postscript.The preface was about the reasons for choosing the topic , the research methodology and the objectives of the study.The first chapter discussed the concept of Islamic poetry and it's issues. The second chapter discussed the Islamic poetry of Ahmed Shawqi. The third chapter was an analysis of three famous Islamic texts ; Burda Approach (Nahjul al-Burdah) , Arafat and The Prophet's Hamziyah (Praise of the prophet).The conclusion contains the results of the research.

3- *Music of the Political Poetry in Divan of Hafez Ibraheem , an Analytical Study in Poetics and Rhymes.* It was doctoral dissertation in the faculty of Arts and Humanities , Sunan Kalijaga , Indonesian in 2013. That thesis was presented be the researcher Tashrefah. The first chapter contained an introduction , the research methodology , the objectives of the study and former studies.The second chapter contained a biography of Hafez Ibraheem and significant purposes in his poems. The third chapter contained an analysis of meters and rhymes in the Political Poetry in Divan of Hafez Ibraheem.

4- *A Comparative Study Between the great Poets Ahmed Shawqi and Hafez Ibraheem.* It was doctoral dissertation in the Arabic Language and literature in the College of Graduate Studies, Sudan University of Science and Technology in 2017. The study was presented by a researcher called Abdul Rahman Hassan Suda Mersal . He used the discrptive approach in handling his research. He also used the historical methodology when it was necessary. It consisted of a preface and four chapters ; the first chapter was on the concepts of literature , criticism and metre. The second chapter was on lives of the two poets and their aims of poetry. The third chapter was about factors which affected lives of the two great poets and their poetry.The fourth chapter was on figure of speech in poetry of both Ahmed Shawqi and Hafez Ibraheem. The conclusion of the study was the results and recommendations.

5- *Nil_şairi Hafiz Ibrahim ve siyasi şiirleri - Ahmet Yildiz.*

It was doctoral dissertation in the Arabic Language Department , College of Theology, University of Necmettin Erbakan in Turkey. This thesis was written in a preface and two chapters. The first chapter was about life of Hafez Ibraheem , his character , his poetic purposes and his literary impact. The second chapter the researcher described and used objective analysis on political poems in Hafez Ibraheem 's divan.He used discrptive approach as well as methods of analytical approach.

.....

Thus , the importance of this study comes before us. It discusses the impact of Turkish language on the poetry Ahmed Shawqi and Hafez Ibraheem . It contains the effects of every Turkish element including Ottoman Caliphate. It includes discrption , praise or parody of the caliph , callings for supporting the Ottoman Caliphate , discrption of Ottoman armies, praise of The Turkish element who is the origin of the Ottoman caliphate . Former researches did not make a comparison between the two great poets from a point of view concerning the Turkish origins of the two great poets. The researcher uused a diversity of resources and preferences.She used old Arabic references , modern literary references, scientific journal, certified scientific magazines and foreign references some were translated and others were not translated. Diversity of resources provided the research with a great deal of information and knowledge. The researcher used the comparative analytical approach. She used three processes of the analytical approach : interpretation, criticism and deduction.

The researcher is going to discuss the artistic phenomena related to the Turkish impact on the poetry of the two poets according to history of their time and circumstances of the Egyptian society and Islamic nation .After the process of interpretation comes the process of artistic criticism. She is going to criticise the artistic phenomena from differentsides; objectives , rhetorical, historical ,texts....etc.

After that we can find the process of deduction. The researcher tends to get artistic results based on the previous two processes. Results have to be objective.They must be keystones to coming researchers and critical works about the two great poets.

Comparative approach supports the analytical approach as it discusses two poets from one artistic side. Logically, a comparison would occur in the researcher.

Search Plan was as follows:

1- Preface: the researcher presents the artistic , social, political and economic conditions which prevailed at the time of the two poets.These circumstances indicated artistic characteristics and features of them. It is admitted that the poet is the son of his environment . Social , economic, political and religious circumstances may affect poets. So , it is extremely important to mention that in preface.

2-The first chapter consists of two parts :

1) The first part : It contains Ahmed Shawqi's life , his culture and social and economic circumstances his princedom of poetry and his remarkable position.

2) The second part : It contains life of Hafez Ibraheem , his social and economic circumstances which were totally different from Ahmed Shawqi , the effect of these circumstances on the poetry and the art of Hafez Ibraheem. It also contains the artistic and literary high position of Hafez.

3- The second chapter: consists of two parts :

a)The first part : It contains the Turkish impact on the poetry of Ahmed Shawqi . This part contains some studies:

- Caliph and Ottoman Caliphate.

- Osman family and the Turkish element.

- Discription of Battles.

- The rule of woman and elderly people in wars.

-Discription of cities and famous landmarks.

B)The second part : It contains the Turkish impact on the poetry of Hafez Ibraheem . This part contains some studies as well:

- Caliph and Ottoman Caliphate.

- Ottoman revolution.

- Discription of Ottoman army.

- Praise of the Turkish element.

- Discription of the Turkish landmarks.

she concluds the thesis with a quick comparison between the Turkish impact on the poetry of the two poets. The conclusion also contains the points of agreement and points of difference between them.It has the results and recommendations of the thesis.

Finally , I would like to mention that I have done my best to produce that thesis in a form that suits such great figures like Ahmed Shawqi , the Prince of Poets and Hafez Ibraheem , Poet of the Nile. They are great poets who deserve a study which might conceal genius and uniqueness in their poetry. But this research may be liable to be narrow to cover all the studies of the topic of the thesis.So , I ask God to help me to present a research which might serve as a building block in the high-risk edifice of the Arabic literature. I ask God to complete my deficient and forcemy weekness. May Allah accept that work with good acceptance.

God is the Arbiter of Success

Researcher

Rania Abdul Hamid Mohammad Ali Zidan.

*1Arabic poetry schools in modern times , Muhammad Abdul Mun'im Khafaji , Dar Al Wafaa Printing , first edition, 2004 , p.11

*2 Studies in modern Arabic literature, Muhammad Lutfi Haddara , p15

*3 Mutanabi and Shawki , Abbas Hassan , Mostafa Bab Halabi & Sons Press , First edition , 1951 , p.2

*4 Hafez Ibraheem poet of the Nile , Abdul Hamid Sendi Algendi , Dar Am Ma'arif Printing and Publishing, fourth edition , p.13

## ثبت بالمصادر والمراجع

1- إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي- مدخل لغوي أسلوبي، محمد العبد، دار المعارف، ط1، 1988

2- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، مكتبة الآداب، الجزء الأول، ط2

3- اثنا عشر عامًا في صحبة أمير الشعراء، أحمد عبد الوهاب أبو العز

4- أحمد شوقي، الدكتور زكي مبارك، دار الجيل – بيروت – 1988

5- أحمد شوقي دراسة في أعماله الروائية، أصيل عبد الوهاب يوسف عطعوط، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية نابلس فلسطين، 2010

6- الأدب العربي الحديث، مسعد بن عيد العطوي، مكتبة الألوكة، ط1، 2009

7- الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة العثمانية، مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية، ط1، 2004

8- أسلوبيات التغزل العذري – دراسة في بنية القصيدة، محمود مصطفى محمد علي، رسالة ماجستير، جامعة المنوفية مصر، 2013

9- أعلام الشعر الحديث، محمد مندور،منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،ط1، 1970

10- االبديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، جميل عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998

11- البديع في شعر شوقي، منير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط2، 1992

12- تقليد وتجديد، طه حسين، مؤسسة هنداوي

13- التكرير بين المثير والتأثير، عز الدين علي السيد، عالم الكتب، ط2، 1986

14- حافظ إبراهيم – دراسة تحليلية لسيرته وشعره، السعيد محمود عبد الله، دار الفارابي للنشر والتوزيع،

15- حافظ إبراهيم شاعر القومية العربية، محمد هارون الحلو، الدار القومية للطباعة والنشر

16- حافظ إبراهيم شاعر النيل، عبد الحميد سند الجندي، دار المعارف، ط4

17- حافظ إبراهيم مهرجان حافظ بالإسكندرية، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1957

18- حافظ وشوقي، طه حسين، مكتبة الخانجي

19- حياة شوقي، أحمد محفوظ، مطبعة مصر

20- الخالدون من أعلام الفكرالجزء الشرقي، أحمد الشنواني، دار الكتاب العربي، ط1، 2007

21- دراسة مقارنة بين الشاعرين أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، عبد الرحمن حسن سدي مرسال، رسالة دكتوراه، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، 2017

22- دراسات في الأدب العربي الحديث، محمد مصطفى هدارة، دار العلوم العربية، ط1، 1990

23- دور المرأة الجهادي في الإسلام من البعثة النبوية حتى نهاية الدولة الأموية، أحمد محمود الجدي، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، 2005

24- الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، إسماعيل أحمد ياغي، مكتبة العبيكان، ط1، 1996

25- ديوان حافظ، ضبطه وصححه وشرحه ورتبه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط1، 1987

26- ذكرى شاعرين، شاعر النيل وأمير الشعراء، أحمد عبيد، المكتبة العربية في دمشق، ط1

27- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط11، ج2

28- شاعر الشعب وشاعر النيل، يوسف نوفل، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1997

29- شعراء العرب المعاصرون، أحمد زكي أبو شادي، دار الطباعة الحديثة، ط1، 1958

30- شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي، عباس محمود العقاد، مكتبة النهضة المصرية، 1937

31- شعراء الوطنية في مصر، عبد الرحمن الرافعي، دار المعارف، ط3

32- شعر شوقي الغنائي والمسرحي، طه وادي، دار المعارف، ط3، 1985

33- الشعر وحروب الخلافة العثمانية، عبد الله بن إبراهيم بن يوسف الزهراني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، 1412هـ

34- شوقي أو صداقة 40سنة، الأمير شكيب أرسلان، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر، 1936

35- الشوقيات، أحمد شوقي، كلمات عربية للترجمة والنشر

36- الشوقيات المجهولة- الجزء الأول، محمد صبري، الهيئة العامة لقصور الثقافة

37- قضايا الشعر المعاصر، أحمد زكي أبو شادي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012

38- المتنبي وشوقي دراسة ونقد وموازنة، عباس حسن، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط1، 1951

39- مدارس الشعر الحديث، محمد عبد المنعم خفاجي، دار الوافاء للطباعة والنشر، ط2004

40- مدارس النقد الأدبي الحديث، محمد عبد المنعم خفاجي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1995

41- مشكل مصطلحي الحديث والمعاصر في الأدب العربي، محمد عبد الله سليمان، مكتبة الألوكة، 2017

42- من أعلام الفكر والأدب، أنور الجندي، الدار القومية للطباعة والنشر

43- موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1988

**المراجع الأجنبية المترجمة:.**

1- تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ترجمة عدنان محمود سليمان، المجلد الأول، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، 1988

2- تاريخ الدولة العثمانية، من النشوء إلى الانحدار، خليل إينالجيك، ترجمة محمد م الأرناؤوط، دار المد الإسلامي، ط1، 2002

**المجلات الأدبية والحوليات:.**

1- مجلة تراث، العدد 3، يوليو، 2010

2- مجلة فصول، المجلد الثالث، العدد الأول، 1982

3- مجلة فصول، المجلد الثالث، العدد الثاني، 1983

4- مفهوم القومية عند أحمد شوقي، مريم جبر فريحات، حوليات آداب عين شمس، المجلد 38، 2010